شرح الأربعين النووية

للشيخ

يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا، طيبًا، مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله...

هذا الكتاب الأربعون النووية جمع فيها الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ أحاديث مُفيدة، جامعة، متنوعة، بين صحيح لذاته، أو صحيح لغيره، حسن لذاته، أو حسن لغيره ولهذا اعتنى بها أهل العلم، وطلابه حفظًا، وشرحًا.

والنووي -رَحِمَهُ اللهُ- ما عمَّر إلا نحو خسمة وأربعين سنة، لكن جعل الله في وقته البركة، حتى إنهم يقولون في بعض معاني حديث: «**من أحب أن يُنسأ له في أثره ويُبسط له في رزقه؛ فليصل رحمه**»، قالوا: كل شيءٍ بقدر، لكن زيادة العمر قد يكون من حيث البركة فيه، كما بارك الله في عمر النووي، كذا ينص بعضهم، وأرجح منه القول بأن الزيادة تكون مما في يد الملك، وأن الله لا يبدل القول لديه، وأن الجميع بقدر الله، أن فلانًا إن وصل رحمه، وعمل صالحًا زاد عمره بإذن الله، وإن قطع رحمه، وعمل سيئًا نقص أجله.

وإنما ذكرنا هذا من أجل أن الله بارك في وقت النووي لما عنده من الصلاح؛ لاسيَّما في العبادة، والقيام، والصيام، والنصح، والمراسلات إلى الحكام، إلى غير

ذلك مما تراه مذكورًا في ترجمته في مقدمة شرحه على صحيح مسلم.

ومن مؤلفات النووي الكثيرة، المشهورة ما ذكره ابن كثير فقال في «البداية والنهاية» (١٧/ ٥٤):

الشيخ محيي الدين النووي يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي العالم، محيي الدين أبو زكريا النووي، ثم الدمشقي الشافعي العلامة شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه، ولد بـ (نوى) سنة إحدى وثلاثين وستمائة، ونوى قرية من قرى حوران، وقد قدم دمشق سنة تسع وأربعين، وقد حفظ القرآن فشرع في قراءة «التنبيه»، فيقال: إنه قرأه في أربعة أشهر ونصف، وقرأ ربع العبادات من المذهب في بقية السنة، ثم لزم المشايخ تصحيحًا وشرحًا، فكان يقرأ في كل يوم اثنا عشر درسا على المشايخ، ثم اعتنى بالتصنيف فجمع شيئا كثيرا، منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله، فمما كمل «شرح مسلم»، و«الروضة»، و«المنهاج»، و«الرياض»، و«الأذكار»، و«التبيان»، و«تحرير التنبيه وتصحيحه»، و«تهذيب الأسماء واللغات»، و«طبقات الفقهاء» وغير ذلك.

ومما لم يتممه ولو كمل لم يكن له نظير في بابه: «شرح المهذب» الذي سماه «المجموع»، وصل فيه إلى كتاب الربا، فأبدع فيه وأجاد وأفاد، وأحسن الانتقاد، وحرر الفقه فيه في المذهب وغيره، وحرر الحديث على ما ينبغي، والغريب واللغة وأشياء مهمة لا توجد إلا فيه، وقد جعله نخبة على ما عن له ولا أعرف في كتب الفقه أحسن منه، على أنه محتاج إلى أشياء كثيرة تزاد فيه وتضاف إليه، وقد كان من

الزهادة، والعبادة، والورع، والتحري، والانجماح عن الناس على جانب كبير، لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره.

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٢١):

النَّواوي، الشيخ، الإمام، القدوة، الحافظ، الزاهد، العابد، الفقيه، المجتهد، الرباني، شيخ الإسلام -أحسبه-، الإمام محيي الدين، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن حِزام الحِزَامي، الحَوْرَاني، النَّواوي، الشافعي.

صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان، واشتهرت بأقاصي البلدان، ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى، وكان أبوه دكَّانيّا بها، فنشأ الشيخ في ستر وخير، وحفظ القرآن، وبقي يتعيش في الدكان لأبيه، ثم نقله أبوه في سنة تسع وأربعين إلى دمشق ليشتغل بها، فنزل بالرواقية يتقوّت بالجِزاية، ويدرس في «التنبيه»، فحفظه في أربعة أشهر ونصف، وقرأ ربع «المهذب» في تمام السنة على الشيخ الكمال إسحاق بن أحمد.

ثم حجَّ مع والده، وقد لاحت عليه أمارات النجابة، والفهم، فاتفق أنه أقام بالمدينة النبوية شهرًا ونصفًا، وتعلَّل في أكثر الطريق، ورجع وأكب على طلب العلم ليلًا ونهارًا اشتغالًا، فضرب به المثل، وهجر النوم إلا عن غلبة، وضبط أوقاته إلا بلزوم الدرس، أو الكتابة، أو المطالعة، أو التردد إلى الشيوخ، وترك كل رفاهية، وتَنَعُّم، مع تقوى وقناعة، وورع، وحسن مراقبة لله في السِّر والعلانية، وترك

رعونات النفس، من ثياب حسنة، ومآكل طيبة، وتجمل هيئة، بل طعامه جلف الخبز يابسه، ولباسه خام، وشيخانيته لطيفة، فرحمه الله، ورضي عنه، وجزاه عن العلم خيرًا.

ذكر صاحبه الشيخ أبو الحسن علي بن العطار، أن الشيخ محيي الدين حدَّثه أنه كان يقرأ كل يوم اثني عشر درسًا على مشايخه، شرحًا وتصحيحًا، درسين في «الوسيط»، ودرسًا في «المهذب»، ودرسًا في «الجمع بين الصحيحين»، ودرسًا في «صحيح مسلم»، ودرسًا في «اللُّمع» لابن جنّي، ودرسًا في «التصريف»، ودرسًا في «أصول الفقه»، ودرسًا في «أسماء الرجال»، ودرسًا في «أصول الدين».

قال: وكنت أعلّق جميع ما يتعلق بها، من شرح مشكل، ووضوح عبارة، وضبط لغة، وبارك الله لي في وقتي، وخطر لي أن أشتغل بالطب، واشتريت كتاب «القانون»، فأظلم قلبي، وبقيت أيامًا لا أقدر على الاشتغال، فأفقت على نفسي، وبعت القانون، فأنار قلبي.

قلتُ: لو سمع أو قدومه لَلَحِقَ الرشيد بن مسلمة، ومكي بن علان، والكبار، بقي مدة لا يسمع الحديث، سمع عبد الدائم، والقاضي عماد الدين عبد الكريم ابن الحَرَسْتَاني، والحافظ زين الدين خالدًا، وتقي الدين ابن أبي اليُسر، والمفتي جمال الدين يحيى بن الصَّيرفي، والشيخ شمس الدين عبد الرحمن، وخلقًا سواهم، وأكثر من رواية الدواوين، وقرأ «الكمال» للحافظ عبد الغني على الزين خالد، وسمع الصحيحين على المحدث أبي إسحاق بن عيسى المُرادي، وأخذ الأصول عن

القاضي التَّفْليسيّ، والفقه عن الكمال إسحاق، وشمس الدين ابن نوح، وعز الدين عمر الإِربلي، وكمال الدين سلار الإِربلي، والعربية عن الشيخ أحمد المصري، وعن ابن مالك، ولازم الاشتغال والتصنيف، والإفادة، محتسبًا في ذلك، مبتغيًا وجه الله، مع التعبد، والصوم، والتهجد، والذكر، والأوراد، وحفظ الجوارح، وذم النفس، وصَبر على العيش الخشن، ملازمة كليَّة، لا مزيد عليها.

تخرج به أئمة منهم: الخطيب صدر الدين سليمان الجعفري، وشهاب الدين أحمد بن جَعوان، والقاضي شهاب الدين الأربدي، والمفتي علاء الدين ابن العطار، وحدث عنه ابن أبي الفتح، والمِزِّي، وجماعة.

قال ابن العطَّار: ذكر لي شيخنا أنه كان لا يضيع له وقتًا في ليل ولا نهار إلا في الاشتغال، حتى في الطُّرق، وأنه دام على هذا ست سنين، ثم أخذ في التصنيف والإفادة، والنصيحة، وقول الحق.

قلتُ: كان مع ملازمته التامة للعلم، ومواظبته له، فائق الورع، وتزكية النفس من شوائب الهوى، وسيء الأخلاق، ومحقها من أغراضها، عارفًا بالحديث، قائمًا على أكثر فنونه، عارفًا برجاله، رأسًا في نقل المذهب، متضلعًا في علوم الإسلام.

قال شيخنا الرشيد الحنفي ابن المعلِّم: عذلت الشيخ محيي الدين في تركه الحمَّام، وضيق العيش، وخوَّفته من مرض يعطِّله عن العلم، فقال: إن فلانًا صام حتى اخضر جلده.

كان الشيخ يمتنع جملة من أكل الخيار والفاكهة، ويقول: أخاف ترطِّبني، وتَجْلب النوم. وكان يأكل في اليوم والليلة غالبًا أكلة واحدة، ثم يشرب مرة عند السَّحَر.

قال ابن العطَّار: كلمته في الفاكهة، فقال: دمشق كثيرة الأوقاف، وأملاك المحجور عليهم، ثم المعاملة فيها على وجه المساقاة، وفيها حلف، فكيف تطيب نفسي بأكل ذلك.

وقد جمع ابن العطار له سيرة في ست كراريس، مضمونها العلم، والعمل، والزهد، والورعن وله «شرح مسلم» في مجلدات، و «رياض الصالحين» مجلد، و«مختصر علوم الحديث»، وهو «الإرشاد»، ثم اختصره، وسماه «التقريب»، وكتاب «المتمات» مُجَيْلِيْد، و«تحرير ألفاظ التنبيه» ، و«العمدة في تصحيح التلبية»، والمناسك مجلد، وله ثلاثة مناسك أُخَر، و«التبيان في أدب حملة القرآن» ، و«الفتاوى» ، و«الروضة» في أربعة أسفار، و«المهذَّب»شرح ربع في غاية الحسن والجودة، وشرح قطعة من «الوسيط»، وعمل قطعة من الأحكام، وكثيرًا من الأسماء واللغات، ومسوَّدة في طبقات الفقهاء، وأشياء لم تتم، وكان لا يقبل من أحد شيئًا إلا في النادر، يقبل شيئًا يسيرًا ممن لا يشتغل عليه، قد أهدى له فقيرًا إبريقًا فقبله، وعزم عليه صاحبه الخطيب برهان الدين الإسكندراني أن يفطر معه، فقال: هات الطعام، ونفطر معًا، فأكل منه، وكان لَونَين، وقلَّ أن كان يأكل إدامين، وكان قليل الضحك، عديم اللعب، بل هو جد صرف، يقول الحق، وإن كان عليه،

لا تأخذه في الله لومة لائم، ويواجه الأمراء، والظلم بالإنكار، ويكتب إليهم، ويخوفهم بالله، كتب مرة:

من عبد الله يحيى النووي، سلام الله ورحمته وبركاته على المولى المحسن ملك الأمراء، بدر الدين، أدام الله له الخيرات، وتولَّاه بالحسنات، وبلَّغه من خيرات الدنيا والآخرة كل آماله، وبارك له في جميع أحواله، آمين...، إلى العلوم الشرعية، أن أهل الشام في ضيق وضعف حال بسبب قلة الأمطار...، وذكر فصلًا طويلًا وفي طي ذلك ورقة إلى الملك الظاهر، فرد جوابها ردًّا عنيفًا، مؤلمًا، فتلبدت خواطر الجماعة.

وله غير رسالة إلى الملك الظاهر في النهي عن المنكرات. اهـ

وقال السيوطي في: رسالة «الجهر بمنع البروز على شاطئ النهر»، المطبوعة ضمن «الحاوي للفتاوى» (١/ ١٣٣) بعد أن نقل من «المغني» لابن قدامة، قال: وهو أجل كتب الحنابلة، وعلى منواله نسج النووي في «شرح المهذب». اهـ

وقد نقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض المواضع، ونقل عنه ابن كثير وترجم له في البداية والنهاية، وابن عبد الهادي ترجم له في «طبقات علماء الحديث»، ونقل عنه من بعد الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر ينقل عنه كثيرًا في «فتح الباري»، يستفيدون من تلك الترجيحات القوية، والأقوال المتينة في الفقه وغيره.

نعم زَلَّتْ قَدَمُهُ فيما يتعلق بتأويل الصِّفات، فهو فيها يُحذر منه، وكذلك مسألة التبرك بالصالحين يُحذر منه في هذا كغيره من الأشاعرة، ومما ينتقد عليه قوله في مقدمته لهذا الكتاب: اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال. وهذا غير صحيح كما بينا مختصر ذلك في مقدمة رسالة أخينا علي الرازحي في حكم التحديث بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال.

وأما ذكره في أول أربعينه هذه حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»، فقصده وقصد كثير ممن ابتدأ كتابه بهذا الحديث معالجة تصحيح النية، كما صرح بذلك غير واحد من أهل العلم.

قال ابن مهدي: لو ألفت كتابًا على الأبواب لجعلت هذا الحديث في أول كل باب، ويقول الشافعي رَحِمَهُ اللهُ إنه يدخل تحت سبعين بابًا من الفقه ويقول: هو ثلث العلم كما مرَّ بنا في مقدمة «السنن الصغرى» للبيهقي، وعلق البيهقي على هذا، فقال:

قُلْتُ: وهذا لأن كسب العبد إنما يكون بقلبه، ولسانه، وبنانه، والنية واحدة من ثلاثة أقسام اكتسابه، ثم لقسم النية ترجيح على القسمين الآخرين؛ فإن النية تكون عبادة بإفرادها، والقول العاري عن النية، والعمل الخالي عن العقيدة لا يكونان عبادة بأنفسهما، ولذلك قيل: نية المؤمن خير من عمله؛ لأن القول والعمل يدخلهما الفساد بالرياء، والنية لا يدخلها، وبالله التوفيق.

ولما كان هذا الكتاب النفيس يحفظه كثير من إخواننا طلبة العلم الصغار

والبادئين، عزمت أن أسوق أحاديثه بأسانيدها ليتعود من أراد سوق الأحاديث بأسانيدها على مثل هذه الأحاديث الميسَّرة، ومن أراد حفظها بغير أسانيد كما تعمد النووي ذلك، ولم نغيِّر من مقصوده -ولله الحمد- فالكتاب قد طبع عدَّة طبعات بغير أسانيد، فالأمر في ذلك واسع.

وأضفت إلى ذلك ما فتح الله به من الشرح عليه، راجيًا من المولى الكريم عز وجل أن ينفعني وإخواني طلبة العلم من المسلمين بذلك، وبالله التوفيق.

حديث الأعمال بالنيات

أول ما افتتح الإمام البخاري صحيحه به، فقال -رَحِمَهُ اللهُ-:

حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(١).

وأخرجه مسلم ولكن ليس في أول كتابه؛ كالبخاري، وكثير من المصنفين، ولكن ذكره في كتاب الإمارة فقال: [باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**الأعمال بالنية**»]، وأنه يدخل فيه الغرو وغيره، هذا وقد جاء الحديث عن غير عمر، وما ثبت إلا عن عمر كما في «جامع العلوم والحكم! لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب 6، ونقل عن الخطابي أنه قال: لا أعلم خلافًا بين أهل الحديث في ذلك. ولم يثبت إلا من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري، ورواه عنه أعداد، منهم من قال: سبعمائة، ومنهم من قال: نحو مائتين؛ ومنهم من قال غير ذلك. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: هذه مُبالغة، فقد جمعت طرق هذا الحديث من أول طلبي للعلم فلم أجد طرق

---

(١) واللفظ المتفق عليه: «**إنما الأعمال بالنية**».

هذا الحديث تصل إلى المائة.

قلت: الحاصل أنه رواه عن يحيى بن سعيد الأنصاري عدد كثير من طريق يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر، ولم يثبت سبب ورود هذا الحديث أن مهاجر أم قيس هاجر لقصد الزواج بها، فقال النبي - صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- هذا الحديث.

وإنما صح أن مهاجر أم قيس هاجر فتزوج تلك المرأة، فكان يقال له: مهاجر أم قيس، لكن ورود الحديث ليس من أجله كما نبه على ذلك الحافظ ابن حجر رحمة الله عليه في «فتح الباري» عند هذا الحديث.

وقوله: «**إنما الأعمال بالنيات**»: (إنما) أداة حصر، والمقصود بالأعمال هُنا صحتها وفسادها، أي: الأعمال الشرعية المفتقرة إلى نية، وإلا فالأعمال منها ما لا يفتقر إلى نية مثل: رد الأمانات، وكذلك رد العارية، لا تحتاج إلى نية؛ فإن حصلت نية للاحتساب يؤجر على احتسابه، وإلا فتصح بدون نيَّة، يمكن أن يرد الأمانة وتصح بغير نيَّة وكذلك العارية إذا أخذ صاحب الحق حقه.

قوله: «**وإنما لكل امرئٍ ما نوى**» من حيث الأجر، والإثم، فقد ينوي فعل طاعة ولا يقدر عليها؛ فيؤجر، وينوي فعل معصية فيعجز عنها مع السعي لحصولها؛ فيأثم، ويعمل عملًا لو نوى فيه؛ لأُجر، فلا ينوي فيه، فلا يؤجر ولا يأثم، كما سيأتي تفصيله في حديث العباس في هذه الأربعين.

ويؤتى بالنية للتفريق بين العادات والعبادات مثل التفريق بين غسل الجنابة وغسل التبرد، والتفريق بين الصوم الشرعي والصوم لقصد الحمية، والتفريق بين الرياضة وبين الصلاة...الخ.

وكذلك لتميز العبادات بعضها عن بعض، تمييز فرض عن فرض، كمن صلى -مثلاً- الظهر مع العصر، وكذلك تميز النافلة عن الفريضة، وتمييز الزكاة عن صدقة التطوع، فلو أخرج مالاً لقصد التطوع لا تُجزئه عن الزكاة، وتمييز صيام شهر رمضان عن غيره من الصيام وتمييز القضاء عن صيام التطوع، فلو صام تطوعًا لم يُجزئه عن قضاء صيام رمضان إلا أن ينوي قضاء رمضان، وتمييز حج الفريضة عن النافلة.

ويُقصد بالنية على المعنى الثاني تمييز المقصود بالعمل من غيره هل هو الله عز وجل أم غيره، وهذا الذي يُعنى به عند أهل العلم الإخلاص الذي هو شرطٌ في صحَّة العمل؛ لقول الله تعالى في الحديث القدسي: «**أنى أغنى الشركاء عن الشرك، من أشرك معي عملاً غيري تركته وشركه**» أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾، ويقول تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا

لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾﴾، وقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

فمن شرع في العمل لا يقصد به وجه الله؛ فعمله محبوط وهو مُشرك، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾﴾، وفي حديث الثلاثة أصحاب الغار كان أحدهم يقول: **«إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ فأفرج عنَّا ما نحن فيه، قال: فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون»**.

وقال أبو الحسن طاهر بن مفوز المعافري الشاطبي 6 يقول: هذا الحديث وثلاثة أحاديث معه تُعتبر عمدة الدين، وجمعها في قوله:

عمدة الدين عندنا كلمات ... أربع من كلام خير البرية

اتق الشبهات وازهد ودع ... ما ليس يعنيك واعملن بنية

وجاء عن الإمام أحمد: إن عمدة الدين ثلاثة أحاديث:

حديث عائشة أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**».

الثاني: حديث النعمان بن بشير، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَمَ- قال: «**إن الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور متشابهات**»...إلخ.

الثالث: وهو أعظمها، حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**» الذي نحن في صدد شرحه، ولا مانع أن تكون كلها عمدة للدين، وأكثر من ذلك، مثل حديث: «**الدين النصيحة**»، ونحوه.

قوله: «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

والهجرة أقسام: هجرة المعاصي، وهجرة المتعمدين للمعاصي، وهجرة بلد المعاصي وهي: الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام خوف الفتنة، وطلب إقامة الدين، ولكل منها تفصيل في أبوابه من كتب الفقه.

أمَّا هجرة المعاصي فواجبةٌ على كل مسلم، وقد ثبت من حديث عبدالله بن عمرو وهو في الصحيح أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»، ومن حديث عبدالله بن عمرو أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- سُئل أي الهجرة أفضل؟ قال: «**أن تهجر ما كره ربك عز وجل**»ومن لم يهجر المعاصي؛ فهو ضال

بقدر اقترافه منها، قال الله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينًا﴾ [٣٦: الأحزاب].

ومنها ما دل عليه حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وهو حديث صحيح، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**الهجرة هجرتان: هجرة الحاضر، وهجرة البادي؛ فهجرة البادي أن يطيع إذا أمر وأن يجيب إذا دعي، وهجرة الحاضر أعظم أجرًا وأعظم بليَّةً**»، وثبت عند أحمد وغيره من حديث فضالة بن عبيد أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب**»، قال أهل العلم عند هذا الحديث: هذه أفضل هجرة بعد الهجرة من بلد الكفر إلى بلد المعاصي، وقال الحافظ عند حديث ابن عُمر: أراد النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- تسلية الذين ما هاجروا، بأنهم عندهم هجره وهي هجرة المعاصي الذين لم يهاجروا إلى المدينة أراد النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- تسليتهم بذلك، فلهذا ممكن أن تهاجر ولو لم تتيسر لك الهجرة، تهجر ما حرم الله، فأنت مهاجر كما في هذا الحديث، وتقبل على عبادة الله عز وجل في الفتن، كما في حديث معقل في الصحيح: «**العبادة في الهرج كهجرةٍ إليَّ**»، هنيئًا لمن وفق للعبادة: من طلب للعلم: وقيام الليل، والدعاء لله سبحانه في أيام الفتن، والهجرة فضلها عظيم جدًّا، وهي من أسباب السعة في الرزق وغيره، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ

وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾.

وهجرة بلد المعاصي وليست الأرض كافرة؛ لأنه ممكن ذلك البلد يصير بلد إسلام، وإنما المقصود بها بلد كفر أن الأكثر فيها كفّار من الحكام والمحكومين؛ الأصل فيها الكفر فيقال بلاد كفر، أو كانت بدعة لا يستطيع الإنسان أن يُقيم دينه في ذلك المكان؛ فالهجرة واجبة من ذلك البلد، وجاء حديث: «**أنا بريءٌ ممن أقام بين ظهراني الكفار**»، وهكذا قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾.

وجاء في «صحيح البخاري أن هؤلاء كانوا مسلمين ولكن يُقيمون بين المشركين ويُكَثِّرُون من سوادهم ويخرجون معهم للغزو وإذا رمى المسلمون رموا فيهم، وهكذا كما ذكر الله سبحانه وتعالى عنهم استدلوا بهذه الآية على وجوب الخروج من ظهراني الكفار، وأنا اعتقد أن الذين يذهبون غربة في بلاد الغرب أنهم آثمون على بقائهم وعلى ذهابهم لغير حاجة مُلِحَّة، آثمون يذهبون ويخالطون المعاصي، ويتأثرون بالكفار بأقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم ولباسهم، وأمور يندى لها الجبين يا إخوان، من الفساد الذي لا يُستطاع تغييره، ومن ذلك ما ذُكر في تلك

الرسالة الصغيرة «مشاهداتي في بريطانيا»، حسب ما رأيناه هُناك ذَكَرْنَاه للعبرة.

أذكر أن الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ تعالى قال: (الرجوع إلى أمريكا والموت عندي سِيَّان)، هكذا أخبروني، قال لما فيها من الفساد، ولما فيها من الشر، والذي يذهب يرى الشر والفساد ما إن تنزل في المطار إلا وترى العُراة، وأنواع الفساد.

والهجرة لإقامة جين الله الحق من هدي الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، هاجر النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- من مكة إلى المدينة، وهاجر الصحابة إلى الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية، هاجر إبراهيم -كما في الصحيح- بزوجته، وَمَرُّوا على ذلك الجبَّار...القصة الخ، وهاجر أيضًا لوط ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾، قالوا: الضمير يعود إلى لوط، وهاجر موسى ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾، فالهجرة مشروعة، بل واجبة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام إلى ما هو أخف ضررًا ومن بلاد البدعة إلى بلاد السنة، هذا وفضلها، لا يتسع الوقت لذكر فضلها، فقد جاء من حديث أبي فاطمة «**عليك بالهجرة؛ فإنها لا مثل لها**».

والمهاجر لابد له من نيَّة؛ لحديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»، ومن أجل ذلك ذكر البخاري هذا الحديث في مواضع منها: [كتاب الهجرة]، والهجرة عبادة من العبادات الجليلة، وهي مستمرة إلى قيام الساعة كما في حديث معاوية بن أبي سفيان

رضي الله عنه: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**» أخرجه أبو داود في الباب الثاني من كتاب الجهاد، وصح عند أحمد في المسند من حديث جنادة بن أبي أمية أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد**»، وثبت أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو بن وقدان -ذكرته في «صحيح المفاريد!- أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار**». وأما حديث: «**لا هجرة عد الفتح، ولكن جهادٌ ونيَّة**» متفق عليه من حديث ابن عباس، وعائشة، وأخرجه البخاري من حديث ابن عمر مختصرًا كما في كتاب [مناقب الأنصار: باب هجرة النبي وأصحابه]، المقصود: لا هجرة أتم ولا أكمل كتلك الهجرة التي حصلت للنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- وأصحابه، وقيل: لا هجرة من مكة إلى غيرها؛ لأنها صارت دار إسلام، والأول أقوى، وقيل: كانت قبل أن يُهاجر النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- مستحبة فقط؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾، ثم بعد أن هاجر النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- صارت واجبةً بعد ذلك للتعلم من النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ولتأييده ولنصرته؛ لقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم

مِّيثَٰقٌۖ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾﴾، فلذلك صارت واجبة ثم بعد فتح مكة صارت مندوبة، والمرأة لها أن تُهاجر ولو بدون محرم بالإجماع، كما نقله ابن الملقن وغيره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾، وهذا مُستثنى من حديث «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُسافر إلا م ذي محرم**».

والمهاجر لا يجوز له الرجوع إلى بلده للبقاء فيه إلا ثلاثة أيام لحديث العلاء ابن الحضرمي أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- أذن لهم بعد الصدر ثلاثًا، ولحديث سعد بن أبي وقاص أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله أن مات بمكة**»، قال الشَّراح: أي أنه رجع إلى مكة بعد أن هاجر منها، وكان يبكي عندما مرض بمكة خائفًا أن يموت في مكان خرج منه، ولذا ننصح إخواننا الذين يأتون هجرة أن يأتوا بنية طلب العلم؛ لأنهم ربما يرجعون إلى بلدانهم، أو تتغير الأحوال بعد الهجرة فيكون فاعل ذلك مرتكبًا لكبيرة، أو يحصل ما يضطرهم للخروج من ذلك البلد الذي هاجروا إليه، والقوانين الدولية ما تعرف معنى مهاجر، أو يعزم أنه على أن لا يعود، وجزاه الله خيرًا.

ذكرنا هنا باختصار هجرة دار المعاصي، وهجرة المعاصي، وأدلة هجرة المعاصي التي فيها وجوب إتباع الحق وعدم إتباع الباطل كثيرة، وهجرة أهل المعاصي، وهم

يتفاوتون، منهم من يكون مبتدعًا، فهجره أمرٌ مطلوبٌ، وعليه أدلة الكتاب والسنة، وطريقة السلف رضوان الله عليهم، مثل حديث أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**»، وقوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**من سمع بالدجال فلينأ عنه...**»، أي: يبتعد عنه ويهجره، وقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**ألا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم أفشو السلام بينكم**»، قال بعض أهل العلم: لا ينبغي السلام على أهل الأهواء؛ لأن ذلك يدعوا إلى المحبة ولا محبة بين أهل السنة وأهل الأهواء، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

وعبد الله بن مغفل رضي الله عنه نهى قريبًا له عن الخذف، وقال: إن رسول الله نهى عن الخذف، وقال: «**إنها لا يصاد به صيدًا ولا ينكى به عدو، ولكنها تكسر السن، وتفقأ العين**»، ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له عبد الله: أحدثك أن رسول

الله نهى عنه ثم عدت تخذف، لا أكلمك كذا وكذا. متفق عليه. فهجر قريبًا له وما هو مبتدع، ولكن حصلت منه هذه المخالفة للدليل فَهَجَرَهُ، والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- هجر كعب بن مالك؛ وما عمل كعب بدعة، وليس في الصحابة -رضوان الله عليهم- مبتدع، وأما ذو الخويصرة الخارجي الذي قال لرسول الله: اعدل يا محمد، والله إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فقد نقل النووي وغيره أنه كان منافقًا، وأن أهل الإيمان ظاهرًا وباطنًا لا يتخاطبون مع رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- بهذا الخطاب المتضمن للطعن في رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- بعدم الإخلاص، وعدم العدالة، وإنما حصلت من أولئك الثلاثة -وهم: كعب، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع الذين تجمعهم كلمة (مكة)- مخالفة وهي أنهم ما غزوا مع النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- تبوك، فَهَجَرَهُم حتى نزل القرآن بتوبتهم.

أمر ابن سيرين بإخراج ذلك المبتدع ولم يكلمه، وقال: ما أراك إلا مبتدعًا، وأيوب قال لذلك الذي أراد أن يكلمه: ولا نصف كلمة، اذهب إلى شاكٍ مثلك؛ فإني على ثباتٍ من ديني. إلى آخر أقوالهم التي يطول ذكرها، وهجر أهل الأهواء أجمع على شرعيته أهل السنة، قال: أدركنا الناس كلهم ينهون عن أهل البدع.

وبما أنه قد يصعب حصر فوائد هذا الحديث، فنذكر ما قاله الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الإيمان، قال: باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، فدخل فيه: الإيمان، والوضوء، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم،

والأحكام. اهـ

وانظر ما ذكرته قبل البدء في شرحه، ترى تتمة من كلام العلماء لما ذكره البخاري هنا.

الحديثُ الثاني

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنِي أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ كَهْمَسٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ح و حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ وَهَذَا حَدِيثُهُ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنْ**

الْإِسْلَامِ؟»، فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: «**صَدَقْتَ**» قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: «**فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ؟**» قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: «**صَدَقْتَ**»، قَالَ: «**فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ؟**»، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: «**فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ؟**»، قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ**»، قَالَ: «**فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟**»، قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

وأخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة بنحوه، وحديث عمر أتم.

قوله: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلاً**» قال: «**فأخبرني عن الإيمان؟**» قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، قال: صدقت**»، فعجبنا له! يسأله ويصدقه. هذا الأمر يتعجب منه، مثل هذه الأسئلة العظيمة جبريل يسأل ويقول: «**صدقت**».

قوله: «**فأخبرني عن أمارتها؟**»، أي: علاماتها، قال: «**أن تلد الأمة ربتها**»،

وهذه العلامات من العلامات الصغرى، أكثر العلماء على أنها تكثر السراري فيتزوج الإنسان سريته وهو حُرٌ فتنجب بنتًا منه فتصير حرة وأمها رقيقة فتكون البنت سيدة أمها، الرَّبَّة هنا بمعنى السيدة، «**وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان**»، هذا يدل على كثرة المال في آخر الأزمان، وأن هؤلاء الأصناف يتطاولون في البنيان لما عندهم من المال، ثم انطلق فلبث مليًّا، أي: قيل ثلاثة أيام كما في رواية، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه لما خرج قال: «**ردوه**»، وما في الصحيحين مقدم.

هذا الحديث انفرد به مسلم، وكذلك أخرجه البخاري بنحو هذا من حديث أبي هريرة، وله ألفاظ أخرى في «سنن البيهقي» تبين أن معنى وضع ركبتيه على ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، أي: أن جبريل أسند ركبتيه إلى ركبتي النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-، ووضع كفيه على فخذي النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-، هذا في مقدمة «سنن البيهقي» بهذا النص، وهذا التبيين من أوهام سُليمان بن طرخان التيمي، فله في هذا الحديث بعض الأوهام منها، وغسل الجنابة وإسباغ الوضوء وأن تحج وتعتمر وبعض الألفاظ التي زادها سليمان بن طرخان التيمي تفرد بها على ما في الصحيح، واختلفوا في معنى وضع كفيه على فخذيه، منهم من قال أن جبريل جلس أسند ركبتيه إلى ركبتي النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم، وهذا يدل على تواضع طالب العلم وأدب طالب العلم.

وهكذا أيضًا وضع كفيه على فخذيه يعني جبريل وضع كفيه على فخذيه كذا

قال النووي وبعض أهل العلم ومنهم من أخذ تك اللفظة التي في «سنن البيهقي»، وقول النووي أقرب للصواب، وهو المناسب لهيئة طالب العلم.

سؤال: ما حكم الاستثناء في الإيمان؟

جواب: الشك في أصل إيمانه لا يجوز، وإذا كان يُريد باعتبار الخاتمة: أنا مؤمن إن شاء الله، هذا جائز، وإذا كان: أنا مؤمن باعتبار تنطبق عليَّ أحكام المؤمنين وأدخل تحت أحكام المؤمنين؛ فجائز، وإذا كان: أنا مؤمن إن شاء الله. لقصد التبرك بكلمة (إن شاء الله)؛ فجائز، حتى كامل الإيمان، قوله: أنا كامل الإيمان. فيه نظر، أما الشك في الإيمان لا يجوز، فطائفة أوجبوا الاستثناء، وطائفة حرموا الاستثناء، وأهل السنة فصّلوا بهذا التفصيل كما في «شرح الطحاوية» لابن أبي العز.

والإيمان له شعب مذكورة في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «**الإيمان بضعٌ وستون شعبة**[1]**؛ فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، الحياء شُعبةٌ من الإيمان**»، والإيمان له بشاشة؛ لحديث أبي سفيان المتفق عليه، وذلك الإيمان حين «**تخالط بشاشته القلوب**»، الحديث.

والإِيمان له علامات؛ لحديث: «**علامة الإيمان حب الأنصار، وعلامة النفاق بغض الأنصار**».

---

(١) وفي روايةٍ: «بضع وسبعون شعبة»، ورواية: «**وستون**» أصح.

والإِيمان له طعم؛ لحديث: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا**».

والإِيمان له حلاوة؛ لحديث: «**ثلاث من كُنَّ فيه وجد بِهِنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يُحِب المرء لا يُحِبُه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار**»، متفق عليه.

قوله: (أخبروهم أني منهم بُرَءاء وهم مني بَرَاء) إخبار وإعلان لهجرهم، وهذا من أدلة هجران أهل الباطل، وإعلان مفاصلتهم، وأدلة الولاء للحق وأهله، والبراء من الباطل وأهله كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾.

وقول ابن عمر: (والله، لو أنفق أحدهم مثل أحدٍ ذهبًا لن يقبل الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشرِّه)، هؤلاء القدرية كانوا منكرين لعلم الله، ويقولون: الأمر أنف، فالله لا يعلم الأمور إلا بعد حدوثها، ويظهر من قول ابن عمر تكفيرهم، وقد كفرهم أيضًا آخرون، منهم: عمر بن عبد العزيز، والشافعي -رحمهم الله-

وعدم قبول عمل الكافر دل عليه القرآن، قال سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾، فدل القرآن على أن الكافر لا تقبل نفقته لا فرضًا ولا تطوعًا، قال تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾، لكن هذا المذهب قد انقرض كما نص على ذلك شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى»، وقبله النووي في شرح مسلم، وأكثر ما يكون القدرية بعد ذلك النفاة،

الذين يقولون: الله خلق الخير ولم يخلق الشر، وهؤلاء هم أشباه المجوس الذين ينطبق عليهم حديث: «**القدرية مجوس هذه الأمة**».

قوله: (كان أول من قال بالقدر في البصرة معبد الجهني)، هذا فيه بيان معرفة أول من نشر الشر أو الخير، ولو في قطر من الأقطار، وأن معبد بن غيلان الجهني أحد المعتزلة نشر هذه البدعة التي أصلها من اليهود، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

وفيه أن بدعة القول بالقدر من العراق، وكثير من الفتن ظهرت في العراق، وقد قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- عن نجد العراق: «**منه الزلازل والفتن، ومنه يطلع قرن الشيطان**».

قوله: (فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن)، فيه: طلب الرفقة في السفر، وقد ثبت أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركبٌ**»، ونهى النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- أن يسافر الرجل وحده.

قوله: (حَاجَّيْنِ أو مُعْتَمِرَيْنِ)، وفي بعض النسخ: (حاجين ومعتمرين)، والشك لا يضر، فمحمول أنهما كانا متمتعين بالعمرة إلى الحج، فقال بعضهم: حاجين ومعتمرين، وقال بعضهم: حاجين، أو قال: معتمرين. وكله صحيح.

قوله: (فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-)، فيه الرجوع إلى أهل العلم عند المعضلات، وأن العلماء هم أهل الحل والعقد، وهم الذين يعقلون الأمور، قال تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾، ولا بأس بالنية مع الحج أو العمرة، لا يفسد ذلك، لو حج وهو قاصد أنه يحج ويشتري له تجارة بعد أن يحج فحجه صحيح، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾، وهكذا لو حج وهو يقصد أنه مع حجه يلتقي بالعالم الفلاني، أو الصديق الفلاني، يزوره، لا مانع من ذلك، ولا يضر، كما صنع يحيى بن يعمر، وحميد بن عبد الرحمن، بل كثير من أهل الحديث كانوا يلتقون بالموسم، ويسافرون من بلدانهم للحج، وللقاء الأئمة، فيصير نورًا على نور.

وفيه فضيلة للصحابة، أنهم عايشوا رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، وسمعوا منه وعندهم علمٌ غزير بغير تكلف، وأما من قال: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم؛ فهذا قول باطل، بل طريقتهم أسلم، وأعلم، وأحكم، وهم خير القرون الذين نزل الثناء عليهم من الله عز وجل في قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ

رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

قوله: (فسألناه)، فيه سؤال أهل الذكر، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾، فسؤال أهل الذكر قد حث الله عليه في كتابه كما سمعت، وليس كل الناس يُسألون، وإلا فعندهم من يدعي العلم في البصرة، وعمدوا إلى صاحب رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-.

والمسائل المشكلة المعضلة لابد بالرجوع فيها إلى أهل العلم، وعدم الخوض فيها، وإن كان الإنسان قد أنكرها بادئ الرأي، فأنت ترى يحيى بن يعمر قد حصل عنده إنكار لهذا الأمر في قلبه، وأراد سؤال أهل العلم حتى يقول: قال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنَهُ، وحتى يكون على بصيرة أكثر، ومن فضل العلماء أنهم أشد الناس نباهة لبيان الأقوال، والأفعال المخالفة للحق والإنكار على من جاء بها، سواءً كان في العقيدة، أو في أي وجه يُخالف الدليل.

قوله: (فَوفِّقَ لنا عبدالله بن عمر)، فيه أن ذكر الاسم واسم الأب يكفي عند معرفة الشخص، وذكر هذا ابن القيم في «زاد المعاد!، ومعنى (فوفِّق لنا)، أي: قُدِّر لنا، ولقيناه اتفاقًا، وهذا نحو قول بعضهم: لقيت فلانًا صدفة، ولا مانع من هذا القول؛ لحديث عبدالله بن عمرو، أن رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**إن نبي الله سليمان سأل الله عز وجل ثلاث خلال، سأل الله حكمًا يصادف**

حكمه فأوتيه، وسأل الله مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه»(١)، وفي الباب حديث: «**يوم الجمعة فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي، فيسأل شيئًا إلا أعطاه...**» الحديث، وفي حديث أنس، قال انطلق رسول الله إلى إم أيمن، فناولته إناءً فيه شراب، فلا أدري أصادفته صائمًا، وفي مسلم [كتاب الفتن (٢٩٤٢)]، قال: فصادفوا البحر يغتلم.

وعبدالله بن عمر ممن روى عن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- فوق الألف، وهو كذلك من العبادلة الذين اشتهروا بالعلم، وتأخر موتهم، واحتاج إليهم الناس، وحتى كان لهم تلاميذ كثير، وهم: ابن عمر، وابن عمرو، وابن عباس، وابن الزبير، مجموعون في قول الناظم:

أبناء عباس وعمرو وعمر وابن الزبير هم العبادلة الغرر

قوله: (داخل المسجد، فاكتنفته) لا بأس بالسؤال ولو لم يكن في مجلس الفتوى، وبوب عليه البخاري [السؤال في الطريق، أو السؤال في الراحلة].

قوله: (فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله)، شأن طلبة العلم المؤدبين ف الاحتفاء بالعالم.

قوله: (فظننت أن صاحبي سَيَكِلُ الكَلامَ إليَّ)، استدلوا بهذا على أن الذي

---

(١)أخرجه النسائي (٢/ ٣٤)، وهو حديث صحيح.

يتكلم في الأمور المهمة ولاسيما عند أولي الأمر من العلماء، والأمراء هو أبلغ القوم، أو أكبر القوم، الفاهم لمحاورات الناس؛ لحديث: «**كبر، كبر**»، حتى يفصح عن المقصود.

قوله: (يا أبا عبد الرحمن،) كنية عبدالله بن عمر، وفيه غاية الإجلال، قال الشاعر:

أكنيه حين أناديه لا   ألقبه والسوءة اللقب

وابن عمر إمام من أئمة الدنيا، وينادونه بكنيته دون مبالغة، فهذا الذي ينبغي: عدم الإطراء للعالم، ولا لغيره.

قوله: (إنه قد ظهر قبلنا رجال يقرءون القرآن ويتقفرون العلم)، وهذا نستفيد منه فائدة عظيمة، أنك لا تغتر بكل من قرأ القرآن، ولا كل من تتبع العلم وهو على منهج منحرف، وبعضهم يقول: فلان يحفظ«صحيح البخاري» و«صحيح مسلم»، والله، لو حفظ الكتب الستة كلها مع القرآن، وصار متدهورَ الحال، لا على عقيدة صحيحة، أو صار حزبيًا، أنه يصير ممسوخًا.

هؤلاء الناس يتقفرون العلم، يتتبعونه ويقرءون القرآن، هذه طريقة محمودة لو كانت على استقامة، لكنهم أفسدوها بالاعوجاج في العقيدة، ورحم الله يحيى بن يعمر فقد ذكر من شأنهم حسب ما يعلم، ذكر الحقيقة دون تلبيس في السؤال، لا كما يفعل الحزبيون، إذا ذهبوا يسألون عالمًا يصورون السؤال تصويرًا آخر، وما

يذكرون الحقيقة، ومن الأدب أن تذكر السؤال والعالم يجيب، لا كما يفعل بعض السائلين، كأنه يجيب نفسه بنفسه بقوله: ما رأيكم في هذا القول المنكر، أو الفعل المنكر.

قولهم: (إِنَّهُ لَا قَدَر)، هؤلاء كفار كما تقدم؛ لأنهم يردون الأدلة الدالة على علم الله السابق، ذكر أهل العلم عدم الخلاف على كفرهم.

قولهم: (وأن الأمر أُنُف)، أي: مستأنف ما علم الله الأمور إلا بعد حدوثها.

قوله: (إذا لقيتَ أولئك فأخبرهم أني بريء منهم)، وهذا مما يستدل به العلماء على إظهار العداوة لأهل الأطل على قدر ما يستحقون، وبيان الهجر لهم، والبراءة منهم.

قوله: (والذي يحلف به عبدالله بن عمر)،وهو الله عز وجل؛ لأنه لا يجو الحلف بغيره؛ لقوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**من كان حالفًا فليحلف بالله**»، فالحلف بغير الله شرك.

قوله: (لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً ما تقبل الله منه حتى يؤمن بالقدر)، معنى هذا أنهم كفار، إنما يتقبل الله من المتقين، وكما قال الله سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾، فهذا مصير من ابن عمر إلى تكفيرهم.

ثم قال: (حدثني أبي) يعني أمير المؤمنين أبا حفص عمر ب الخطاب، وهو أفضل الصحابة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفضائله كثيرة مذكورة في مواضعها من كتب التراجم، وفيه العناية بأسانيد الحديث، وهكذا كان السلف رحمهم الله، ففي مقدمة صحيح مسلم عن ابن سيرين رحمه الله قال: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذوا دينكم. وقال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدعة لا يؤخذ.

وقال عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. وقال أيضًا: بيننا وبين القوم القوائم -يعني الإسناد-.

ابن عمر أفتى، وأبرز الدليل على فتواه مسندًا، فهذا ينبغي أن يتنبه له صاحب العلم، يذكر الفتوى، ودليل الفتوى كما فعل ابن عمر، وكما هو أيضاً مذكور في موضعه من شروط الفتوى.

قوله: (بينما نحن عند رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- ذات يوم؛ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب)، من أدب طلب العلم أيضاً؛ فإن جبريل أتى لتعليم تلك الآداب: لباس الثياب البيض لطالب العلم، وهذا أفضل: «**ألبسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيهن موتاكم**»، جبريل أتى في ثياب بيض لقصد يعلمكم أمر دينكم، وأمر اللباس من الدين، وعليه أحكام، وفيه أنه عبر برجل وهو ملك، فهذا فيه أن الملائكة ذكور، يوصفون بالذكورية، وعلى ذلك عدد من الأدلة، منها

قوله تعالى: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾، وقوله: ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم﴾، وأنهم يوم بدر نزل خيارهم مسومين، يقاتلون مع رسول الله، ومنهم جبريل، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب**»، والله تعالى يقول: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾، وقال تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة﴾.

وَوَصْفُهُم بالأنوثة كفر أكبر، قال تعالى: ﴿أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون﴾، وقال: ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما﴾، وقال: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾، وقال: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾، وقال: ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾، ولم يأت في دليل واحد ما يصرف تلك الأدلة المتقدمة في خطابهم بلفظ المذكر، ولا إنكار ذلك، ولهذا قال العلامة ابن باز -رحمه الله- حين سئل عن قول بعض الناس عن الممرضات إنهن ملائكة الرحمة، قال: هذا الوصف لا يجوز إطلاقه على الممرضات؛ لأن الملائكة ذكور وليسوا إناثًا، وقد أنكر الله سبحانه على المشركين وصفهم الملائكة بالأنوثة.

قلت: وأما ما جاء في صحيح البخاري عن سعيد بن المسيب أنه قال: الملائكة ليسوا ذكورًا ولا إناثًا، فهذا لم يثبت، ولو ثبت؛ فينبغي أن يحمل على أن الملائكة

ليسوا ذكورًا ولا إناثًا من بني آدم، أو أنه اجتهاد منه لم يصب -رحمه الله-؛ لأن نفي الذكورية عنهم مطلقًا فيه معارضة لبعض ما ذكر هنا من الأدلة.

وقدرة الملائكة على التكيف هذا بأمر الله، هو الذي يغيرهم من حال إلى حال، أما هؤلاء الممثلون السقط فلا دليل لهم في هذا الحديث على التكيف تارة يمثل شيطانًا، وتارة يمثل عفريتاً، وتارة يمثل مغنِّية، وتارة يمثل سارقًا، فهؤلاء ما غَيَّرَهُمُ اللهُ، غَيَّرُوا أنفسَهم وغير الله بهم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾، غَيَّرَ الله بهم بسبب بعدهم عن الحق، مثلوا الشيطان يا إخوان، بل مثلوا رب العالمين، يأخذ كشافًا ويلمع به أنه يبرق ويزمجر بصوته كأنه يرعد.

سؤال: ما تعريف الإيمان عند الجهمية؟

جواب: هو المعرفة، فعلى هذا القول الباطل الشيطان مؤمن؛ لأنه عرف الله، قال تعالى: ﴿قَالَ رب أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤﴾، ومشركوا قريش مؤمنون، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾، واليهود أيضًا مؤمنون، قال تعالى: ﴿قَالُوْا نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وَأَحِبَّاؤُه﴾، وفرعون مؤمن، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾، فهذا تعريف باطل إلى الغاية، ودندن حول هذا التعريف الزنداني في كتابه ذلك المسمى

بالتوحيد.

سؤال: ما هو الإيمان عند الكرامية؟

جواب: هو القول باللسان، وعلى هذا التعريف الباطل؛ فالمنافقون الاعتقاديون يقولون: لا إله إلا الله، ويصلون، ويصومون، فالمنافقون على هذا التعريف مؤمنون، والواقع أن المنافقين ليسوا بمؤمنين، بل كفار في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾، فالمنافقون الاعتقاديون كفار بلا خلاف، نقل عدم الخلاف الحافظ رَحِمَهُ اللهُ، ولم يخالف إلا بعض الشذاذ، ومن مات على نفاقه الاعتقادي فهو كافر مُخلدٌ في النار، وقد ذكر الله في أول سورة البقرة أربع آيات في المؤمنين وآيتين في الكافرين ونحو أربع عشرة آية في المنافقين.

سؤال: ما هو الإيمان عند الماتريدية؟

جواب: هو التصديق، ويقرب منهم قول الأشاعرة.

سؤال: هل الخوارج يرون مرتكب الكبيرة من أهل التوحيد مؤمنًا؟

جواب: هم بالغوا في هذا حتى جعلوا من عمل معصية خرج من الإيمان، فمن

اقترف الكبائر ما دون الشرك فليس بمؤمن عندهم، فبالغوا في هذا، بل هو عندهم كافر مخلد في النار، وهذا قول باطل إلى الغاية؛ لأن الله يقول: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين*إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾، ويقول: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾

سؤال: ما هو الإيمان عند أهل السنة؟

جواب: الإيمان عندهم نطق باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وهو عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ لقول الله تعالى: ﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾، وقوله تعالى: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الآتي ي الفقرة التي تليها، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه، وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان**»

سؤال: هل الأعمال داخلة في مسمى الإيمان؟

جواب: نعم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ﴾، والمقصود به صلاتكم والصلاة عمل، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنَهُ، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**الإيمان بِضعٌ وستون شعبة، أعلاها**

قول لا إله إلا الله؛ وأدناها إماطة الأذى عن الطريق؛ والحياء شُعبة من الإيمان»، وإماطة الأذى عن الطريق عمل وهو داخل في مسمى الإيمان، رأيت كتابًا خرج قبل أيام ما صرّح باسمه ولا الدار التي طبعته -يجبنًا منه- وعنوانه: الكذب الفادح في اشتراط الإيمان في العمل الصالح والأوقات لا تساعد على الردود على كل من أتى بفرية، وإلا ففيه أقاويل غير صحيحة.

قال جبريل للنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**أخبرني عن الإسلام؟**»، فأخبره بأركانه، وأخبره بأركان الإيمان، و بركن الإحسان.

فمراتب الدين ثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان.

سؤال: هل ممكن أن يكون مسلمًا وما عنده شيء من الإيمان؟

جواب: لابد من الإيمان، والإيمان منه أعلى، ومنه أدنى، وليست هذه التعاريف مترادفة، ما هي مترادفة، لكنها درجات: إسلام، وإيمان، وإحسان.

فهذا الحديث شمل أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وركن الإحسان، وما من مسلم إلا وعنده إيمان، ولو أصل الإيمان، أما قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾،

وفي حديث سعد بن أبي وقاص: والله يا رسول الله، ما أراه إلا مؤمنًا، قال: «**أو**

مسلمًا، أو مسلمًا» مرتين أو ثلاثًا وهو يقول: «**أو مسلمًا**»، المقصود بذلك ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾، أي: لم يقوَ الإيمان في قلوبكم، أي لم يكتمل وإلا فالنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يقول: «**والله، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم**»، **وقال عليه الصلاة والسلام: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما أتاه**»، وقال: «**لا تدخل الجنة إلا نفس مسلمة**»، فدل على أن المسلم مؤمن؛ لأنه ما سيدخل الجنة إلا بالإيمان، قد يكون قويًّا في إيمانه، وقد يكون ضعيفًا.

وذكروا من فوائد هذا الحديث قوله: (لا يُرى)، وجاءت رواية: (لا نرى)، أيهما أرجح؟ (لا يُرى) هذه الصحيحة (لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد) دلالة الاقتران ضعيفة، وقد تقوى في بعض الحالات، وهي أن هذه الهيئة هيئة واحد ما هو مسافر، ثم ليس من أهل القرية حتى نعرفه ولا عليه شعث السفر.

قوله: (ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-)، جاءت زيادة: (حتى دخل، فسلم وقال: يا محمد، أدن، قال: أدنه، قال أدن، قال: أدنه)، وهي خارج الصحيح.

قوله: (فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذية)، جاء في «سنن البيهقي» (أنه وضع كفيه على فخذي النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-)،

وهي من طريق سليمان التيمي، وسليمان قد حصلت عنده زوائد في ذلك الحديث شذ بها، منها: «**تحج وتعتمر**» فزيادة: «**وتعتمر**» شاذة، وذكر الغسل من الجنابة وذكر إسباغ الوضوء، زوائد أنكرها عليه بعض أهل العلم، وعلى هذا فإن النووي يرى أن جبريل وضع كفيه على فخذي نفسه، لا على فخذي النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَمَ-، وهذا الذي يظهر أنه هو الصحيح، واللائق بتعليم طالب العلم أدب الطلب، فعلى هذا يكون جبريل جاء -كما في الحديث- على صورة رجل صفات الملائكة مثل صفات الأيدي، والكلام، والأجنحة، والقلوب، قال تعالى: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق﴾، والوجوه؛ لحديث: «**نزلت إليه ملائكة بيض الوجوه**» في حديث البراء في الموعظة على القبر، والكفان والفخذان؛ لحديث عمر هذا، والأعين؛ لحديث: «**إن ملك الموت أتى موسى فلطمه، ففقع عينه**»، ولهم سمع؛ لحديث: «**جلسوا يستمعون الذكر**»، والعاتق؛ لحديث: «**أُذِنَ لي أن أحدث عن ملك**»، والجبهة، والفم؛لحديث «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته**»، والأيدي؛ لقوله تعالى: ﴿والملائكة باسطوا أيديهم﴾، والرجلين؛ لحديث: «**فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه**»، وصفات كثيرة مذكورة، وما يتعلق بالإيمان بالملائكة أنهم كما ذكر الله عز وجل: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾، وأنه ليس كما يقول بعضهم قوى خيرية هذا كلام فلسفي باطل،

وأن كُلًّا منهم له عمل مكلف به، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ١٦٤﴾، فهذا خازن النار، وهذا ينزل بالوحي، وهذا ينزل بالقطر...الخ، قد ألف السيوطي في هذا جزءًا، وأخونا العامري له رسالة طيبة في الملائكة.

قوله: «**يا محمد، أخبرني عن الإسلام**»، هذا الاستفسار استدلوا به على أنه يجوز للسائل أن يسأل لقصد إفادة الآخرين، وكانوا يفرحون أن يأتي الأعرابي فيسأل ليستفيدوا جبريل سأل لإفادة الآخرين وتعليم أدب طلب العلم، هذا الحديث من أوسع الأدلة في آداب طالب العلم، ونظيره حديث أبي بن كعب في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، والحديث في الصحيح.

قوله: «**أخبرني عن الإسلام**»، التعليم إما عن طريق سؤال، وإما عن طريق إلقاء، النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كان يلقي على أصحابه بعض الأسئلة ليعلمهم، وإما أن يكون بالفعل، كما قال: «**خذوا عني مناسككم**»، وصلى على المنبر ليراه الناس فيأتموا به، ويتعلموا صلاته كما في الصحيح من حديث سهل بن سعد ففي حديث زيد بن واقد الليثي قال: دخل أناس والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يتكلم مع أصحابه وأحدهم وجد فُرجةً في الحلقة فجلس فيها، والآخر جلس خلفهم، والآخر أعرض، وقال بعد أن أتم كلامه: «**ألا أُنبئكم بالنفر الثلاثة**»، وهو متفق عليه، وهكذا: يا رسول الله، رجل لا يدري ما دينه، جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه، فجلس النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- على

الكرسي وعلمه حتى فقه دينه، ثم قام وأكمل خطبته، الحديث في مسلم عن أبي رفاعة، هذا وسيلة من وسائل التعليم، ووسيلة أخرى هي السؤال كما سأل جبريل النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- الحديث، وكما سأل النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- عن شجرة تشبه المؤمن؟ فوقع الناس في شجر البوادي، فقال بعضهم: هي النخلة.

وبحمد الله أهل السنة يجمعون بين هذا وبين هذا، وكان أبو سعيد يقول -كما في «مقدمة سنن الدارمي»-: تذاكروا؛ فإن الحديث يهيج الحديث.

قوله: «**أخبرني عن الإسلام؟**»، قال: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله؛ وأن محمد رسول الله وتُقيم الصلاة..**» الخ، لا شك أن شرح كل فقرة من هذه الفقرات تحتاج إلى وقت أوسع من هذا، وقد أفرد هذا الحديث غير واحد بالتصنيف، منهم: شيخ الإسلام بن تيمية في جزء مسمى «الإيمان الأوسط»، ولكن نأخذ ما تيسر.

قوله: «**صدقت**»، فيه تصديق الذي يوافق الحق، فلك أن تقول: أصبت، ولك أن تقول: نعم، ولك أن تقول: صدقت، إذا أجاب بالصواب على ما قال جبريل عليه السلام، فهذا من آداب طالب العلم، وأدب التلقين والكل جاءت به أدلة منها: أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال لأبي بكر لما أوّل الرؤيا: «**أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا**»، وقالت أم سلمة: هل لي من أجر في بني سلمة إن أنفقت عليهم؟ قال: «**نعم**».

قوله: «**وبكتبه**»، يعني بالقرآن، وبالتوراة، وبالإنجيل، وزبور داوود، وصحف

إبراهيم وموسى، كلها من عند الله عز وجل، ولكن تلك دخلها التحريف، وما يحرف منها فإنه منسوخ، وألف السخاوي «الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل» يذكرون هذا الكتاب من مؤلفاته، وللذهبي مبحث في هذه المسألة في ترجمة عمرو بن العاص في «سير أعلام النبلاء» وأيضًا ترجمة كعب بن ماتع كعب الأحبار من «سير أعلام النبلاء! بما حاصله أنه لا ينبغي التهوك على تلك الكتب، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، وهكذا قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾، والشافعي رحمة الله عليه يذهب إلى أن شرع من قبلنا ليس شرعًا لنا، وهذا هو الصواب، وحرره أيضًا ابن قدامة في «الروضة» هذا هو الصواب أن شرع من قبلنا ليس شرعًا لنا، وأن عندنا من كتاب الله وسنة رسوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ما يكفي: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ

دِينًا ﴾.

قوله: «**واليوم الآخر**»، اليوم الآخر من القبر وما بعده، «**القبر أول منازل الآخرة، من نجا منه فما بعده أيسر، ومن لم ينج منه فما بعده أشد**»، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا -رحمه الله- من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

قوله: «**وبرسله**»،الذي يكفر برسول واحد يكون قد كفر بجميع المرسلين، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٤١﴾، هم كذبوا رسولًا واحدًا، لكن بتكذيبهم ذلك الواحد صاروا مكذبين لجميع المرسلين، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣﴾، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧٦﴾، وقال: ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٨٠﴾، وقال: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقًّا وأعتدنا للكافرين عذابًا أليمًا﴾، ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾.

قوله: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، جاءت زيادة أيضًا: «**وحلوه ومره**» ذكرها الحافظ لاشك أن من القدر قدر خير وقدر شر بالنسبة للعبد وإلا فإن الله عز وجل الشر ليس إليه، أي: لا يصعد إليه، ولا يتقرب به إليه كما ذكر النووي رَحِمَهُ اللهُ من معاني هذا الحديث في شرح صحيح مسلم، وقد يكون شرًّا بالنسبة لما حصل للعبد.

قوله: قال: «**صدقت، قال: فاخبرني عن الإحسان؟**»، الإحسان قد يكون بين العباد، وقد يكون في العبادة كما هو مبين هنا، الإحسان إلى الوالدين، الإحسان في القول، الإحسان في الفعل، قال تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾، وقال تعالى: ﴿وأحسنوا إن الله يُحب المحسنين﴾، وهذا الحديث من أدلة المراقبة لله عز وجل: «**أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك**»، هذا فيه المراقبة يُراقب العبد ربه.

وفيه ذكر الساعة، وأنه إذا كان جبريل لا يعلمها ولا يعملها محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم-، فأجدر أن لا يعلمها غيرهما من المخلوقين، قال تعالى: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾، وقال: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها﴾، «**خمسٌ لا يعلمهن إلا الله**»، ومنها: «**لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**»، والله يقول: **﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾**»، إلى آخر الأدلة؛ ويأتي بعض المهلوسين ويُحدد

زمن قيام الساعة في رسالة «عمر أمة الإسلام» أكذب الله ذلك الكذاب، والسيوطي قدوته في هذه اللفلفة، فحقيقة أنه باطل وضلال، ذلك الكتاب فيه كذب، وفيه أيضًا تشكيك في شيء مقطوع به، وهو أنه لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله، هي ستقوم «**ستقوم في الجمعة**»، لكن الله أعلم أي جمعة؟

قوله: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»، قال: «**فأخبرني عن أمارتها؟**»، هذه الأمارات والعلامات المذكورة في هذا الحديث هي الصغرى وليست الكبرى.

قوله: «**أن تلد الأمة ربتها**»، معناه أن السراري تكثر، فيتزوج الرجل أمة وهو حرٌّ، فتلد بنتًا فتكون البنت سيدة أمها.

قوله: «**الحفاة العراة**»، فيه أن الإخبار عن صفات إنسان ليست غيبة، وليس قدحًا إذا كان على صفة التعريف بمن هذه صفته، لقصد التعريف لا للتنابز.

قوله: «**رعاء الشاة يتطاولون في البنيان**»، فيه أن كثيرًا من العرب يحبون رعي الأغنام حتى اشتهروا بذلك.

قوله: (فلبثت مَليًّا)، جاء تفسيره بثلاثة أيام، وهو في «الصحيحين من حديث أبي هريرة، مَليًّا أنه زمنًا قصيرًا، قال: «**ردوه**» لما خرج، فلم يجدوه، وهذا يدل أنه زمنٌ قصير، وليس ثلاثة أيام كما في تلك الرواية المخالفة للحديث الصحيح، والمعنى الصحيح.

قوله: «**أتدري من السائل؟**» أيضًا هذا من اختبار الطالب من باب التعليم

فقط.

قوله: (قلت: الله ورسوله أعلم)، فيه جواز إشراك الضميرين؛ فإن إشراك الضمير الذي أنكره النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- على ذلك الخطيب الذي قال له رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**بئس خطيب القوم أنت**»، لما سمعه قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى؛ لأن الخطبة شأنها كما قال النووي: الإيضاح، فأنكر النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ذلك، وأما إشراك الضميرين فقد جاء في هذا الحديث وفي غيره، هذا وقوله: (الله ورسوله أعلم) هذا في زمان حياته، أما بعد موته فالنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يُقال له: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، فلو سئلت الآن: كم قيمة هذا الكتاب؟ وأنت لا تعلم، لا يصلح أن تقول: الله ورسوله أعلم، ولكن تقول: الله أعلم، وحتى في الأمور الشرعية الأولى ترك زيادة: ورسوله هنا، بعد موته -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-.

ملخص فوائد حديث جبريل

وبعض الفوائد والزوائد على ما مضى

١ – فيه أن أول من قال بالقدر بالبصرة هو معبد الجهني.

٢ – فيه السؤال عما أشكل، أو لقصد تعليم الناس.

٣ – وأنه ينبغي للسائل أن يرفق في سؤاله.

٤ – وفيه أن الإنسان قد يكون يقرأ القرآن وهو جاهل، إذا لم يتربى عند علماء السنة.

٥ – فيه إعلان هجر المبتدعة.

٦ – وفيه أن طلب العلم بغير سنة لا يكون نافعًا لصاحبه، بل يكون ضررًا عليه في دينه.

٧ – وفيه وجوب المحافظة على هذه الأركان المذكورة في هذا الحديث؛ لأنها أصول الدين.

٨ – وفيه الرجوع إلى أهل العلم في المعضلات.

٩ – وفيه فضيلة العلماء، وأنهم ينظرون إلى الأدلة.

١٠ – وفيه جواز الرحلة إلى طلب العلم مع نية الحج والعمرة.

١١ – وفيه أن الذي يتكلم في الأمور المهمة هو أكبر القوم، أو أبلغهم.

١٢ – وفيه أن أولئك القدرية كانوا كفارًا؛ لأنهم أنكروا علم الله، وقد انقرض مذهبهم هذا.

١٣ – وفيه العناية بتعليم الدين الذي خلقنا الله من أجله.

١٤ – وفيه البراءة من البدع، وأهلها.

١٥ – وفيه أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يرى كفر هؤلاء القدرية.

١٦ – وفيه أن هؤلاء القدرية المذكورين في الحديث كانوا طلابًا، ولم يكونوا علماء.

١٧ – وفيه عدم تعجل الأمور قبل حدوثها بالإنكار، ما دام العلماء موجودين حتى يحكموا في الأمر، وإن ظهر للطالب إنكار ذلك، ونظير ذل قصة أصحاب مسجد بني حنيفة، وحال أبي موسى معهم ومع ابن مسعود.

١٨ – وفيه فضل الصحابة، وفضل علمهم.

١٩- وفيه أن صدقة الكافر فرضًا أو نفلًا لا تقبل.

٢٠- وفيه أن الإيمان بالقدر واجب لا يصح الإيمان إلا به.

٢١- وفيه أن لفظة: (لو) ليست مكروهة إلا إذا اعتُرِض بها على القدر أخذًا من قوله: لو قدر لنا. . . .

٢٢- وفيه تعليم أدب طلب العلم.

٢٣- وفيه السؤال لقصد التعليم، وقد كانوا يفرحون إذا قدم أعرابي فسأل عن مسألة.

٢٤- وفيه فضل اجتماع نيات خيرية متعددة.

٢٥- وفيه فضل لباس البياض، وينبغي للعالم والطالب أن يتحلى به أكثر من غيره.

٢٦- وفيه دليل لقاعدة: (دلالة الاقتران) من قولهم: لا يُرى عليه أثر السفر.

٢٧- وفيه ذكر الدليل على الحكم.

٢٨- وفيه إثبات الملائكة، ومنهم جبريل عليه السلام.

٢٩ – وفيه إثبات بعض صفاتهم.

٣٠ – وفيه تعريف أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وركن الإحسان.

٣١ – وفيه أن مراتب الدين ثلاثة: إسلام، وإيمان، وإحسان.

٣٢ – وفيه تصديق الصادق، أو من يوافق الصواب.

٣٣ – وفيه أن المراقبة لله تعالى إحسان.

٣٤ – وفيه إثبات رؤية الله لعباده، واطلاعه عليهم.

٣٥ – وفيه إثبات الساعة وأماراتها، وهي علاماتها.

٣٦ – وفيه أن القول بغير علم لا يجوز، ومن لا يعلم يقول: الله أعلم.

٣٧ – وفيه أن علم الساعة إلى الله، ومن ادعى علمها فهو دجال كذاب.

٣٨ – وفيه أن القدر منه ما يظهر أنه خير، ومنه ما يظهر أنه شر في نظر العبد.

٣٩ – وفيه أن من علامات الساعة الصغرى: كثرة السراري حتى تلد الأمة ربتها، أي: سيدتها.

٤٠ – وفيه شرح الإسلام، وشرح الإيمان للناس، وقد عمد جماعة من العلماء إلى التصنيف على هذا الترتيب المذكور في هذا الحديث.

٤١ – وفيه أن القدر فيه خير وفيه شر، أما حديث: «**والشر ليس إليك**»، فقد أوضحه النووي بأنه يدور على خمسة معاني: الأول: لا يتقرب به إليك، الثاني: لا يضاف إليك، الثالث: لا يصعد إليك، الرابع: ليس شرًّا بالنسبة إليك. الخامس: أنه ليس على انفراده يضاف إليك، وفي هذا القول الأخير نظر.

٤٢ – وفيه أن (رب) تأتي بمعنى (سيد)، وقد تأتي بمعنى (صاحب).

٤٣ – وفيه أن من علامة كثرة المال تطاول الفقراء في البنيان، وذلك لكثرة المال.

٤٤ – وفيه أن الإخبار المجرد عن قوم لا يكون تنقصًا لهم.

٤٥ – وفيه السؤال للاختبار، من قوله: «**أتدري من السائل؟**».

٤٦ – وفيه أن التعليم قد يكون بالفعل.

٤٧ – وفيه أنهم كانوا يقولون: الله ورسوله أعلم، وهذا في حياته.

٤٨ – وفيه أن اشتراك الضميرين ليس مكروهًا، وأما حديث: «**بئس الخطيب أنت...**»؛ فلأن الخطبة من شأنها البسط والإيضاح.

٤٩ – والجمع بين الحديث المذكور، وحديث ابن عباس في وقد عبد القيس، أن هذا دل على أن أعمال الباطن من الإيمان، وذلك دل على أن أعمال الظاهر من الإيمان.

٥٠ – وفيه رعية الغنم، والمشي حافيًا، وأن الانتعال أفضل كما في الحديث: «**المنتعل كالراكب، فاستكثروا من النعال**».

٥١ – وفيه أن التطاول في البنيان للتباهي.

٥٢ – وفيه تعجب الناس من الشيء الذي يستدعي العجب.

٥٣ – وفيه أن الأصل في السؤال للاستفادة.

٥٤ – وفيه أن من الملائكة رسلًا، ومعلمين.

٥٥ – وفيه أن الله أعطاهم قدرة على التكيف.

٥٦ – وفيه أن دين الله الحق هو ديننا، فيقال: دين الله، أي: أنه شرعه، ويقال: ديننا، أي: أننا ندين الله به، أخذًا من قوله: «**يعلمكم دينكم**».

٥٧- وفيه بيان فضل العالم وبيان أن جبريل كان المعلم لهم وسائلًا للنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، مع أن الراجح أن صالحي البشر أفضل من الملائكة.

٥٨- وفيه أن كتب الله يجب الإيمان بها جميعًا، وهي: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى.

٥٩- وفيه أدب لفظي من قولهم: بينما نحن جلوس عند النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، ولم يقولوا: وهو جالس عندنا.

٦٠- وفيه حسن أدب الصحابة -رضوان الله عليهم- في مجالس العلم من الإنصات، وغيره.

٦١- وفيه الرفق بالسائل.

٦٢- وفيه تعليم الطالب الأدب مع معلمه، من قوله: «**أُدْنُ يا محمد**».

٦٣- وفيه أن السائل يقدم السؤال بوضوح وبلطف.

٦٤- وفيه أن التجمل مطلوب، وليس بكبر.

٦٥- وفيه أن طالب العلم يفضل له لبس الثياب البيض؛ فإن جبريل جاء في صورة معلم الدين.

٦٦- وفيه أن المعلم يكون في هيئة حسنة.

٦٧- وفيه ترك الإطراء في المدح، من قوله: يا أبا عبد الرحمن.

٦٨- وفيه ابتداء الداخل بالسلام، ففي رواية للحديث عن أبي هريرة وأبي ذر، وفيه زيادة: أن جبريل قال حين دخل: «**السلام عليكم يا محمد**»، ثم قال: «**أدن يا محمد**».

٦٩- وفيه الرفقة في السفر.

٧٠- وفيه أن أكثر من يهتم بدعوة البلاد أهلها.

الحديث الثالث

قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثنا عُبَيْدُ الله بْنُ مُوسَى قَالَ أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**».

وأخرجه مسلم.

وهنا المضاف في قوله: «**وإقام الصلاة**» محذوف كما قيل:

ثـــلاثـة تحـــذف تاءاتهـــا	مضافـة عند جـميع النحـاة
وهـي إذا شئت أبو عـذرها	وليت شعري وإقام الصلاة

ذكر هذا الشوكاني عند آية: ﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ من تفسير سورة النور.

هذا الحديث متفق عليه، وقد توبع فيه عبيد الله، وتوبع فيه حنظلة، وتوبع فيه عقبة بن خالد، ومخرجه عبد الله بن عمر رضي ا لله عنهما.

وابن عمر من المكثرين:

المُكْثِرُوْنَ فِي رِوَايَةِ الأَثَر أَبو هُرَيْرَةَ يَلِيْهِ ابْنُ عُمَر
وَأَنَسٌ وَالحَبْرُ كَالخُدْرِيِّ وَجَابِرٌ وَزَوْجَةُ النَّبِيِّ

ابن عمر بعد أبي هريرة في الإكثار، وهو من العبادلة:

أَبْنَاءُ عَبَّاسٍ وَعَمْرٍو وَعُمَر وَابْنُ الزُّبَيْرِ هُمُ العَبَادِلَةُ الغُرَر

العبادلة، يعني الذي تأخر موتهم، وإلا فالعبادلة من الصحابة كثير فوق ثلاثمائة ممن يسمون بعبدالله، لكن هؤلاء الذين تأخر موتهم الأربعة: عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو، وابن عباس، وابن الزبير.

قوله: «**بني الإسلام على خمسٍ**»، في رواية: «**خمسة**»، وقوله: «**على خمس**»، أي: خمس دعائم، وقوله: على خمسة، أي: أركان، والأربعة مبنية على ركن واحد وهو الشهادة، لا تصح صلاة، ولا زكاة، ولا صيام، ولا حج، ولا غيرها من الأعمال إلا بعد كلمة التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، صدقًا وإخلاصًا لله سبحانه؛ ولهذا بدأ بها، وهي أول واجب، وآخر واجب على العبد؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- بعث معاذًا رَضِيَ اللهُ عَنَهُ إلى اليمن، قال: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله...**» الحديث متفق عليه.

وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال:«**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**»، وهذه دعوة المرسلين ما من نبي إلا ويدعوا إليها، قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾، وقال: ﴿واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا إلا الله﴾، كان النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يتبع المشركين في أسواقهم ذي المجنة، وذي المجاز وعكاظ، ويقول: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»، فهذه الكلمة من أسباب الفلاح، قال عليه الصلاة والسلام: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه**»، وفضل لا إله إلا الله أدلتها كثيرة ألف فيها جماعة من أهل العلم كابن رجب، وهناك رسالة في فضلها لأخينا: أحمد شفان الأهجري طيبة.

ولها ركنان: النفي، والإثبات، (لا إله) نفيٌ لألوهية دون الله سبحانه، (إلا الله) إثبات ألوهية الله سبحانه وتعالى، ولها ثمانية شروط نظمها بعضهم فقال:

علمٌ يقينٌ وإخلاص وصدقك مع ... مـحبَّـةٍ وانْـقِيَـادٍ وَالقـبـول لَـها

وَزِيْدَ ثَامِنُهَـا الـكُفْرَانُ مِنْـكَ بِما ... سِـوى الإِلَهِ مِـنَ الأَشْيَاء قَد أُلها

هذه شروطها مأخوذة من أدلةٍ القرآن والسنة، ما من شرط إلا وعليه دليل، تراجع في ذينك المصدرين كتاب ابن رجب وكتاب حافظ حكمي «معارج القبول» رحمهما الله.

ولو لم يكن من فضلها إلا أن من مات وهو لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنة كما في حديث أبي سعيد قال: قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنْ الْجَنَّةِ**».

أخرجه مسلم، وحديث البطاقة، حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**».

قوله: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**»، الشهادتان متلازمتان وقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**أمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله؛ وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم**»، دل هذا على أنه إن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله عُصم دمه وماله إلا بحق الإسلام، بل ويُعصم عرضه إلا بما خصص بدليلٍ، كما ذكر في ذينك البيتين لابن أبي شريف:

الـذَّمُّ لَيْسَ بـِغِيْبَةٍ فـِي سِتَّـةٍ ... متـظلِّمٍ ومـعرِّفٍ ومُـحَـذِّرِ

وَلِمُظْهِرٍ فِسْقًا وَمُسْتَفْتٍ وَمَنْ ... طَلَبَ الإِعَانَةَ فِي إِزَالَةِ مُنْكَرِ

نقلها الصنعاني في «سبل السلام»، وذكرها النووي في «رياض الصالحين» نثرًا.

قوله: (وإقام الصلاة) المقصود بإقام الصلاة، أي: أداء الصلاة المفروضة؛ لحديث طلحة بن عبيدالله، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنْ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**»، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «**لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**»، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَصِيَامُ رَمَضَانَ**»، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «**لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**»، قَالَ وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ، قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «**لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**»، قَالَ فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**».

فإن الصلاة المذكورة في هذا الحديث ركن من أركان الإسلام، والنوافل ليست من أركانه، إلا أن تارك النوافل يُلام عند أهل العلم الإمام أحمد يرى أن شهادته لا تقبل، فكيف بمن يزاول المعاصي، يصر على الصغيرة، ويتجرأ على الكبيرة.

فمن باب أولى أن لا تقبل شهادة من هذا حاله؛ لقول الله سبحانه: ﴿وأشهدوا

ذوي عدل منكم﴾، وقوله: ﴿فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء﴾، ولا شك أن المسلمين ما يرضون إلا العدول، ولقوله سبحانه: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾، فعلم من هذه الأدلة أن ما قاله جمهور العلماء، بل نقله بعضهم إجماعًا والصحيح أنه قول الجمهور أن شهادة الفسيق الذي يتجرأ على الكبيرة ويصر على الصغيرة أنها تُرد؛ لأنه ما هو عدل.

وإقام الصلاة يجب أن تكون كما صلى رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- القائل: «**صلوا كما رأيتموني أُصلي**».

وفي «الصحيحين عن أبي هريرة وجاء عن غيره في قصة المسيء صلاته أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال له: «**أرجع فصلِّ؛ فإنك لم تُصل**»، أي: ما قبلت صلاته وما هي صحيحة، ومثل هذه الصلاة التي على غير هدي رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- لا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر؛ لقول الله سبحانه: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾، قالوا: الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر التي يُصليها العبد كما صلاها رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- لم يكن هناك ما يمنع قبولها، فشارب الخمر لا تقبل له صلاة أربعين يومًا.

ما تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر في ذلك الوقت؛ لأنها ليست مقبولة، العبد الآبق ما تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر؛ لأنها ليست مقبولة، الذي يُصلي على غير طهارة ما تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر لأنها ليست مقبولة، وهكذا من لم تقبل صلاته أو تكون في ذلك الوقت غير مقبولة فإنها ما تنهاه عن الفحشاء

والمنكر.

الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام، ولهذا قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**علموا أولادكم الصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»، حتى الأبناء يضربون عليها وهم أبناء عشر، فهي واجبة على الرجال والنساء، والجن والإنس، والصغار والكبار، ومن لم يبلغ فليست بواجبه عليه، لكنه يعود عليها لما دل عليه حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده المذكور، وحديث سبرة بن معبد كذلك، فالصغار يُعَوَّدون عليها حتى يبلغوا وهم يصلون، ففي حديث جابر: «**بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة**»، وحديث ابن بريدة: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»، الأول في مسلم، والثاني صحيح.

وقال عبد الله بن شقيق أنهم أدركوا الناس من الصحابة لا يرون من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، وأمر خطير جدًّا يا إخوان ترك الصلاة ما هو في ترك المعاند فقط، أو المنكر لها، الجاحد لها، لو جحد أدنى من ذلك كفر، ولكن الأدلة عامة، ينبغي أن تُمَرّ على ما هي عليه حتى ولو تركها وليس بجاحد، فظواهر هذه الأدلة تدل على كفره.

قوله: (وإيتاء الزكاة)، الركن الثالث من أركان الإسلام: إيتاء الزكاة إلى مستحقيها، لو أدى الزكاة في شق الطرقات ما أداها على الصحيح، ولو اشترى بها الفرش، أو مكبرات الصوت، وحفر بها الآبار ما أجزأت عنه، وما هو مؤدي

للزكاة؛ لأن الله صرفها في كتابه في سورة التوبة، قال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾.

الفقراء والمساكين، والفقير: هو الذي يجد شيئًا لا يكفيه، والمسكين أدنى حالاً منه، والجابي: الذي يجبي عليها يُعطى منها مستحق ولو كان غنيًا والمؤلفة قلوبهم مستحقون، ولو كانوا أغنياء لتألف قلوبهم، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- لقبيصة: «**أقم حتى تأتينا الصدقة نأمر لك بها**».

قوله: ﴿والغارمين﴾، يعني الذي يغرم من ماله للصلح بين المسلمين أيضًا ولو كان غنيًا وهو غارم يُعطى من الزكاة.

قوله: ﴿وفي سبيل الله﴾، مثل شراء الكراع والسلاح ونحو ذلك للمجاهدين في سبيل الله، وطلبة العلم، يشملهم قوله: ﴿وفي سبيل الله﴾، على الصحيح، وابن السبيل هو المنقطع في الطريق، فيعطى ولو كان غنيًّا في بلده؛ لحديث: «مسكين وابن سبيل»... الخ، متفق عليه، وهناك فروع لهذه المسائل يطول ذكرها، ومانع الزكاة بخلاً لا يكفّر أما مانعها جحودًا فهو الذي يكفر؛ لأنه يكون قد رد هذا الركن هو الذي يكفر لما في «الصحيحين عن أبي هريرة: أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: « **مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ،**

حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ فَالْإِبِلُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلَا جَلْحَاءُ، وَلَا عَضْبَاءُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْخَيْلُ؟ قَالَ: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً، وَفَخْرًا، وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي ظُهُورِهَا، وَلَا رِقَابِهَا فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٌ، وَلَا تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ»، قِيلَ:

يَا رَسُولَ الله، فَالْحُمُرُ قَالَ: «**مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الْحُمُرِ شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَاذَّةُ الْجَامِعَةُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾**».

الشاهد أن كلمة: «**يُرى سبيله**» ما تكون في حق الكافر، الكافر ما يُرى سبيله للنار مباشرة، الذي يموت على الكفر الأكبر ولهذا قال في الحديث: «**يُرى سبيله**» يدل على أنه ليس بكافر إلا إذا جحد.

قوله: «**وصوم رمضان**» معلوم صوم رمضان وما فيه من الفضيلة وأنه ركن من أركان الإسلام، هو الركن الرابع؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن﴾ إلى قوله: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾.

وقوله: «**وحج البيت من استطاع إليه سبيلا**»، الاستطاعة هي الزاد والراحلة وأمن الطريق، ووجود المحرم، أو الزوج للمرأة، ولا يسقط الحج على مستطيع من الرجال والنساء، والجن والإنس، هذه الأركان كلها على الجن وعلى الإنس، وهي في سائر الملل، كما بيناه في الأجوبة على أسئلة الزكاة؛ لقوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**بُني الإسلام على خمسٍ**»، فمن كان مسلمًا فعليه هذه الأركان، والجن فيهم مسلمون، قال تعالى: ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾، فالمسلمون يجب عليهم العمل بهذه الأدلة، وبهذه الواجبات من توحيد، وصلاة، وزكاة، وصيام، وحج... الخ، ولا شك أن الصلاة أوجب من الحج؛ لأنها متكررة، وأن الحج إنما هو على المستطيع، وحديث ابن عمر هذا قد جاء عن عدد من الصحابة، وهذا الذي قرأناه هو المشهور في الباب، والحمد لله رب العالمين.

الحديث الرابع

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ عَبْدُ الله: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، وأخرجه مسلم.

هذا الحديث مخيف جدًّا، وذلك أن الإنسان لا يدري بماذا يُختم له؛ لأن الأعمال بالخواتم فعلى المسلم أن يبقى خائفًا خاضعًا ذليلاً لله سبحانه وتعالى داعيًا لربه أن يختم له بالحسنى، فمنهم من يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب؛ ولأن الله لا يظلم أحدًا يعمل بعمل أهل النار فيدخلها يدخل بعمله النار، قال تعالى: ﴿وما ربك بظلامٍ للعبيد﴾، قال الطحاوي رحمه الله: يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلًا، ويذل من يشاء ويخذل ويبتلى عدلًا.

هذا الحديث فيه كتابة الشقاوة والسعادة قبل أن يخلق العبد، ولكن الله ييسر

للحسنى من عمل بالحسنى، قال تعالى: ﴿فأما من أعطى وأتقى وصدق بالحسنى فنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾، وإنما يزداد المؤمن يقينًا بهذا الحديث أنه لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا وأن الأمر كله لله سبحانه ﴿إنك لا تهدي م أحببت ولكم الله يهدي من يشاء﴾، فلا يستطيع أن يتصرف في نفسه بحيث يصيرها لعمل خير ونفسه بين جنبيه فضلاً عن غيرها قد تزاغ وهو يشعر أنها زيغ ولكن لا يستطيع أن يملك نفسه قال الله: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾، وقال سبحانه: ﴿وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾، لذا فإنه يجب على المسلم أن يبقى داعيًا لله سبحانه وتعالى أن يثبته على ذلك، إمام المتقين -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يضرع إلى ربه بقوله: «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**»، ثبت هذا عن جماعة من الصحابة، منهم: عبدالله بن عمرو بن العاص، وفي حديث ابن عباس، وهو صحيح، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كان يقول: «**رب أعني ولا تعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسر هداي إلي، وانصرني على من بغى عليّ، رب اجعلني لك شاكرًا، لك ذاكرًا، لك راهبًا، لك مطواعًا، إليك مخبتًا ومنيبًا، رب تقبل توبتي واغسل حوبتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، واسلل سخيمة قلبي**»، يطلب من الله عز وجل أن يهدي قلبه، وهو إمام المتقين، وقد قال الله سبحانه: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾، ومع ذلك يدعو الله بهذه الأدعية خوفًا من الله وطمعًا في رحمته،

فعلى المسلم أن يبقى خائفًا من سوء الخاتمة إنما الأعمال بالخواتيم يا أخوان، خطر على الإنسان، يجعل القلب يبقى خائفًا من أن يسبق عليه عملُ أو رياء أو بعض الأعمال التي لا يرضاها الله سبحانه فلا يدري إلا وخاتمة السوء تهجم عليه نسأل اله العافية والسلامة.

قوله: (حدثنا رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- وهو الصادق المصدوق)، هذا بيان لما عليه النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، وقد جاء عن بعضهم قال: حدثنا البراء وهو غير كذوب، أيضًا هو بيان لما عليه البراء، فليس معناه قصد التعديل في هذه الموضوع إنما ذكر ما هو حاصل وما هو واقع، كان يلقب بالأمين أو الصادق الأمين يعرفه مشركوا قريش وغيرهم.

قوله: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه**» البطن يحوي الأمعاء ويحوي المعدة، ويحوي غير ذلك، ولكن المقصود هنا الرحم، ويقولون: إنه إذا لُصق بغير الرحم ما يحصل حمل ولا وضع، وإنما يحصل ضرر على المرأة في إثناء الحمل أو في أقرب وقت من الحمل، فالأدلة تدل على أن الحمل لا يكون إلا في الرحم.

قوله: «**أربعين يومًا**»، النطفة تكون علقه بعد الأربعين يومًا.

قوله: «**ثم يكون علقة مثل ذلك**»، علقة شيء من الدم لكنه متجمد.

قوله: «**ثم يكون مضغة مثل ذلك**»، أي: دم مثل اللحمة الممضوغة، ستكون مائه وعشرون يومًا، ثم بعد المائة والعشرين يرسل الله الملك، فينفخ فيه الروح.

وعلى هذا الحديث تبني أحكام وأنه إذا سقط الجنين بعد هذه الفترة يغسل ويكفن ويصلى عليه وأنه إذا أسقطوه عمدًا بعد هذه الفترة؛ فإن خرج ميتًا من إثر ضرب، أو قتلوه بعد هذه الفترة، بعض أهل العلم يقول: فيه القَوْد، وإن قتلوه خطأ، إنما أرادوا ضرب أمه وخرج ميتًا ففيه غرة عبد أو أمة، أو ما يقول مقام ذلك، وإن خرج حيًا ومات من إثر ذلك الضرب فنقل ابن عبدالبر الإجماع أن فيه الدية كاملة هذه بعض الأحكام على هذه المسألة بعد نفخ الروح والعمل على حديث ابن مسعود لا على حديث حذيفة بن أسيد الذي في «صحيح مسلم أنه بعد شهر صور لحمها ودمها الخ...؛ فإن حديث ابن أسيد مجمل بينه ما في هذا الحديث من التفصيل هذا مفصل وذاك مجمل غاية ما فيه أن الملك يقول: يا رب، نطفة يا رب، مضغة يا رب، علقة إلى آخره.

ويكون قد صورها، ويكون الملك قد عرف ذلك بحسب ما أعلمه الله إياه وما أطلعه الله عليه.

هذا والأقلام كثيرة، ذكر ابن القيم رحمة الله عليه جملة في ذلك:

القلم الأول: يدل عليه قوله تعالى: ﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾... الآية.

القلم الثاني: وهو أشرف الأقلام، ما ذُكِرَ في حديث عبادة بن الصامت أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**لما خلق الله القلم قال: له أكتب قال: وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة**»، وهذا القلم الشامل.

القلم الثالث: قلم كتابة الأجنة وشقي أو سعيد، وهو المذكور في حديث ابن مسعود هذا.

القلم الرابع: قلم البلوغ؛ لحديث: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ**»، جاء عن علي، وعمر، وهو صحيح.

القلم الخامس: ما ذكر في حديث ابن عباس أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**».

الشيء الثاني أن هذا الحديث فيه ذكر أطوار الإنسان وليس أطواره من أول خلقه، وإنما ذكر أطوار تكوينه في الرحم،﴾ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا﴾، وقال سبحانه مبينًا تلك الأطوار ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٦].

وأول خلق الإنسان من تراب، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾، ثم بعد التراب من طين قال الله ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾، يخلط الطين بالماء فبعد ذلك يكون طينًا لازبًا، وقولنا يخلط بالماء لقول الله سبحانه، ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ وقال سبحانه:

﴿هو الذي خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا﴾، فدل هذا على أنه من ماء.

والشافعي يقول كما في كتاب «السنن الصغرى» للبيهقي في كتاب [طهارة المنى]، يقول: أصل خلق آدم من تراب، والتراب طاهر، ومن ماء والماء طاهر، ثم بعد ذلك يخلط الماء بالطين فيصير طينًا لازبًا، قال تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقًا أمن من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب﴾، طين متماسك، ثم بعد الطين المتماسك، وقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون﴾، وقال تعالى: ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ والحماة: الطين الأسود والمسنون هو المتغير، ثم بعد ذلك يصير صلصالًا كالفجار مثل الحجارة والفخار معروف، فهذه مراحل الإنسان في خلقه، قال تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه﴾، أمشاج، أي: أخلاط، ﴿فجعلناه سميعًا بصيرًا﴾، هذا ما يتعلق بالأطوار التي قبل تكوينه في الرحم، والحديث فيه أطوار خلقه في الرحم فقط.

قوله: «**ثم ينفخ فيه الروح**»، وقوله: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ ليس فيه أثبات صفة الروح لله سبحانه، ولكن المقصود: ينفخ فيه من الأرواح التي عنده كذا قال أهل العلم؛ فإن هذه الروح مخلوقة وصفات الله تليق بجلاله سبحانه، ولا يجوز أن يعتقد أن صفات الله مخلوقة.

قوله: «**ويؤمر بأربع كلمات: كتب رزقه**»، يدل على أن الرزق مفروغ منه، وأن هذا شيء مكتوب منذ أن كان العبد في بطن أمه، يرزقه في بطن أمه من ثدي أمه،

ويرزقه وهو وليد، وهو كبير إلى أن يموت، قال تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾، وقال: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾، هذا موعد من الله سبحانه وتعالى لا يخلف، رب العالمين يقول: رزقك عندي، ﴿ومن أصدق من الله حديثًا﴾، ولهذا يجب على المؤمن أن يؤمن أن الله رازقه: «**إنها لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**».

قوله: «**يؤمر بكتب رزقه**»، وهو شامل لكل ما يسمى رزقًا، سواء رزق المال، أو رزق العلم والهداية، أو غير ذلك، ولا يتعارض هذا الحديث مع حديث أنس بن مالك أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**من أحب أن يبسط في رزقه وينسأ له في أثره، فليصل رحمه**»، فالرزق معلوم، والأجل محتوم، وقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- لأم حبيبه: «**لقد سألت الله لآجال مضروبة، وأرزاق معلومة**»؛ لأن العمل الصالح من أسباب سعه الرزق، ومن أسباب طول العمر، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار**»، من حديث عائشة في «الصحيح المسند»، فعُلم من هذا أن من أسباب سعة الرزق صلة الأرحام.

والصواب أن التغيير بما في أيدي الملك، قال تعالى ﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾، وقال: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾، وأما الذي عند الله فلا يغير ولا يبدل، وليس للإنسان أجلان، بل أجل واحد ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾، والمعتزلة يعمدون إلى بعض الشبهات فيثبتون أجلين

ويقولون من قُتل خرم أجله وهذا باطل ترده الأدلة من القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾.

قوله: **«وشقي أو سعيد»**، ليس فيه دلاله للمجبرة، بل فيه دلاله للمؤمنين المتوكلين على الله المعتمدين عليه اللاجئين إليه، المنيبين إليه، المخبتين إليه، العاملين بالأسباب، قال تعالى: ﴿فأما من أعطى وأتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى*وأما من بخل وستغنى وكذب بالحسنى فنيسره للعسرى﴾، وقال: ﴿وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾، وقال سبحانه: ﴿إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾، وقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾، ﴿والذين اهتدوا وزادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾، يدل هذا على أن الإنسان له عمل يجزى به، وأن من سعى إلى الخير وتقرب إلى الله تقرب الله إليه، فهو القائل كما في الحديث القدسي: «**ومن تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**»، وقال في الحديث القدسي الآخر: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ**

تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا؛ فَلْيَحْمَدْ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»، انفرد به مسلم من حديث أبي ذر، «**وشقي أو سعيد**»، فمنهم شقي وسعيد، والإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ يقول:

ما شئت كان وإن لم أشأ	وما شئت إن لم نشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت	ففي العلم يجري الفتى والمسن
فمنهم شقي ومنهم سعيد	ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا مننت وهذا خذلت	وهذا أعنت وذا لم تعن

إلى آخر الأبيات التي تعزى إليه رَحِمَهُ اللهُ في هذا أن أدلة القدر تفيد المسلم لجوءًا إلى الله سبحانه وتعالى، ورجوعًا وخوفًا منه، وأهل الباطل ما يستفيدون منها بل يستدلون بها على نفي القدر أو على الجبر؛ فإن الجهميه مجبرة بالغوا في القدر حتى جعلوا الإنسان كالريشة في مهب الريح ليس له إرادة، والمعتزلة نفاة للقدر

حتى جعلوا الإنسان يخلق فعل نفسه وكلا الأمرين باطل، قال تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقنا بقدر﴾، وعلى الإنسان أن يستعين بالله سبحانه على طاعته: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين*اهدنا الصراط المستقيم﴾.

قوله: «**فو الله الذي لا إله إلا هو**»، يجوز الحلف بغير استحلاف وذلك لأدلة كثيرة، وفي القرآن من ذلك ثلاثة مواضع أمر الله نبيه أن يقسم فيها: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن﴾، أقسم الله في هذه الآية: ﴿ويستنبئونك أحق هو قل أي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾، ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم﴾، وفي السنة كثير من قوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**والذي نفسي بيده**»، لكن ينبغي للإنسان أن لا يحلف إلا على توكيد أمرٍ مهم، وعليه أن يحفظ إيمانه لقول الله سبحانه ﴿واحفظوا إيمانكم﴾، فلا تضارب بين الأدلة فالمسألة التي تحتاج تأكيدًا عليها، فلك أن تحلف إن شئت لتثبت ذلك.

قوله: «**لا إله إلا هو**»، وهذا فيه توحيد ألوهيه: لا إله إلا هو، قال تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا هو واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾.

سؤال: من هو الذي رد حديث ابن مسعود؟

جواب: هو عمرو بن عبيد بن باب كما في ترجمته من «الميزان» و«تهذيب الكمال»، قال -عليه من الله ما يستحق-: لو سمعت هذا الحديث من الأعمش لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته -في «تهذيب الكمال»: لما أجبته- ولو سمعته من بن مسعود لما قبلته، ولو سمعته من رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى

آلِهِ وَسَلَّمَ- لرددته، ولو سمعت الله يقول ذلك لقلت: ما على هذا أخذت ميثاقنا.

حمله على ذلك اعتزاله الفاسد، وردُّه للقدر، وقد ذكر في «شرح الطحاوية» -إن ثبتت القصة إليه- وقدر رأيتها في اللالكائي، وذكرها ابن بطة بغير سند، أن أعرابيًّا أعقل من عمرو بن عبيد قال: يا قوم، ناقتي ضلت، فادعوا الله أن يردها إليَّ، فقال عمرو بن عبيد: اللهم، إنك لم تُرِدْ أن تضل ناقته وقد ضلت، فارددها عليه، فقال الأعرابي: يا هذا، لا حاجة لي في دعائك؛ لأنه إن كان لم يُرِدْ أن تضل فضلت، فأخشى أن يريد أن تعود فما تعود.

كان أعقل من هذا المعتزلي الضال: عمرو بن عبيد، وهو متروك في الحديث، وكان يُظْهِرُ الزُّهْدَ حتى ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» أن أبا جعفر المنصور دخل عليه جماعة من القراء، ودخل عمرو بن عبيد، فأعطى القراء مالًا فأخذوه، وأعطى عمرو بن عبيد فلم يأخذه، فاغتر به المنصور جدًّا، وقال:

كلكم يمشي رويد　　كلكم يطلب صيد

إلا عمرو بن عبيد

قال ابن كثير: ولو تبصر المنصور لعلم أن واحدًا من أولئك القُرَّاء خير من ملء الأرض مثل عمرو بن عبيد.

بعض فوائد حديث ابن مسعود

قال النووي رحمه الله:

اتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر، كما في هذا الحديث.

وفي هذا الحديث تصريح بإثبات القدر، وأن من مات على شيء حكم له به، من خير أو شر، إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر تحت المشيئة.

قلت: وفيه أنه لا يجوز أن يُشْهَدَ لأحد بجنة ولا بنار وهو حي، ما لم ينص دليل على ذلك عن الله ورسوله.

وأن الناس قسمان: إما شقيٌّ من أهل النار، وإما سعيدٌ من أهل الجنة.

وأن العبد في فسحةٍ ما دام حيًّا، فإذا مات ختم على عمله من خير أو شرٍّ؛ فالأعمال بالخواتيم.

وأن الروح ذاتٌ مخلوقةٌ تُنْفَخُ في الجسد.

الحديث الخامس

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ[١] حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**». وأخرجه مسلم.

وَنَبَّهَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في شرحه لصحيح مسلم على أن الرواية الثانية يُحتج بها على أهل الأهواء.

قال: قد يقول بعض أهل الأهواء: ما أَحْدَثْتُ هذا العمل أنا، أحدثه فلان من المتقدمين من الضلال، أنا عملت به وأحدثه غيري، قال: فيحتج عليه بالرواية الثانية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»، أحدثته أنت أو غيرك.

هذا الحديث يعتبر أصلاً عظيمًا في معرفة البدع، وغيرها من الأحكام التي ستأتي الإشارة إليها، وحديث عائشة المتفق عليه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قول الله تعالى: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾، فقال: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فاعلموا أنهم الذين سمى الله، فاحذروهم**»، هذا أصل عظيم في معرفة أهل البدع؛ فحديث عائشة الذي في

---

(١) وقد اختلفوا في يعقوب هذا، ورجح الحافظ أنه الدورقي.

الباب أصلٌ في معرفة البدع، وحديثها الذي في تفسير الآية أصل في معرفة أهل البدع.

والذي يرى كلام أهل العلم على هذا الحديث يتعجب من ما يبنون عليه من الأحكام، ومن المسائل، وقبل هذا يجب أن يُعلم أن البدعة تنقسم إلى: بدعة لغوية وبدعة في الشرع، فالبدعة اللغوية ما كانت في أمور الدنيا، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**».

والبدعة في الشرع، هي -كما يقول الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ-: طريقة مخترعة في الدين يقصد بسلوكها التعبد.

وقيل **في تعريفها:** هي ما أحدث على غير مثال سابق ويراد بها التعبد، وليس عليها دليل من الكتاب والسنة، وقد ذَمَّها القرآن والسنة أيما ذم فربنا سبحانه يقول: ﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين﴾، فالمبتدعة مفترون، يتهمون دين الله بالتقصير و النبي - صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يقول: «**ألا وإن كل بدعة ضلالة**»، من حديث جابر وجاء بنحوه من حديث العرباض بزيادة: «**وكل ضلالة في النار**»، فالذي يُقَسِّمُ البدعة إلى الحسنة وسيئة ما عنده دليل على هذا التقسيم، بل تقسيمه هذا متعارض مع الحديث المذكور: «**كل بدعة ضلالة**»، و(كُل) من ألفاظ العموم، فكل بدعة في الدين ضلالة، والإحداث: تشريع ما لم يأذن به الله، قال تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾.

فالسُّنَّةُ وَحْيٌ يوحى، قال تعالى: ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى وإن هو إلا وحيٌ يوحى﴾.

والعبادات توقيفية، قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾، وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثره مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**»، وقال الله تعالى: ﴿أو لم يكفهم أن أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾، وثبت من حديث العرباض بن سارية وغيره، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**تركتكم على البيضاء**(١) **ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»، وثبت أنه قال: «**لكل عمل شِرَّةٌ، ولكل شِرَّةٍ فترةٌ، فمن كانت فترته إلى سنتي؛ فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك؛ فقد هلك**»، هكذا قال رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، البدعُ مهلكة، والثلاثة الذين جاؤوا إلى أبيات النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يسألون عن عبادته، فقال لهم رسول الله: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»، وكلمة: «**ليس منا**» تبقى على الوعيد وإلا لها معنيان: إن كان في حق المبتدعة الكفار فليسوا على ملته، وهم كفار، وليسوا مِنَّا، ولا على ملَّتِنَا، وإن كان في حق المبتدعة الضلال «**فليس منا**» يعني على غير طريقتنا، وجمهور العلماء على أن المبتدع في الدنيا يستحق الإهانة، والإذلال، والتوبيخ، وبيان سبيله، وفي الآخرة

---

(١) زيادة: «المحجة» ضعيفة.

تحت المشيئة ما لم تكن بدعته مكفرة، والمبتدعة يطردون عن الحوض يوم القيامة كما في الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما التي سبق بيانها في «شرح اللامية».

«**يقال: بُعْدًا بُعْدًا، سُحْقًا سُحْقًا لمن غير وبدل**» جملة أحاديث في هذا الباب في، أنهم يذادون عن حوض النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- لما يحصل منهم من التبديل والتغيير في الدنيا.

والنهي يقتضي الفساد، وهذا هو قول جمهور الصحابة رضوان الله عليهم لهذا الأصل، وأنت تراهم أيضًا يبنون أحكامًا على هذا الحديث فكل ما خالف الشرع من البيوع، أو الشراء، أو النكاح، أو الطهارة، أو الصلاة، أو الصيام، وغير ذلك من أمور الدين يستدل عليه بهذا الحديث، وحكموا على طلاق الرجل لامرأته وهي حائض أنه ما ينفذ، قالوا: لأن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- يقول: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

وقوله: «**رد**»، قال النووي: بمعنى مردود.

وهذا طلاق بدعي، هو مردود لولا أن حديث ابن عمر قد نص على أنها حسبت عليه طلقة، وأُمر أن يراجع زوجته، ولو لم تحسب عليه لما أُمر أن يراجعها، وهكذا بيع ما ليس عندك مردودٌ، وكذلك البيوع المحرمة مردودة، وربما يكون مردودًا والعمل صحيح مع الإثم، مثل من يتوضأ أربع مرات، يغسل يديه مثلاً أربع مرات، فوضوءه صحيح وهو آثم على بدعته إذا تعمدها، ثم يُعلم أن ليس كل

من وقع في البدعة يكون مبتدعًا، قد يقع فيها سهوًا، وقد يقع فيها جهلًا، وقد يقع فيها كرهًا، فمثل هذا لا يقال مبتدع، ولابد من قيام الحجة على من حصل منه ما يخالف الشرع قبل الحكم على شخصه بما دل عليه الدليل من فسق، أو بدعة، أو كفر، قال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾.

بعض فوائد الحديث

فيه: أن كل بدعة ضلالة، ولا يقبلها الله، وليس في البدعة ما هو حسن.

وفيه: وجوب اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن شروط قبول العمل ثلاثة: الإسلام، والإخلاص، والمتابعة؛ لقول الله تعالى: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾، ولهذا الحديث.

وفيه: أهمية الحذر من الاستحسان في الدين.

وفيه: أن العمل داخل في مسمى الإيمان، فإذا لم يقبله الله من صاحبه، كان صاحبه معرضًا للعذاب.

وفيه: أن الأمر المذكور في الحديث المقصود به الدين.

وفيه: خطر البدع على الدين.

الحديث السادس

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللهَّ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**». وأخرجه مسلم.

هذا الحديث جاء عن جماعة منهم: جابر، وابن عباس، وابن عمر، وعمار، وابن مسعود، وأصح ما في الباب حديث النعمان هذا.

قد علمت أن هذا الحديث أحد الأحاديث الثلاثة التي قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ أن مدار الإسلام عليها، النعمان بن بشير هذا حديثه، وقد جاء عن بشير بن سعد والد النعمان ولم يثبت عنه، ذكرناه في «ضعيف مفاريد الصحابة»(١)، أما صحبة بشير فثابتة يقينًا، وهو الذي أتى بولده نعمان إلى النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَمَ-، فقال: يا رسول الله، إني نحلت ابني هذا شيئًا، فقال: «**أكل ولدك**

---

(١) رقم (١١).

نحلته؟» قال: لا قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم لا تشهدني على جور**»، وفي رواية: «**على زور**»، فأنكر النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ذلك، وأمره أن يرجع في عطائه ذلك

سؤال: من هي زوجة بشير بن سعد، والدة النعمان التي سألت بشيرًا أن يخص ولدها النعمان منه بعطيَّةٍ دون إخوانه؟

جواب: عمرة بنت رواحة أخت عبدالله بن رواحة وهي مترجمة في «الإصابة».

قوله: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ**»، ثبت أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرم الله**»، وإنما النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- هو المبلغ عن الله، فقوله عنه: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾، أي: إنه يبلغ ذلك.

إن الحلال بَيِّنٌ مَعْرُوْفٌ لديكم، مثل: بهيمة الأنعام، وشرب الماء، وأكل الخبز، وأكل اللحم، وسائر الفواكه مما هو حلال لا يعتريه تحريم، والحرام بَيِّنٌ، مثل: الخمر، والخنزير، والميتة، والدم، وفي اللباس: من الحرير لمن ليس به حكة، ولبس الذهب للرجال، ومن البيوع: النجش، والغرر، والربا.

وما توفي النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- حتى اكتمل الدين «**تركتكم على البيضاء ليها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»، فالنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قد بَيَّنَ الحلال والحرام، إما بَيَّنَهُ الله في كتابه نصًّا، وإما بَيَّنَهُ النبي -صَلَى اللهُ

عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- للدلالة على أنه نبي، أمره الله بالبيان، قال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾، وقال: ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**أكتب فو الذي بيده ما يخرج من هذا اللسان إلا حق**»، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**يوشك أن يجلس أحدكم على أريكته يقول ما جاءنا عن الله أخذناه ألا وإن ما جئت به وحي يوحى...**» الحديث، عن أبي واقد وغيره، وهو صحيح، الشاهد من هذا: أن الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ، الزنا واضح، وقتل النفس التي حرم الله تحريمه واضح، والكذب، والغش، وغير ذلك من المحرمات واضحة.

والحلال مثل: أكل الطعام الطيب، ومثل أكل الخبز الطيب الذي من كسب حلال واضح، الحِلُّ واضح، سواء كان في الأشربة، أو في اللباس، أو في البيع أو في الشراء، أو الأنكحة.

وهناك أمور متشابهة مثل: شراب النبيذ، فقد اختلفوا فيها، بغض النظر عن الراجح في الأطعمة مثل: لحم الخيل، ولحم الضبع[(١)]، وفي اللباس مثل لباس

---

(١) لحم الضبع جائز؛ لحديث جابر أن النبي ص قال: «**الضبع صيد وفيه شاة**»، وهو حديث صحيح، ولحم الخيل حلال؛ لحديث أسماء أنهم نحروا فرسًا على عهد النبي ص فأكلوه، ولباس المعصفر منهي عنه؛ لحديث عبدالله بن عمرو عند مسلم أن النبي ص رأى عليه ثوبًا معصفرًا، فقال: «**أبهذا أمرتك أمك؟**» قال: أخلعه يا رسول الله؟ قال: «**بل احرقه، إن هذا من لباس الكفار، إن هذا لا يحل لك**»، ولباس الحلي للنساء

المعصفر اشتبه على بعضهم، وكذلك بعض الألبسة مثل خاتم الحديد اختلف فيه بعضهم، والصحيح جواز لبس خاتم الحديد؛ لاسيما للنساء.

قوله: «**فمن اتقى الشبهات فقد أستبرا لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرعى فيه**»، ابن مسعود ثبت عنه عند هذا الحديث في رجل دعا آخر لطعام وطعامه ذلك مختلط بحلال وحرام، قال ابن مسعود: لكم الهناء وعليهم الإثم، أذن لهم بالأكل في مثل هذا، وأما إن علم الإنسان أنه من حرام صرف وهو متأكد من ذلك، فهنا يبتعد، لا ينبغي أن يأكل من ذلك الطعام الذي هو من حرام صرف، مثلاً ذهب واشتغل في الربا في البنك وعنده دخل من هنا ومن هنا أو لا تدري من أين طعامه ذلك؟ تأكل والإثم عليه، ولك الهنا.

قوله: «**وبينهما أمور متشابهات**»، يدل على أن هذه المشتبهة ليس معناه أنها لا تعلم البتة، ولكن يعلمها أهل العلم، وأهل العلم ما هم أكثر الناس، بل أقل الناس، وأكثر الناس هم العامة، ولكن الموفق من الذين لا يعلمونها هم الذين يبتعدون عنها، وما أشكل عليهم سألوا فيه أهل الذكر، وقد تشكل بعض الأمور على العالم.

جائز سواء كان محلقًا أو غير محلق لقول الله تعالى: ﴿أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾، وخاتم الحديد جائز؛ لحديث: «**التمس ولو خاتمًا من حديد**».

وأبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنَهُ كان له مملوك يأتيه بالخراج، ويوم من الأيام أتاه بطعام، وقال له: هذا الطعام كنت تكهنت في الجاهلية وما أحسن الكهانة، غير أني خدعته فوجدني اليوم، فأعطاني فاشتريت هذا الطعام، فأدخل أبو بكر يده في فيه، وقاء كل ما في بطنه، سواء من حق ذلك المملوك أو من غيره، والحديث عن عائشة متفق عليه.

وثبت من حديث الحسن بن علي، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة**»، وهذا من ترك الشبهات، ومر بنا قريبًا في [كتاب اللقطة] حديث أنس، وأبي هريرة: «**لولا أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها**»، فهو ما هو متيقن أنها من الصدقة، قد تكون من الصدقة وقد تكون من غيرها، لكنه ترك ذلك استبراءً، وتجنبًا للشبهات، «**فمن أتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه**».

وقوله: «**ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**»، معنى ذلك: أن الذي يقع في الشبهات، ويتجرأ عليها قد يتجرأ على الحرام يرتكب شبهة بعد شبهة، وما يبالي، فما تدري إلا وقد وقع في الحرام وتجرأ على الحرام.

قوله: «**كالراعي يرعى حول الحمى**»، وهذا معروف، راعي يرعى حول الزرع ما تدري إلا وقد قفزت بعض مواشيه بين الزرع، يوشك أن يقع فيه، يحوم حوله من هذا الجانب ومن هذا الجانب، فالراعي البعيد عن الزرع ما تصل مواشيه إلى الزرع، وإن ذهبت بعض المواشي ما إن تبدأ تمشي إلى الزرع إلا ويراها، فضربت

الأمثال من القرآن والسنة لقرب فهمها إلى الأذهان، قال تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾، وهذا باب واسع: مسألة الورع، والاستبراء للدين، رَجُلٌ يَقُوْلُ لكَ: أبي يعمل في البنك، أو يعمل في الضرائب والجمارك ويرسل لي بعض الأشياء أنا عنها في غنى، تقول له: اجتنب هذا، فقد ثبت من حديث جابر أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**أيما جسم نبت من سحت النار أولى به**»، رجل دعاك وما عنده دخل إلا من هذا الحرام فقط، وأنت متأكد أنه أتى به من حرام، فاجتنب هذا، وإن كان هو الآثم مباشرة، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

رجل من المسلمين دعاك لطعام، وعنده مال خليط من هذا ومن هذا وأنت لا تدري أين الحلال من الحرام، فتأكل والإثم عليه كما قال ابن مسعود: له الإثم، ولكم الهناء، مسلم دعاك لا تدري ماله حلال، أم حرام، تأكل، ولا يلزم أن تسأل: أهو من دخلٍ حلال، أم حرام.

وقوله: «**فمنِ اتقى الشبهات؛ فقد استبرأَ لدينه وعرضه**»، حتى في العرض الذي ما يتقي الشبهات في العرض، العرض هو موطن الذم والمدح، يعرض نفسه للذم، وقد يعرض عرضه لألسن الناس، كما قيل:

مقالة السوء إلى أهلها | أسرع من سائل منحدرِ
ومن دعا الناس إلى ذَمِّهِ | ذَمُّوهُ بالحق وبالباطل

النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- امرأته صفية جاءت تزوره في

المعتكف، فقام معها يقلبها إلى البيت فمر بعض الصحابة رضوان الله عليهم، فقال: «**على رسلكما إنما صفية**»، قالوا: سبحان الله! يا رسول، قال: «**خشيت أن يقذف الشيطان في قلوبكم شرًا**»، أو قال: «**شيئًا**»، استدلوا بهذا الحديث على تبرئه العرض وأن الإنسان ينبغي أن يبرأ عرضه، والإنسان الذي لا يبالي بما يحصل منه يسمى (ماجن) كما في «مختار الصحاح»، يقولون: الماجن الذي لا يبالي بأي شيء يحصل منه، والذي يبرأ عرضه يعتبر صيانة هذا الصائن لعلمه، الصائن لعرضه، الصائن لشرفه صيانةً، فالصائن لعرضه عكسه الماجن الذي ما يبالي، يستدلون بقصة يوسف عليه السلام أنه ما رضي أن يخرج من السجن حتى يتبين أنه برئ من التهمة؛ ولاسيما طالب العلم؛ فإن الناس ما ينظرون إلى أقواله فقط، بل ينظرون إلى أفعاله، وإلى نهجه، وإلى طريقته، فصيانة العرض للمسلم مطلوب ولطالب العلم آكد.

قوله: ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه»، «**إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه**»، والله عز وجل حرم محرمات لا يجوز الاعتداء عليها وانتهاكها، وأباح أمورًا لا يجوز تحريمها.

قوله: «**ألا وإن في الجسد مضغة**»، المضغة: هي القلب، كما هو مبين في الحديث، والمضغة: هي اللقمة الممضوغة سواء كان من اللحم، أو نحو ذلك، يقال له: مضغة، «**إذا صلحت صلح الجسد كله**»، فعُلم فضل القلب على سائر الجوارح، وأن العقل في القلب، وإن كان فيه ارتباط بينه وبين الدماغ كما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ

اللهُ، قال الله عز وجل: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾، العقل في القلب، والخور والجبن أيضًا في القلب، قال تعالى: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾، والشجاعة في القلب، قال تعالى: ﴿ليربط على قلوبكم ويثب به الأقدام﴾، والخشية في القلب، قال تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ والقسوة في القلب، قال تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾، ونزول الوحي على قلب النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-، قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾، ونظرُ الله إلى القلب، ثبت في مسلم من حديث أبي هريرة، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»، والزيغ في القلب، قال تعالى: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾، وهكذا قوله تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾، والتقليب في القلب، قال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مره﴾، والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**»، والتصريف كذلك على القلوب، والطبع على القلب، قال تعالى: ﴿فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾، والمرض في القلب، قال تعالى: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم﴾، والغشاوة، والختم كذلك، قال تعالى: ﴿ختم الله على

قلوبهم﴾، والأقفال على القلب، قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾، ليست على العيون، فدل هذا على أن القلب له أهمية عظيمة، وأن القلب إذا تَلِفَ، أو تضرر ذلك الإنسان نسأل الله العافية، وأن مَرِضَ مَرِضَ صاحِبُهُ، وإن صحَّ وسلم سلم صاحبه، وكما قيل:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم يبق إلا صورة اللحم والدمِ
وكم صامت تراه لك معجبًا   زيادته أو نقصه في التكلم

والحقيقة أن القلب هو المصيطر على هذه الأجزاء، واللسان تغترف مما في القلب، لقول الله: ﴿حسدًا من عند أنفسهم﴾، فينبغي لكل مسلم أن يعتني بما يُدخِلُ على قلبه من أمور الإيمان، الإيمان في القلب، قال تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾.

فالإيمان قول، وعمل، واعتقاد بالقلب، ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، إذا صلح، صلح الجسد كله، إذا صلح القلب صلحت العينان فلا تنظر إلى ما حرم الله، وصلح اللسان فلا ينطق إلا بما يرضي الله، وصلحت القدمان فلا تمشي إلا إلى ما يرضي الله، وصلحت اليدان، وصلح السمع، وصلحت اللحية، وصلح المطعم والمشرب، وعلى هذا فالذين يقولون: قلوبهم طاهرة، وهم يزاولون الأعمال المحرمة من اختلاط، ونظر إلى النساء الأجنبيات، ومصافحتهن، والتلذذ بحديثهن، والخلوة بهن، وغير ذلك، هؤلاء ما أصابوا، ولا

صدقوا، ما صدقوا مع أنفسهم ولا نصحو لأنفسهم، ولو كانت قلوبهم طاهرة لامتثلوا للدليل ولاستقاموا ولانتفعوا بالقلوب الطاهرة النظيفة، لكن يقولون: قلوبهم طاهرة، ويتجرءون على هذه المعاصي، ويتنكرون لمن نصحهم وأنكر عليهم، وإنما هذه منهم أماني، ومغالطات، والله تعالى يقول: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به﴾.

الحديث السابع

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ الْمَكِّيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**».

وعلقه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحة [باب: ٤٢ من كتاب الإيمان]، وإنما ثبت من حديث تميم الداري فقط، ولم يثبت عن غيره كما ذكر ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ.

قوله: «**الدين النصيحة**»، فجعل الدين هو النصيحة كما أن الحج هو عرفة، ولكن هذا أبلغ وأشمل من قوله: «**الحج عرفة**»؛ لأن الذي لم يقف بعرفة في يوم عرفة، أو قبل فجر يوم النحر لا حج له، يذهب عليه الحج، أما الذي لا نصيحة عنده البتة لشيء من هذه المذكورة فلا دين له، يذهب عليه الدين، فالذي ما ينصح الله بتوحيده ويموت وهو مشرك شركًا أكبر، من أين له دين؟ قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك ما دون ذلك لمن يشاء﴾، وقال: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ومال الظالمين من أنصار﴾.

قولهم: قلنا لمن يا رسول الله؟ استفهام، وفيه أن الطالب إذا أشكل عليه شيء سأل، وفيه تفسير المشكلات، وبيان المعضلات؛ ليتضح الدين للناس، والنصيحة

لله عز وجل بالإخلاص له سبحانه وبإقامة توحيده والدعوة إلى توحيده، وبامتثال أمره واجتناب نهيه، وما أرسل الله رسولاً ولا بعث نبيًا إلا يدعوا إلى النصيحة لله ويقول لقومه: ﴿وأنصح لكم﴾، ﴿وأنا لكم ناصح أمين﴾، أنصح الناس للناس هم أنبياء الله وأهل العلم.

الأنبياء أول ما يطرقون به أسماع قومهم الدعوة إلى توحيد الله وعبادة الله وألا يشركوا به شيئًا، قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾، وقال: ﴿وأذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا إلا الله﴾.

فإن مَثَلَ مَنْ يعبد غير الله من دعاء أو خوف أو نذر إلى آخره من العبادات التي لا تصلح إلا لله، كمثل رجل أشترى عبدًا من خالص ماله فقال له هذا داري وهذا مالي أعمل ي مالي وادِّ إلى داري فذهب يعمل في ماله ويؤدي إلى غير داره، كما في حديث الحارث الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنهُ وهو حديث طويل مذكور في «الصحيح المسند» للشيخ رَحِمَهُ اللهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَام بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ، فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي، قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، فَقُعِدَ عَلَى الشُّرَفِ فَحَمِدَ اللهَّ وَأَثْنَى**

عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ، أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَّ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟»، هذا من النصيحة، وذلك العبد، أو الرقيق، أو المولى ما نصح لسيده، وهذا المشرك أيضًا ما نصح لله بل هذا يعتبر منه ظلمًا عظيمًا، أكبر ظلم، قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾، وقال سبحانه: ﴿الذين أمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾، وقال: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾، وقال: ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾، المقصود بالذي ظلموا في هذه الآية الذين كفروا وأشركوا، هؤلاء كفار الذين ما أتبعوا الرسل وما أجابوا دعوة الله، يقال لهم: ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم ي مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾... إلى آخر الآيات.

فالنصيحة لله بإقامة أمره والبعد عما نهي الله عنه، وبإقامة توحيده، والدعوة إلى ذلك.

والنصيحة لكتاب الله: تدبرُ آيات الله، ومحبة كتاب الله، والعمل به، والدعوة

إليه، والجد والاجتهاد أيضًا في حفظه، هذا من النصيحة، أن تسعى في حفظ كتاب الله علمًا، وعملًا، ودعوة، وتدبرًا، وكان خلق رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- القرآن، قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبهم أقفالها﴾، وقال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾، وقال تعالى: ﴿ولو أنا أنزلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته آأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾، وقال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا كبيرًا﴾، وقال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾، وقال تعالى: ﴿وإذا مال أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه أيمانًا فأما الذين منوا فزادتهم أيمانًا وهم يستبشرون﴾، وقال تعالى: ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾، وقال تعالى: ﴿وإذا نزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحدٍ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾.

فيجب على كل مسلم أن ينصح لدين الله، نصيحة على ما جاء به الدليل، وكل بحسبه، من علم، وعمل، وتدبر، وإخلاص لله سبحانه، وخشية عند قراءته، حتى تحسين الصوت يعتبر من النصيحة لكتاب الله، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**زينوا القرآن بأصواتكم**»، وقال: «**من لم يتغنى بالقرآن فليس منا**».

لو حسنت صوتك من أجل أن تدخل على الناس الرغبة في هذا الكتاب المبارك لكان هذا من أعظم الدعوة إلى الله وإلى كتابه، والترغيب فيه، والتدبر لهذا الكتاب، قراءة القرآن وتحسين الصوت يعتبر من أنجح العلاجات للقلوب.

جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -والحديث ثابت في «الصحيح- سمع النبي يقرأ آية من الطور، ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾، فقال: (والله إن كاد قلبي ليطير من بين جنبي)، وكان سبب إسلامه آية، والمشركون آذوا أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أشد الأذى لما كان يجهر بالقرآن ويرفع صوته بالقرآن؛ لأنهم كانوا إذا سمعوه عرفوا أنه كلام الله وأنه ليس بشعر ولا سحر وأثّر فيهم، حتى قالوا: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغو فيه لعلكم تغلبون﴾.

فالنصيحة لكتاب الله علم، وتدبر، وتفسير لبيان معانيه، وأذكر كلمة الحافظ ابن حجر يقول: (حجتنا من الله إن لم نقم بتفسير كلام الله)، وأيضًا في مقدمة «تفسير ابن كثير» نقل عن الجمهور أن بيان كلام الله وتفسير آيات الله يعتبر واجبًا، إذ أن الله ذَمَّ الذين أخذ عليهم الميثاق أن يبينونه فما بينوه، قال تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب بينته للناس ولا تكتمون فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾.

قوله: «ولرسوله» والله، إن النصيحة لرسوله صِدْقُ الاتِّبَاع له، وقد فَرَّطَ في ذلك كثيرٌ من الناس.

سؤال: ما حال هذا الأثر، عند تفسير قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله

فاتبعوني يحببكم الله﴾، قال الحسن: أُبتلى الله الناس بهذه الآية؟

جواب: هذا منقطع، لم يثبت إلى الحسن؛ لأنه من طريق: الحسن بن الربيع وفيه ضعف، ويبقى أن ظاهر القرآن يكفي، قال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوه﴾، وقال تعالى: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾، وثبت من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**»، هذا أمان من الفتن، وما نقول صمام أمان، دعونا من هذه الكلمة، هذا أمان رباني من الله عز وجل، أما صمام الأمان الذي يفعلونه في السيارات والطيارات، يعني يدق بحلقة في أخرى، فالتمثيل بها في مثل هذا فيه عدم إنزال الأدلة منزلتها من التعظيم.

فالقرآن، والسنة أمان من الفتن، وأمان من الضلال، قال الله تعال: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾، قال ابن عباس: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

ليس مجرد إقامة موالد ولا احتفال بالإسراء والمعراج ولا تلك الخرافات وتلك البدع التي لم يفعلها ولم يرضها لا هو ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم، ما هذا هو التعظيم للنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، بل هذا من الإساءة إليه بتلويث هديه الشريف بهذه الضلالة.

وإنما التعظيم له حبه، والنِّفَاحُ عنه وعن هديه، وطاعته مطلقًا، وامتثال أوامره،

وسلوك طريقه حيًا وميتًا عليه الصلاة والسلام، ففي حياته كما هو معلوم وبعد موته أتباع سنته عليه الصلاة والسلام، فهذا هو النصح للرسول -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهي عنه وزجر، هكذا يقولون، وفرقٌ بين ما نهى عنه، ويكون النهي نهي كراهة، وبين كلمة (زجر)؛ لأنها تكون للتحريم، فطاعة رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- لا يتسع الوقت لذكر الأدلة على وجوبها وفضلها، وفضل أهلها، وفتنة مخالف رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- وشقاوته، وبعده، وما يحصل له من الأضرار، وما يحيق به من المخاوف والأخطار في الدنيا والآخرة، ونسأل الله العافية من الفتن، ونبتهل إليه أن يتوفانا مسلمين، طائعين، منقادين.

وممن فرط في ذلك: الرائيون، والعقلانيون، والاستحسانيون، ممن يتلاعبون ببعض الأدلة، وينطبق هذا في عصرنا على الحزبين -هداهم الله- أعاذك الله عن ضلال وبعد ما هم فيه عن الأدلة الشرعية، والله فرطوا وحُرموا الهداية وحُرموا الإتباع الحسن إلا بسبب التفريط في طاعة رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، وعدم النصح له حق النصح.

قوله: «**ولأئمة المسلمين**»، محبة الخير لهم، ومحبه بقاء ملكهم ما داموا من أئمة المسلمين، والدعاء لهم بالتوفيق من عقيدة أهل السنة، وعدم الخروج عليهم، وعدم الثورات والانقلابات عليهم، والنصح لهم عما هم فيه من المعاصي، هذا والله، من أعظم التعاون معهم على إصلاح أنفسهم، وشعوبهم، واستمرار ملكهم، وهل

نحن ننكر الانتخابات والديمقراطية، ونحو ذلك إلا لما فيها من العبث بالولاية العامة، والعبث بالدين والدنيا، ومنازعة ولي الأمر المسلم ما هو فيه، والقتل والقتال، وزعزعة الأمن، وضياع الأوقات، والأموال، والخداع والكذب، والتزوير، وشهادة الزور، والتزاكي الفاجرة عن غير أهلها، وإلقاء العداوة والبغضاء، والشحناء بين المسلمين، حتى بين الأخ وأخيه، والأب وابنه، والمرأة وزوجها، والاعتماد على الأكثرية ولو كانوا من أفجر الناس، وغير ذلك من الفتن والبلايا التي تزعزع أمن الحاكم والمحكوم، وتوجب خوف العاجلة والباقية، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قوله: «**ولعامتهم**»، أمر العامة بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم كتاب الله سبحانه، وسنة رسوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، وإبعادهم عن البدع، والشركيات، والخرافات، كل هذا من النصح لعامة المسلمين، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، وقال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، مثل المؤمن في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا أشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»، وأخرج الشيخان من حديث معقل أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**ما من عبد يسترعيه الله رعيه لم يمطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة**» في «الصحيحين، وروى مسلم عن أبي هريرة: «**حق المسلم على المسلم خمس**»، وذكر منها: «**وإذا استنصحك فانصح له**»، وثبت في «الصحيح المسند» للشيخ

رَحِمَهُ اللهُ: «**من استشاره أخوه فأشار عليه بغير رشد فقد خانه**»، ومن حديث جبير رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «**ثلاث لا يُغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة المسلمين، ولزوم الجماعة**»، بايعنا رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم، وفي «صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**إن الله يأمركم بثلاث وينهاكم عن ثلاث: يأمركم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**»، وجاءت زيادة هذه في «مسند أحمد»: «**وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وينهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»، أمر مطلوب التناصح، ولا قوام للأمة إلا بالتناصح، فالنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يقول: «**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استسقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا فلو تركوهن وما أرادوا هلكوا جميعًا ولو أخذوا على أيديهم نجوا جميعًا**»، أخرجه البخاري عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

الحديث الثامن

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُسْنَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ الْحَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**».

المقصود بالناس في هذا الحديث أهل الشرك والكفر بالله ولم يعطوا الجزية، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾، وقال: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾.

فلفظ: الناس هنا عام يراد به الخصوص.

وقد ثبت في حديث بريدة، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال لهم: «**اغزوا باسم الله، قاتلوا من كفر بالله**».

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن امرأة وجدت

في بعض مغازي النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- مقتولة، فنهى رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- عن قتل النساء والصبيان، وكذا الشيوخ كبار السن لا يقتلون إلا إذا كان لهم تدبير في الحرب ومشورة، فيقتلون للنهي في لك، إلا أن يقاتلوا؛ فيقتلون تبعًا لا استقلالاً، إذا لم يتميزوا؛ لحديث الصعب بن جثامة في الصحيحين أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- سئل عن أهل الدار يبيتون من المشركين فيصاب من نسائهم وذراريهم، فقال: «**هم منهم**».

قوله: «**حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**»، قاتلهم على توحيد الله سبحانه بأمر الله كما قال الله: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾.

قوله: «**وأن محمدًا رسول الله**»، لا إله إلا الله من لازمها أن محمدًا رسول الله،لا يكفي أن يقول لا إله إلا الله وهو يكفر برسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، فيصير كافرًا بجميع الأنبياء، قال تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقًا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾.

قوله: «**ويقيموا الصلاة**»، قال تعالى: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾، مفهوم الآية أنهم إن لم يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فليسوا إخواننا في الدين، لاسيما إذا امتنع عن الزكاة خاصة جحودًا وعنادًا، أما الصلاة

ففيها أدلة على كفر تاركها مثل حديث: «**من تركها فقد كفر**»، «**لا إله إلا الله**»، حتى المنافقون قالوها وما قاتلهم النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- مع أن الله أطلعه على بعضهم أنهم منافقون، قال تعالى: ﴿ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب أليم﴾، فهو ما يعلم جميع المنافقين إنما أعلمه الله بحال بعض المنافقين وما قاتلهم وهم منافقون يعلمهم النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-؛ لأنهم يقولون لا إله إلا لله، ولئن قَتَلَ من يقول لا إله إلا الله فسيقولون محمدٌ يقتل أصحابه مع أنهم معه، فتركهم النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، وأيضًا لأنهم يظهرون شعائر الدين في الظاهر وحسابهم على الله، والمقصود بالمنافقين هنا الاعتقاديين، الذين لا ينفعهم التلفظ بقول لا إله إلا الله.

قوله: «**ويقيموا الصلاة**»، المقصود: إقام الصلاة بأركانها وشروطها، فلو أقام الظهر خمسًا، أو أقام المغرب أربعًا، أو أقام الفجر ثلاثًا أو أربعًا لا تقبل منه وليست بصحيحة، بل هي باطلة، وفاعل ذلك متعد لحدود الله، وإنما هي على ما حدده رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

قوله: «**ويؤتوا الزكاة**»، والزكاة إنما تجب في النصاب إذا حال عليه الحول، وهي محدودة في تسعة أشياء على الصحيح، من النقود: في الذهب والفضة، ومن الغرائس: في الزبيب والتمر، ومن الزراعات: في الحنطة والشعير، ومن المواشي: في

الإبل والبقر والغنم، والعاشر العسل جاءت فيه أحاديث لم يثبت منها شيء، فليس فيه زكاة.

ولو كان الذهب والفضة حُلِيًّا، وبلغ النصاب، وحال عليه الحول تجب فيه الزكاة على الصحيح؛ لحديث: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة يحمى عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار**» الحديث متفق عليه، ولحديث أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- رأى مسكة في يد بنتٍ، فقال لأمها: «**أتؤدين زكاة هذا؟**» قالت: لا، قال: «**حسبك، هو من النار**»، ففي الباب أدلة عامة وخاصة توجب الزكاة في حلي المرأة إذا بلغ النصاب، وحال عليه الحول، لا ينبغي أن تُعَارَضَ بتلك الأحاديث الضعاف، والآثار عن غير المعصوم -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-.

ولم يذكر الحج، ولا الصيام في هذا الحديث؛ فتؤخذ من أدلة أخرى، ويحمل هذا الحديث أنه من أحاديث أوائل التشريع، وقد فرضت بعد ذلك فرائض أُخرى، بنحو هذا أجاب الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ على حديث طلحة بن عبيد الله المتفق عليه في «نيل الأوطار»أنه قال له ذلك الرجل: هل عليَّ غيرها؟ -أي: تلك الفرائض المذكورة في الحديث- قال: له رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**لا، إلا أن تطوع**».

وعلى هذا فلا ينبغي أن تؤخذ الضرائب ولا الجمارك من المسلمين؛ لأن أموالهم

معصومة، ولا الرشوة كذلك: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**».

ولا يؤخذ منهم ما يسمونه بالتأديب المالي الصحيح أن ترك هذا أولى «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»، ولا يراق دمه بغير حق سواء بضرب أو بغيره كما روى الأمام مسلم في صحيحة من حديث أبي هريرة قال: قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: «**المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة، وزكاة، وصيام، ويأتي وقد ضرب هذا، وشتم هذا، وسفك دم هذا، وأخذ مال هذا، فيعطى لهذا من حسناته، ولهذا من حسناته؛ فإن فنيت حسناته أخذ من سيئات صاحبه، فجلعت عليه**» -نسأل الله العافية- فدماء المسلمين، وأموال المسلمين، وأعراض المسلمين معصومة بعصمة الإسلام، محرمه لا تنتهك إلا بحق سواء ماله أو دمه أو عرضه الأصل في أعراض المسلمين الحرمة إلا لما خصص بدليل شرعي، بما يخص المسلمين، من جرح لمن يستحق الجرح؛ لقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟**» قالوا: نعم، قال: «**اللهم، فاشهد**»، متفق عليه عن أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنَهُ.

وقوله: «**فقد عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها**»، حقها مثل: قتل القاتل، قال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾، وقطع يد السارق، قال تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله﴾،

والمحارب، والساعي في الأرض بالفساد؛ لقول الله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾، ومن شق عصا المسلمين؛ لحديث: «**من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائنًا من كان**»، وإذا زنا بعد إحصان يرجم ويقتل لما جاء في ذلك من الأدلة، منها حديث: «**والشيخ والشيخة إن زنيا فارجموهما البتة**»، كانت آية ونسخ لفظها وبقي حكمها، وهكذا ما يتعلق ببقية بالحدود، وما كان من حق الإسلام يقاتلون عليه حتى لو تركوا الأذان يجب على أولي الأمر أن يقاتلهم على هذه الشعيرة أو تركوا صلاة العيدين، يقاتلهم حتى يقيموها، قال تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهو عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾، وحديث: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته**» متفق عليه.

قوله: «**وحسابهم على الله**»، هذا الحديث فيه إثبات الحساب.

الحديث التاسع

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**» متفق عليه، غير أن في طريق من طرق الإمام مسلم في «صحيحه ذكر سببًا لورود الحديث، وهو أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**يا عباد الله، إن الله فرض عليكم الحج فحجوا**» قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: أكل عام يا رسول الله؟ قال: «**لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم، دعوني ما تركتكم، إن الله فرض عليكم الحج فحجوا**»، أي: فلو قلت: نعم، كل عام حُجُّوا، كان واجبًا عليكم أن تحجوا كل عام، فيشق عليكم، والدين يسرٌ.

استدلوا بهذا على أن الأمر يقتضي الوجوب، وهكذا قوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنه أو يصيبهم عذاب أليم﴾، ومن الأدلة على أن الأمر يقتضي الوجوب حديث: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»، فهذا هو الأصل، أن الأمر يقتضي الوجوب إلا لصارف، وقد ذكر الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ في «البدر الطالع» رقم (٤٣٩) من المجلد الثاني عند ترجمة يوسف بن الحسين بن أحمد زبارة، قال: ومن شعره في صيغة الأمر التي تستعمل

لخمسة وعشرين معنى، ونظمها في قوله:

أتت لمعان صيغة الأمر فلتكن | لها حافظًا يا صاح غير مسهـل
لندب[١] وإرشاد[٢] وجوبٍ[٣] إباحـةٍ[٤] | دعاء[٥] كيارب اعف عني وجمِّل
ومنها احتقارٌ[٦] وامتنانٌ[٧] إهانةٌ[٨] | وتسويةٌ[٩] تعجيزهم[١٠] بالمنـزل
كذلك تكوينٌ[١١] تمنٍ[١٢] كقوله | ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ
ومن ذاك إنذارٌ كمثل تمتعوا[١٣] | قليلًا وتأديبٌ[١٤] ككل أنت ما يلي

---

(١) ﴿فكاتبوهم﴾.

(٢) ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾.

(٣) ﴿أقيموا الصلاة﴾.

(٤) ﴿كلوا واشربوا﴾.

(٥)

(٦) ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾.

(٧) ﴿فكلوا مما رزقكم الله﴾.

(٨) ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾.

(٩) ﴿اصبروا أو لا تصبروا﴾.

(١٠) ﴿فأتوا بسورة﴾.

(١١) ﴿كن فيكون﴾.

(١٢)

(١٣)

(١٤)

وجاءت لتفويضٍ[١] وأيضًا مشورة[٢] كذاك اعتبار[٣] والتماس[٤] المماثل

المماثل

ومن ذاك تكذيبٌ كـهاتوا[٥] تلهفًا كموتوا[٦] وتصبير كذرهم فمَهِّل

كذا خبر جاءت بمعنى رواية إذا أنت لم تستح ما شئت فاعمل

وجاءت لتسخير وأيضًا تهدد وآخرها الإكراه والحمد للعلي

قوله: «**دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم**»، جاء أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**إن أشد الناس جرمًا من سَأل عن مسألة لم تحرم، فحرمت من أجل مسألته**»، هذا الحديث من الأدلة الدالة على تحريم المبالغة، والتشدد، والغلو، وأن الإنسان يبقى على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-، فقد أبان الله الحلال والحرام، وما سكت عنه فهو عفوٌ، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسوءكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها﴾، والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى

---

(١) ﴿اقض ما أنت قاض﴾.

(٢) ﴿فانظري ماذا تأمرين﴾.

(٣) ﴿انظروا إلى ثمره﴾.

(٤) افعل كذا.

(٥) ﴿هاتوا برهانكم﴾.

(٦) ﴿موتوا بغيظكم﴾.

آلَهِ وَسَلَم- عندما ترك صلاة التراويح بعد أن صلى بهم ثلاث ليالٍ، إنما ترك الاستمرار بهم خشية أن تفرض عليهم فلا يستطيعون أداءها؛ فإنه في زمن الوحي، وزمن نزول الفرائض، وما إلى ذلك.

وقوله: «**واختلافهم على أنبيائهم**»، بنوا إسرائيل هلكوا بالتنطع، قال تعالى: ﴿أدخلوا الباب سجدًّا وقولوا حطة﴾، قالوا: حنطة وحبة في شعرة، هذه سخرية، وعدم استجابة، فأهلكهم الله كما أبانه في سورة البقرة، وغيرها من القرآن.

الحديث العاشر

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

وحَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ حَدَّثَنِي عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ[١] عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**».

ومعنى الحديث أن الله سبحانه نزه نفسه عن النقائص، والرسول -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يقول: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»، وهذا اسم وصف الله سبحانه وتعالى، فلا يقبل الله من العبد إلا ما كان طيبًا وابتغي به وجه الله من الأعمال، ولا يكون العمل طيبًا ويصعد إلى الله عز وجل إلا إذا خَلُصَ وكان متابعًا به النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، قال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾، فلا يقبل الله عز وجل ما كان مخلوطًا برياء، قال تعالى كما

---

(١) المعروف بـ: قَاصِّ الشِّيْعَة.

في الحديث القدسي عند مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»، ولا يقبل الله عز وجل ما كان مخالفًا به الأتباع، أتباع النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-؛ لحديث: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، ولا يكون العمل المتعبد به لله طيبًا، إلا إذا تُحرِّي في ذلك الإخلاص والمتابعة، وما عدا ذلك ما هو طيب، ولا هو مقبول، وهكذا أيضًا أحل الله لعباده الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، وقال عن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾، وأمر بالأكل من الطيبات والبعد عن الخبائث وهذا لفظ عام، فمثل الفواكه، وبهيمة الأنعام بشروطها، إذا ذُكِّيت... إلى آخره هذه من الطيبات، ومن اللباس أيضًا ما كان على منوال لبس رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- وأصحابه، سواء كان إزارًا، أو قميصًا، أو عمامة، أما البنطال فليس من اللباس الطيب، وكذلك (الكرفته) تلك التي مثل ذيل الحمار ليست من اللباس الطيب هذا، بل (البنطالات) من اللباس الخبيث، وقل كذلك في المعتقد ما وافق الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، فهو معتقد طيب وما خالف هذا المعتقد فهو معتقد خبيث بطال، وهكذا ترى أن من خَبُثَ معتقدُه تراه خبيثًا، ترى أصحاب المعتقدات الخبيثة عندهم خبث، وعندهم عناد، وعندهم حقد.

قوله: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»، حتى إذا بني مسجدًا، أو حفر بئرًا، أو

عمل بعض مسائل الخير، وكان من مالٍ حرام ليس له فيه أجر، ونحن نرى أن المال الربوي الذي هو من أرباح الربا لا يؤخذ، كيف هذا؟ لأنه لو أخذه مثلاً وبني به مسجدًّا، ما له فيه أجر، وإذا أخذه على أن يجعله في بعض مصالح الناس ما له فيه أجر، وإن أكَّله بعض المحتاجين صار مؤكله ملعونًا؛ لحديث: «**لعن الله آكله وموكله**»، والسلامة ترك ذلك، قال تعالى: ﴿فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون﴾، فأخذ ما يسمونه بالفوائد الربوية أخذٌ لأموال الناس، وهذا ظلم.

ولا يستفيد منه في آخرته أبدًا، سواء كان المال من ربا، أو من جمارك، أو من رشوة، لو أنفقه في وجوه الخير ما يؤجر عليه، والذي هو معروف من هذا الدليل أن الأموال المحرمة ما فيها زكاة، واحد يقول: عندي مليون ريال، زكاةُ خَمْرٍ، أو عندي مليون ريال من الربا...، أو من بيع الدخان، أو القات، أو الشمة، ما فيه زكاة: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»، والزكاة النماء والطُّهْر، وكيف تنمي وتطهر شيئًا محرمًا؟! وإذا بني مسجدًّا تصح الصلاة فيه من مالٍ حرام، إلا أنه ما يؤجر عليه، وهكذا إذا أنفق على أهله من ذلك المال الحرام ما يؤجر على نفقته؛ لأن الإنسان ينفق على أهله، والنفقة عليهم واجبة، ويؤجر على ذلك الواجب، ولكن هذا ما يؤجر عليه، بل يأثم عليه؛ لحديث: «**ما من عبد يسترعيه الله رعيه لم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة**»، ولقول الله تعالى: ﴿قو أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة﴾، وحديث: «**أي جسم نبت من سحت النار أولى به**»،

ثابت من حديث جابر بن عبدالله، وبنحوه عن كعب بن عجرة، كلاهما في الصحيح المسند لشيخنا رَحِمَهُ اللهُ.

وكذلك الصلاة، لو صلى ولم يأت بها على ما ثبت عن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-؛ فإنها لا تصلح ما هي طيبة، ولو صلى على غير وضوء، أو صلى ولم يحسن خشوعها ولا ركوعها، فقد قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- لذلك الصحابي «**صل؛ فإنك لم تصلِ**».

وكذلك الحج، لو حج من مال حرام؛ فإن جماعة من أهل العلم يقولون: إنه لا يصح، والذي يظهر أنه يجزئه عن حجة الإسلام، ولا يرجع كيوم ولدته أمه، وهكذا إذا أخرج الزكاة جبرًا، لا يريد من ذلك وجه الله عز وجل إنما أجبر أجزأته ولا يؤجر عليها.

وقوله: «**وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**»، يدل هذا على التأسي بالمرسلين، فكما أمر الله المرسلين بالأكل من الطيبات كذلك أمر الله المؤمنين بالأكل من الطيبات، وأنبياء الله منهم من كان نجّارًا، ومنهم من كان حدادًا، ويأكلون من الطيب، من كسب أيديهم حلالًا طيبًا، ومن أفضل المكاسب مكسب الغنيمة والفيء كما ذكر أهل العلم، ونقلناه بحمد الله في كتاب البيوع بأوسع من هذا؛ لأنه مكسب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، القائل: «**وجعل رزقي تحت ظل رمحي**»، كما ثبت عنه من حديث ابن عمر.

قوله: «**ثم ذكر الرجل يطيل السفر**»، وأنت تعلم أن السفر لطاعة أو لأمر مباح

من أسباب الاستجابة.

قوله: «**أشعث أغبر**»، وهكذا المنكسر في طاعة الله والذي هو من أصحاب التواضع يطيل السفر، معناه: يطيل السفر في طاعة الله.

قوله: «**يرفع يديه إلى السماء**»، هذا من أسباب استجابة الدعاء؛ لحديث «**إن الله يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا**».

قوله: «**يا رب، يا رب**»، هذا إلحاح في الدعاء، ويدعو الله بربوبيته، بصفة من صفاته، وهو من أسباب استجابة الدعاء، قال تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾، ولكن هناك مانع لهذا الدعاء، وهو: عدم طيب المطعم، والمشرب، والملبس.

قوله: «**فأنى يستجاب لذلك**»، ربما يكون عنده مرض، وبحاجة إلى تفريج كربه، في كل حال، ويكون بحاجة إلى أن يفتح الله عليه بالعلم، ويكون محرومًا بسبب ذلك المطعم البطال، فيحرم خيرًا كثيرًا بسبب سوء المطعم، والمشرب، وسوء الملبس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحديث الحادي عشر

قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ[١] عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ[٢] السَّعْدِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ»**.

قوله: الحسن رَضِيَ اللهُ عَنَهُ هو أبو محمد، سبط النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- وريحانته، والسبط هو ولد الولد، والحسن رَضِيَ اللهُ عَنَهُ هو ابن ابنته فاطمة رضي الله عنها.

قوله: وريحانته، ثبت هذا من حديث عبدالله بن عمر أن بعض أهل العراق سألوه عن دم الذباب هل هو نجس إذا قتله المحرم، هل عليه شيء؟ فقال: عجبًا لكم يا أهل العراق! تسألون عن دم الذباب وقد قتلتم الحسن، وقد سمعت النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يقول: **«الحسن، والحسين ريحانتاي من ا لدنيا»**، قال أبو هريرة: خرجت يومًا مع النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- لا يكلمني

---

(١) وأبوه قالوا: صحابي، وهو مالك بن ربيعة.

(٢) واسمه: ربيعة بن شيبان، على الصحيح.

ولا أكلمه حتى أتى بيت فاطمة، فقال: أين لكع؟ يريد به الصغير، قال: فتأخر قليلاً كأنها تغسله، أو تلبسه، ثم خرج، فقبله النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-، وقال: «**اللهم، إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه**»، وثبت هذا عن جماعة من الصحابة عنه في حق الحسن وفي حقهما جميعًا، والحسن بن علي فضائله أكثر من فضائل الحسين رضي الله عنهما: «**إن البني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**» من حديث أبي بكره في صحيح البخاري، فلما سمع الحسن هذا الحديث من أبي بكرة رضي الله عنهما كف وتنازل لمعاوية رضي الله عنهما، وحقيقة أن الله حقن به دماء المسلمين: «**الحسن، والحسين سيدا شباب أهل الجنة**».

قوله: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»، أي: اترك ما تشك فيه إلى ما لا تشك فيه، اترك ما ترتاب فيه؛ فإن الحق الواضح ما فيه ريب كما قال ابن الزبعرا:

ليس في الحق يا أميمه ريبُ إنما الريب ما يقول الجهولُ

والمقصود بالريب هنا: الشك، والحلال الواضح ما فيه ريب وإنما الريب، وعدم الطمأنينة، والقلق، والتشكك فيما لم يكن بينًا في حلّه تتركه من باب الورع، والريب قد يأتي لعده معاني لكن المقصود به في الحديث الشك، وإلا فقد قال كعب بن مالك رضي الله عنه:

قضينا من تهامة كل ريبُ وخيبر ثم أجمعنا السيوف

أي: كل حاجة.

وقال جميل:

بثينه قالت يا جميل أربتنى فقلت كلانا يا بثينُ مريب

الريب هنا بمعنى التهمة، بثينة تقول: اتهمتني، أي: سببت لي تهمة، لكن سمعت أن الريب بهذا الصدد بمعنى الشك، «**دع ما يريبك**»، أي: ما تشك فيه، نظير هذا حديث النعمان بن بشير الذي تقدم، وما كان في الباب من البعد عن الشبهات.

قوله: «**فإن الصدق طمأنينة**»، الصادق في عقيدته مطمئن، وقد عرفت كلام العقلانين، المتكلمين، المتفلسفين، كانوا في ارتباك، وفي عقيدة شكوك، وعلى غير كتاب وسنة، فهم في حيرة:

نهـــاية إقـــدام العقـــول عـقال	وغـــاية سعـــي العـالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا	وغاية دنيانا أذى ووبالُ
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل قالوا

زمن طويل ما جمع إلا قيل وقال، ما في فائدة، دين مبني على شكوك وعلى باطل، وآخر يقول أن اهتدى:

أقرأ في الإثبات ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، وفي النفي ﴿ليس كمثله شيء﴾، عقيدة صافية من كتاب الله ومن سنة رسوله وميسرة أيضًا ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾.

فترى صاحب العقيدة الصحيحة يصدع للحق من كتاب الله ومن سنة رسوله، ومن خالف ذلك؛ فهو على باطل، الصدق في المعتقد وفي القول طمأنينة، إذا كان صادقًا في كلامه ما يبالي بمن خالفه، حتى ولو كان في الدعاوي، والمشاجرات بين الناس وهو صادق يكون على طمأنينة والكاذب تارة يكذب، وتارة يتملص، وتارة يراوغ، ما عنده طمأنينة في قلق، الصدق فيه خير في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فلو صدقوا الله لكان خيرًا لهم﴾، وقال: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهن﴾، وهكذا أيضًا إن تصدق الله يصدقك، «**وإن الكذب يهدي إلى الفجور**»، من الفجور، من أقبح القبائح الكذب نسأل الله السلامة، والكذاب يشرشر شدقه يوم القيامة إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وأنفه إلى قفاه، ويقال: هذا الذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق.

وهذا حديث عام كما ترى وهو من الأحاديث التي أختارها النووي وجمع أربعين حديثًا من كل باب كما ذكر هذا في شرحه على «صحيح مسلم عند حديث: «**الحلال بين**»، أو نحو ذلك قال: وقد اخترت أربعين حديثًا جامعًا من كل باب.

اختار من جوامع الكلم، فهناك من ألّف أربعين من الصفات مثلاً، وهذا ألّف أربعين في الفضائل، وهذا ألّف أربعين في تراجم مشايخه، عدة أربعينات كما ذكر حاجي خليفة فوق ثمانين مؤلفًا، وأتى النووي وأخذ من كل باب حديثًا جامعًا في العقيدة، وفي غيرها.

الصدق طمأنينة، كعب بن مالك قال: والله، ما نفعني الله بشيء إلا بالصدق.

ما نفع الله أهل السنة إلا بالصدق في المعتقد، والأقوال، والأفعال حتى طالب العلم إذا لم يكن صادقًا في طلبه، تكون الحصيلة ضئيلة، وقد أحسن من قال:

أطلب ولا تضجر من مطلبٍ فآفة الطالب أن يضجرا
أما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

وقال آخر:

ومن طلب العلوم بغير كدٍ سيدركها إذا شاب الغرابُ

نبي الله يوشع غزا معه أناس، فقال: «**لا ينبغي لأحد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبني بها، ولا رجل بني بيوتًا ولما يرفع سقوفها، ولا رجل اشترى غنمًا أو خلفاتٍ وهو ينتظر أولادها**»، معناه أن هذا يفكر في أغنامه، وهذا يفكر في بناء بيته، وهذا يفكر في زوجته الجديدة يريد أن يرجع إليها، يريد أناسًا صادقين، فدل هذا على أن الطالب إذا لم يكن صادقًا في اجتهاده فلا يتحصل إلا على اليسير، طالب أو غير طالب، أعداء الله من اليهود والنصارى بلاد الكفر عندهم جد في الدنيا حتى برزوا في الدنيا، صنعوا الطائرات وصنعوا السيارات،من أجل جدهم في الدنيا،تجد الواحد منهم إذا نزل منزلاً،أو تحت المظلة ينتظر الباص يخرج الكمبيوتر ويشتغل، جد وصدق مع الدنيا، قال تعالى: ﴿يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾.

وتعجبنا تلك الأبيات التي في «الكامل» لابن عدي في المجلد الأول.

الصدق حلو وهو المرُّ والصدق لا يتركه الحر
جوهرة الصدق لها زينة تحسدها الياقوت والدر

الصادق يتناوله أهل الأحقاد، وأهل العناد، ويتناوله أهل الفساد من كل جانب يأتيه البلاء، ولكنه منصور: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين**»، طائفة الصدق، طائفة النصح، والتجرد للحق، وللنصح من كتاب الله ومن سنته رسوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- ينصرهم الله، قال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾.

الحديث الثاني عشر

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ:

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِك عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**».

هذا هو الصحيح في هذا الحديث، أنه من مراسيل علي بن الحسين زين العابدين، الحفاظ رووه عن الزهري عن علي بن الحسين مرسلًا، ورجح المرسل الإمام أحمد، وابن معين، والبخاري، والدار قطني، وغيرهم كما في «جامع العلوم والحكم»؛ فالحديث مرسل، وقد جاء من حديث أبي هريرة كما ترى، لكنه لم يثبت مرفوعًا إنما ثبت مرسلاً، وله شواهد يصلح بها للاحتجاج، منها:

حديث عبدالله بن عمرو أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، فهذا من حسن الإسلام أنه يقبل على شؤونه، وخواصه، وما يعينه على تربية أبنائه، وتعليم أهله وإخوانه، الإقبال على طلبه، والتفقه في دين الله، والإقبال على تصحيح معتقده، هذا يدل على اهتمام الإنسان بنفسه، من حسن إسلامه أن لا يتدخل في ما لا يعنيه من الأمور، وليس الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فهذا تعليم، قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾.

ثبت من حديث أبي بكر، قال: إنكم تقرءون هذه الآية وتحملونها على غير

محملها: ﴿يا أيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ظل إذا اهتديتم﴾، وإني سمعت رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده**»، والحديث في «الصحيح المسند».

قال الراغب الأصفهاني: الورع الواجب هو الإحجام عن المحارم، وذلك للناس كافة، والورع المندوب هو الوقوف عن الشبهات، الورع الفضيلة هو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على الضرورات.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قَالَ: «**اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا**». أخرجه البخاري رقم (٣٤٧٢)، ومسلم (١٧٢١).

وَحَدِيْثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ «**ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللهَّ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللهَّ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ**

ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ، فَقَالَ: وَاللهِ، مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»

أخرجه البخاري رقم (١٤٩٨).

وحديث أبي قتادة، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**إنك لن تدع شيئًا لله عز وجل إلا أبدلك الله خيرًا منه**»، وهو حديث حسن.

وَحَدِيْثُ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لِأَبِي إِهَابِ بْنِ عَزِيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي وَلَا أَخْبَرْتِنِي، فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ**»، فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ، وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ. أخرجه البخاري برقم (٨٨).

وحديث النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَان، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُوْلَ الله -صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- عَنِ البِرِّ، وَالإِثْمِ، فَقَالَ: «**البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**»، أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٣).

وحديث جندب بن عبدالله رضي الله عنهما عند البخاري برقم (٧١٥٢)، وقيل له: هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا؟ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، قَالَ: «**وَمَنْ يُشَاقِقْ يَشْقُقْ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، فَقَالُوا: أَوْصِنَا، فَقَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنْ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بِمِلْءِ كَفِّهِ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ.

وحديث: «**ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان**»، أخرجه البخاري رقم (١٤٧٩).

وحديث عائشة رضي الله عنها، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، وفي آخره: وكان رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: «**يا زينب، ما علمت؟ ما رأيت؟**» فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله، ما علمت عليها إلا خيرًا، قالت: وهي التي تساميني، فعصمها الله بالورع. أخرجه البخاري رقم (١٦٦١)، ومسلم رقم (٢٧٧٠)،

وفي هذا الحديث تجنب الشبهات، وفضيلة الصدق، وأنه طمأنينة، وذم الكذب وأنه ريبة.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا في رسالته «الورع» أبوابًا منها:

الورع في النظر، والورع في السمع، والورع في الشم، والورع في اللسان، والورع في البطش، والورع في البطن، والورع في الفرج، والورع في السعي، والورع في البيع والشراء.. الخ.

الحديث الثالث عشر

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**».

وأورده النووي رَحِمَهُ اللهُ في هذا الموضع بترتيب طيب كما يلاحظ من الأدلة الماضية، ثم أتى بهذا الحديث فيما يتعلق بمحبة الأخ لأخيه، ومحبة الخير للمسلمين وجاءت زيادة: «**من الخير**»، وهي في خارج الصحيح، وهذا اللفظ الموجود في «الصحيحين يغني عنه؛ فإن الإنسان عادة يحب لنفسه الخير، وما يحب لنفسه الشر، ولا يحب لنفسه النار، ولا يحب لنفسه الأذى، والفتن، وعلى هذا؛ فإنه لا يكتمل إيمان أحد من المسلمين حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من خيري الدنيا والآخرة، والخير هنا أعم من أن يخص بخير الدنيا والآخرة فالذي يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضلة إيمانه ضعيف بنص هذا الحديث «**لا يؤمن أحدكم**»، أي: لا يكتمل إيمانه، قال تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا﴾، وقبلها قال تعالى: ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيرا﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾، وقال:

﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾، وقال: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ الآيات، وقال سبحانه: ﴿والله فضل لعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت إيمانهم﴾، وقال سبحانه: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾، وقال سبحانه: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾.

ويستحب لك المسابقة إلى الخيرات التي يسميها أهل العلم: الغبطة، قال تعالى:﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾، وقال تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾، وقال: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنه عرضها السموات والأرض أعدت للذين أمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

﴿يؤتيه من يشاء﴾، أنت تعترض على فضل الله، فليعلم أنه من ضعف الإيمان كونه ما يجب لأخيه ما يحب لنفسه، هل تحب لنفسك أن تحفظ القرآن؟ حب لأخيك كذلك، تحب لنفسك أن تكون سنيًّا على الجادة، على الكتاب الله والسنة، والاستقامة؟ حب للمسلمين ذلك، واجتهد في إيصال الخير إليهم، وإياك أن تميِّع الناس، وأن تفسد في أقوالك وأفعالك، فتكون ما أحببت لهم الخير، والله يقول: ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾.

فهذا الحديث من أدلة أهل السنة، أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه فيه كامل وناقص وكل أدلة زيادة الإيمان استدلوا بمفهومها على نقص الإيمان، ومن القرآن

قوله تعالى: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانًا﴾، وقوله: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾، وقوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾، وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنَهُ، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده؛ فإن لم يستطيع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»، والحديث الآخر فيه: «**وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنَهُ أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة فاعلاه قول لا إله إلا الله وأدناه إماطة الأذى عن الطريق**» أعلى، وأدنى.

وقوله: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب...**»، عام في الرجال والنساء، والجن والإنس، فالمؤمن من الجن يحب المؤمن من الإنس، والعكس أيضًا، قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾، وقال: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾.

فإيصال الخير إلى الناس من الإيمان، ولا يظن أن ما يقوم به الإنسان من الدعوة إلى الله، ومن التعليم -إن صدق مع الله- أنه يذهب سدى، وإن لم يَسْتَجِبْ لك أحدٌ، فأنت مأجور، قال تعالى: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾، فبعض الأنبياء -عليهم السلام- كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنَهُ استجاب له أناس، وبعضهم ما استجاب له إلا واحد، وبعضهم لم يستجب له أحد.

وقوله: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، لا شك يا إخوان،

أن هذا غاية في المحبة وغاية في الحرص على الخير، فما الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾؟

الجمع: أن الإنسان إذا أحب لنفسه ولغيره الخير ما تذهب نفسه حسرات، إنما يعمل بالسبب، ولا يتنازل عن الحق، ولا عن السنة من أجل فلان أو علَّان، قال تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾، وقال: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره﴾، وقال سبحانه: ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾.

وقوله: «**ما يحب لنفسه**» يدل على أن الإنسان يحب لنفسه الخير، وأن الذي ما يحب لنفسه الخير هذا قد تنازل عن طريق البشرية، ما هو على طريقة البشر، فعادةً البشر يحبون لأنفسهم الخير، بل حتى المواشي تحب لنفسها الخير، تجد البقرة تحب أن تأكل من العلف الطيب، تحب لنفسها الخير، فضلاً عن بني آدم.

ولكن يا أخي، بعضهم يحب لنفسه دخانة، ويحب له شمه، وآخر يحب له تخزينه، هل هذا خير؟ أنت الآن ما أحببت الخير لا لنفسك، ولا لغيرك، لو أتيت بكوم شمه إلى البقرة ما أكلته، بل قد رأينا بأعيينا بعض المواشي لو رأت بصاقًا من الشمه بين الماء لا تشربه.

ومن محبة الخير للمسلمين: تعليمهم ودعوتهم إلى الحق، وإبعادهم عن الشركيات، وعن البدع والخرافات، ولو غضبوا فمعناه أن أهل السنة أحسنوا إليهم أكثر مما أحسنوا إلى أنفسهم، ورحم الله يوسف بن أسباط حيث قال: أنا خير

لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم، أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا، فتتبعهم أوزارهم، ومن أطراهم كان على أضر عليهم.

هكذا في ترجمة الحسن بن صالح بن حي من «التهذيب»، وصدق رَحِمَهُ اللهُ؛ فإن أهل السنة وأئمة الجرح والتعديل خير للعصاة والمبتدعة من آبائهم؛ لأن بيانهم ذلك فيه تخفيف عن هؤلاء الضلال؛ فإنهم كلما كثر تابعوهم على البدع والمنكرات تحمل المتبوعون وزر ذلك؛ لقول الله تعالى: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة إلى يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾

الحديث الرابع عشر

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنْ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ**» متفق عليه.

وقد جاء عن عثمان بنحو هذا في بيان أن التارك لدينه هو المرتد، وجاء في صحيح مسلم عن عائشة بنحو هذا.

قوله: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث**» معناه قتله، فواحدة من الثلاث يحل بها قتله إجماعًا، والثيب من الرجال هو الذي يجامع بنكاح شرعي صحيح، ولو بإدخال الحشفة في الفرج، يقولون: يعتبر ثيبًا، فإذا زنى بعد ذلك، وإن لم يكن متزوجًا في حالة الزنا يرجم حتى يموت.

والثيب من النساء هي التي تزوجت، وجومعت بجماع شرعي صحيح، ولو بالتقاء الختنانين، فهذه إذا زنت فعليها الرجم، ورجم النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- جماعة، ثبت أن امرأة من جهينة أتت النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، فقالت: أصبت حدًّا فأقمه عليَّ، فدعا النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- وليها، فقال: «**أحسن إليها، فإذا وضعت فأتني بها**»، فأتى بها، وفي رواية

أنه أتى بولدها وهو حامل كسرة من الخبز، ثم أمر بها فَرُجِمَت بعد أن فُطم ولدها.

والغامدية -أيضًا- كما في «الصحيح، رجمها النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-، ويستحق هذا الحكم المكلف، أما الصغير فلا يرجم، ولا يقام عليه حد الجلد ما لم يبلغ، والمجنون أيضًا لا يرجم؛ فإن كان لم يحصن لم يجلد، لحديث علي بن أبي طالب أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**رفع القلم عن ثلاثة: المجنون حتى يفيق، والصغير حتى يبلغ، والنائم حتى يستيقظ**»، وله قصة، وهي أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنَهُ أمر بمجنونة أن ترجم، فمر عليّ رَضِيَ اللهُ عَنَهُ، فقال: يا أمير المؤمنين، ألم يقل النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**رفع القلم عن ثلاثة**»، قال: بلى، قال: فما بال مجنونة بني فلان؟ قال: فأمر عمر رَضِيَ اللهُ عَنَهُ بها فتركت، وهذا ثابت عن عمر وعن علي، وجاء عن غيرهما.

أما البكر، ففيه ما جاء عن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام**» ففيه أنه يجلد مائه ويغرب عامًا، «**والثيب بالثيب جلد مائه والرجم**»، هكذا في الحديث إلا أن الصحيح أنه لا يجمع بين الجلد وبين الرجم، وإنما رجم النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- أولئك ولم يُجلدوا، وهكذا بقي جلُّ العلماء على أن الجمع بين الرجم والجلد منسوخ على الصحيح.

سؤال: هل يحفر للرجل؟

جواب: الأحاديث فيها ضعف، فيما يتعلق بالحفر للرجل، ومما يدل على أنه لا

يحفر له ما أخرجه البخاري ومسلم أن ذلك الرجل الذي اعترف بالزنا، لما أذلقته الحجارة هرب، فأدركوه بالحَرَّة، فرجموه، وفي الصحيحين أيضًا أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- لما أمر برجم اليهودي واليهودية الَّذَينِ زنيا بعد الإحصان، فرجما على البلاط، قال ابن عمر: فرأيت اليهودي أحنا عليها ظهره يقيها الحجارة بنفسه. قال ابن القيم في «إعلام الموقعين» عن بعض الروايات التي في مسلم، وفيها: (فحفرت له حفيرة) قال: وهي غلط، وإنما حصل الوهم من حفرة الغامدية، فسرى ذلك إلى ماعز والغامدية.

قُلْتُ: وحديث: فأمر بها فشدت عليها ثيابها، ثم رجمت. يدل على عدم وجوب الحفر؛ حتى للمرأة المرجومة، ومن باب أولى أنه لا يحفر للرجل المرجوم؛ فإن حفر لهما حال رجمهما فلا ينكر ذلك؛ لما في الباب من الأدلة والأقوال.

وما يتعلق بالحفر للمرأة فيها أحاديث أسانيدها أقوى من تلك شيئًا ما، إلا أنه ليس بواجب.

قوله: «**والنفس بالنفس**»، من باب قول الله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾، وقوله: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾، ومن زعم أن هذه وحشية؛ فهو كافر، الذي يقول: إن القصاص لا يجوز، وإنه محرم، وإنه وحشية، ويتنكر لهذا؛ فقد رد كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع المسلمين، وسواءً كان امرأة برجل، أو رجل بامرأة، قال تعالى: ﴿وكتبنا عليهم أن النفس بالنفس﴾.

والطحاوي يقول في «العقيدة الطحاوية»: فمن سأل لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

نعم، إن الإجماع قائم أن أجزاء المرأة من حيث ديتها أنها نصف دية الرجل، لكن إذا قتلها رجل يقاد بها؛ فإن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- أُتى بتلك المرأة التي رَضَّ رأسَها يهودي بين حجرين، فأمر به فَرُضَّ رأسه بين حجرين، ولا بأس بالإراحة، ولأهل العلم في هذا قولان:

منهم من يقول: يقتل بما قتل به لهذا الحديث، لو قتل بسكين يقتل بسكين.

ومنهم من يقول: يُراح ويقتل بالسيف، أو ما كان فيه الإراحة، مثل السيف، وهذا أقرب، وبه يقول ابن قدامة وجماعة من أهل العلم؛ لحديث شداد بن أوس: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**»، الشاهد من الحديث: «**فأحسنوا القتلة**»، يقتل بالرصاص، لاسيما في هذه الأزمنة الموجود فيه الرصاص، أو بالسيف، أما مثلًا ضربه بفأس، ويكسرون رأسه، ويضربونه وهو يتألم هذا خلاف الأولى.

وحتى لو قتل رجلٌ صبيًّا صغيرًا مولودًا، ابن يوم أو ابن ساعة خرج واستهل، يُقتل به ﴿النفس بالنفس﴾، والمقصود بالنفس هنا المعصومة، وكذلك هل يقتل الوالد بولده؟ لا؛ لقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**لا يقتل والد بولده**»، ويقتل الولد بوالده.

«**ولا يقتل مسلم بكافر**»، كذا قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كما في «الصحيح، سواء كان كتابيًّا، أو يهوديًّا، أو نصرانيًّا، أو ذِميًّا؛ فإن كان حربيًّا؛ فإجماعًا، وإن لم يكن حربيًّا؛ فعلى الصحيح: لا يقتل به، لا يقتل مسلم بكافر، ولو قتله عمدًا، ويقتل الكافر بالمسلم؛ لحديث قصة اليهودي الذي رضّ رأس امرأة بين حجرين، فقتله رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- بها، كما تقدم قريبًا.

قوله: «**إلا بإحدى ثلاث**»، هذا ليس على سبيل الحصر، فهناك الذين يعتبرون محاربين، سواء بالحرابة الكبرى التي هي الردة، أو الحرابة الصغرى التي هي الإفساد في الأرض، هؤلاء يقتلون، قال تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾، وهكذا البغاة الذين يبغون على، وليّ الأمر يقاتلهم حتى يرد بغيهم، ولو لم يكونوا كفارًا، فقد قاتل علي رَضِيَ اللهُ عَنَهُ ومن معه من الصحابة الخوارج ولم يكفرهم، قال: إخواننا بغوا علينا، ثبت هذا عند محمد بن نصر المروزي كما في «تعظيم قدر الصلاة» أن علي رَضِيَ اللهُ عَنَهُ لما قاتل الخوارج، قالوا: أكفار هم؟ قال: ليسو بكفار، من الكفر فرّوا، قالوا: أمنافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا، وهؤلاء يذكرون الله كثيرًا، قالوا: فَمَنْ هُم؟ قال: إخواننا بغوا علينا، وإنما قاتلهم لبغيهم على المسلمين، قال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت أحداهما على ألأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾.

وهكذا من شق عصا المسلمين؛ لحديث: «**من أتاكم وأمركم جميع فاقتلوه، كائنًا من كان**».

وهكذا من وقع على ذات محرم على قول جمهور العلماء، ولو كان بكرًا؛ لحديث ابن عباس عند أحمد (١/ ٣٠٠)، وفيه: «**ومن وقع على ذات محرم فاقتلوه**»، والراجح وقفه، رجحه البيهقي في «الكبرى»(٧/ ٤١١-٤١٣)، وذكر له شاهدًا من حديث البراء، وهو مضطرب، وعلى هذا فالراجح في ذلك أن حكمه الدنيوي حكم الزناة غيره، إن كان بكرًا جلد وغُرِّب، وإن كان محصنًا رجم.

وقد ذكر ابن الجوزي، عند هذه الآية: ﴿ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لولية سلطانًا فلا يسرف في لقتل أنه كان منصورًا﴾، أن الإسراف في القتل هو أن يقتل أكثر من القاتل، أو أشرف من القاتل، أو غير القاتل، ولو لم يكن أشرف، أو يقتل بيده بغير إذن ولي الأمر؛ فإن هذا يؤدي إلى الفتن، أو يمثِّل بالمقتول، ويراجع من «زاد المسير».

قوله: «**التارك لدينه المفارق للجماعة**»، أي: جماعة المسلمين؛ لحديث: «**من بدل دينه فاقتلوه**»، كذا قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، ونزل معاذ بن جبل في اليمن على أبي موسى، فوجد رجلاً ارتد، ووجده مربوطًا، فقال: ما بال هذا؟ من قبل أن ينزل من على راحلته أو حماره، فقالوا: ارتد، فقال: والله، لا أنزل حتى يقتل؛ لأن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**من بدل دينه فاقتلوه**»، فأمر به فقُتل، ثم نزل معاذ كما في الصحيح.

المفارق لدين الإسلام، ولو كان يقول: لا إله إلا الله؛ فيقتل، مثل الساحر، الساحر كافر؛ لقول الله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنه فلا تكفرا﴾، فيقتل إذا كان سحره من السحر الذي هو كفر، وساب الله وساب رسوله، حتى ولو كان يقول: لا إله إلا الله، ويصلي مع المسلمين يقتل، كذلك المستهزئ بدين الله مثل المستهزئ بالإسلام يكفر؛ لقول الله تعالى: ﴿قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾، يجب أن يقام الحد على من كان على ردة، من الشيوعية، والبعثية الاعتقاديين، والباطنية، وغلاة الرافضة، وغلاة الصوفية، وكل من بدل دينه، يقتلهم وليّ الأمر، ويستتيب الآخرين، وإلا قُتلوا، هذا هو الواجب على ولاة أمور المسلمين -وفقهم الله- لهذه الأدلة وأمثالها في الباب، والله المستعان.

الحديث الخامس عشر

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَلَا فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»، متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

قوله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»، مفهومه أن من لا يؤمن بالله واليوم الآخر يثرثر بالكلام، ما يصمت عن الشر، أما من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، وقوي إيمانه؛ فإنه يقول خيرًا أو يصمت، فعلى كل مسلم أن يقول خيرًا أو ليصمت، فقول الخير سبب صلاح الأعمال وغفران الذنوب، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدًا*يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾، وأنت بحاجة إلى صلاح أعمالك، من صلاة، وصيام، وسائر الأعمال، والله، كثير من الناس حرموا صلاح الأعمال بسبب ألسنتهم، والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كان يقول: «**اللهم، أصلح لي ديني هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي**»، والحديث في «الصحيح.

﴿يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم﴾، القول السديد توحيد الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقراءة القرآن وذكر الله، وكل ما يقربك إلى الله عز وجل، وعدم السديد من الشرك بالله، والكذب، وما إلى ذلك، من كل ما تقترف به الآثام، وقد أحسن في هذا من قال:

إن لم تجد قولًا سديدًا تقوله   فصمتك عن غير السديد سداد

من السداد أن تسكت عن غير السديد، كم من الأحاديث في الحث على القول السديد، والبعد عن غير السديد.

من ذلك حديث: سبق أهل الدثور بالأجور والدرجات العلى يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ولهم فضول من أموالهم، يحجون، ويعتمرون، ويتصدقون، قال: «**ألا أدلكم على شيء تدركون به من سبقكم وتسبقون به بعدكم: تسبحون، وتحمدون، وتكبرون**»... الحديث، فدلهم على قول سديد يدركون به أصحاب الأموال الطائلة، الذين يتصدقون في سبيل الله.

وحديث أبي الدرداء: «**ألا أدلكم على خير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**ذكر الله**».

جاء عن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنَهُ أنه كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني

الموارد، وابن مسعود يقول: ما من شيء أحق بطول سجن من اللسان، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار، يزل بها سبعين خريفًا**»، وقال: «**وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه، وإن العبد ليتلكم بالكلمة من رضوان الله يكتب الله له بها رضوان إلى يوم يلقاه**».

وجاء عن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- أنه قال: «**لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله؛ فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وأبعد الناس من الله القلب القاسي**»، أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر، استدلوا بهذا الحديث على أن السكوت عن المباح أفضل عن الكلام المباح، وذكروا الخلاف: هل تكتب الملائكة كل شيء حتى المباح؟ فقول الله عز وجل: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ يدل على الشمول، وبعضهم يقول: والله، لو أن هؤلاء يعطون الملائكة ما يكتبون فيه لكفوا عن كثرة الكلام.

وربنا سبحانه يقول: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً﴾، وقد ألّف ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللهُ كتابًا سماه «الصمت»، راجعوا ذلك الكتاب، مفيد في بابه:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدمِ

وكم صامتٍ تراه لك معجبًا ... زيادته أو نقصه في التكلمِ

كم من إنسان تُجلّه وإذا تكلم يثرثر، ويلجلج بكلامه، يسقط من أعين الناس، وآخر يكون ماله ذلك المقدار، فإذا تكلم تناثرت درر من فِيهِ فيقدّر عند الناس بسبب ذلك الكلام الذي يخرج من فِيهِ، من قول حق، والتذكير بالله، وبتقوى الله، وبطاعة الله، لا تبخل على الناس بلسانك يا أخي، ولا تبخل على نفسك بلسانك، أي: بالحق تخرجه منها، وكم ترون من الفتن تُجتنى عن طريق اللسان قال بعضهم:

احفظ لسانك أيها الإنسانُ ... لا يلدغنك إنه ثعبانُ

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعانُ

هذا واقع، رُبَّ كلمة يُقتل صاحبها فيها، ورب كلمة يُسجن فيها، ورب كلمة يُفتن بها، ورب كلمة واحدة يخرج بها صاحبها من الإسلام، قال تعالى عن المنافقين: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بها لم ينالوا﴾، فعلى هذا «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»، وثبت من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: ما من يوم يصبح فيه الإنسان إلا والأعضاء كلها تكفر اللسان تقول: اتق الله فينا، إنما نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا، وهكذا حديث عقبة أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال له رجل: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وأبك على خطيئتك**»، وحديث سهل بن سعد في البخاري: «**من يضمن لي ما بين لحييه** -اللسان-، **وما بين رجليه** -الفرج- **أضمن له الجنة**»،

انفرد به البخاري، ووهم النووي رَحِمَهُ اللهُ في «رياض الصالحين» فعزاه للشيخين، وبنحوه عن أبي هريرة في «الصحيح المسند»، ومن حديث أبي عمرة سفيان بن عبدالله، قال: قلت: يا رسول الله، حدثني بأمر اعتصم به، قال: «**قل ربي الله، ثم استقم**» قال: ما أخوف ما تخاف عليّ؟ قال: «**هذا**»، وأخذ بلسانه، وقال: «**أمسك عليك هذا**».

وقال تعالى: ﴿وقل لعبادي يقول التي هي أحسن﴾، كلمتان واحدة تراها طيبة والأخرى أطيب، قال تعالى: ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوًا مبينًا﴾، قل التي هي أطيب.

قوله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**»، وفي رواية: «**فليحسن إلى جاره**»، صاحب الإيمان تجد عنده مجورة حسنة إلى الغاية، ويذكرون عن بعض الحكماء أنه استدان وأراد أن يبيع بيته، فأتى بضعفي قيمة البيت، فقالوا: بيتك ما يسوى إلا نصف هذه القيمة، قال: أبيع داري وجاري، يعني أبيع مجورة جاري، فعلم جاره بذلك القول فأتى ودفع الدين الذي عليه.

فحسن الجوار في كتاب الله وسنة رسوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، حتى ولو كان يهوديًّا، ابن عمر كان يقول: هل أهديتم لجارنا اليهودي؟ قالوا: ما أكثر ما تذكر جارك اليهودي؟ قال: سمعت رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يقول: «**ما زال جبريل يوصني بالجار حتى ضننت أنه سيورثه**»، فله حق المجورة، ولو كان كافرًا، أما إن كان جارًا مسلمًا فله حق المجورة، وحق الإسلام،

وإن كان جارًا مسلمًا ومن ذوي الأرحام، فله ثلاثة حقوق: حق المجورة، وحق الإسلام، وحق القرابة، والجوار يكون في نحو أربعين بيتًا فيتعاهد جواره على هذا القدر، وما استطاع من فعل الخير لهم ولغيرهم فعل.

والله، بعضهم ما يتعاهد صاحب الباب على اليمين، ولا على الشمال، ولا إلى الأمام، مقصرون في هذا لكنا نسأل الله العافية لا بزيارة مريض ولا بتعهد حالة إلا من رحم الله، وربنا سبحانه يقول: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم﴾، وصايا من الله سبحانه وتعالى بالجار، وهكذا في السنة:«**يا أبا ذر، إذا طبخت مرقةً فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك**»، وقال: «**لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**»، (ظلف شاة)، والخيانة في الجار أشد من غيرها، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»، (ظلمه، وغشمه)، وربما يكون غافلاً وذاك يتطلع إلى البيت وينظر، وهو غائب، والمرأة غافلة، فهذا أشد إثمًا، نسأل الله العافية.

والجار السيئ استعاذ منه النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-، فقال: «**اللهم، إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة؛ فإن جار البادية يتحول**»، الحديث ثابت، ومن أجل هذا ضيقوا في مسألة الشفعة، وأن الشريك أحق بها من غيره، فربما يأتيه جار لا يرضاه وَيُنَغِّصُ عليه حياته، فإذا رضيه أو تنازل، فلغير

الشريك الشراء.

وفي ذلك الحديث من طريق: عبدالله بن محمد بن عقيل وفيه ضعف، أن رجلاً كان يؤذيه جاره، فشكا إلى النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-، فقال: «**اذهب فاصبر**»، ثم أتاه مرة ثانية، قال: «**اذهب فاصبر**»، فشكا الثالثة، فقال: «**أخرج متاعك في الطريق**» -أترك هذا البيت وهذا الجار- فأخذ متاعه وخرج من عند ذلك الجار، ووضع متاعه في الطريق، فكان الناس يمرون ويقولون: ماله؟ قالوا: آذاه جاره، قالوا: لعن الله جاره.

استدلوا بهذا الحديث على أن اللعن: السب، والأولى ترك لعن المعين، وعليه الجمهور، وما أحسن ما نقله البيحاني في «إصلاح المجتمع»:

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي وما علموا جارًا هناك ينغص

فقلت لهم كفوا الملامة أنها بجيرانها تغلوا الديار وترخص

قوله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»، في حديث أبي شريح العدوي: «**فليكرم ضيفة جائزته، وجائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما زاد على ذلك فهو صدقة**»، متفق عليه.

والجائزة داخلة في الثلاثة الأيام، ما هو يوم رابع، لكنها أشد تشديدًا فيها من حيث إكرام الضيف، إذا لم يعطه حقه؛ فإنه يأخذه، كما قال رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**فليأخذ**»، وموسى عليه السلام قال: «**لو شئت لاتخذت**

عليه أجرًا»، إكرام الضيف واجب، ما هو مجرد مستحب، ففيه بركة، فرب ضيف تكرمه فتحصل المحبة في قلبه بسبب ذلك الإكرام، وتحصل البركة في المال، وفي ذلك الطعام.

ورسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَمَ-، وأبو بكر، وعمر لما جاءوا إلى بيت أبي مالك بن التيهان، قال: مرحبًا وأهلًا، ما أحد أكرم ضيفًا مني اليوم، وأخذ المدية وذبح لهم، وأتى بالماء والتمر، يدل على الحفاوة بالضيف، وهذه عادة العرب من قبل، قال تعالى: ﴿وهل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذا خلوا عليه فقالوا سلامًا قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجلٍ سمين فقربه إليهم فقال ألا تأكلون﴾، فانظر في هذا الأدب ما قال: تعالوا الغذاء هنا في الصالة، أو الغداء هناك في مكان كذا، فمن كرمه وإكرامه لهم قربَّه إلى مكانهم الذي هم فيه، ذكره الله في كتابه، فإن قال: تعالوا إلى مكان كذال كون ذلك المكان ضاق بهم، فلا بأس، لكنه خلاف الأفضل، وهكذا أيضًا لوط عليه السلام قال: ﴿تقوا الله ولا تخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد﴾.

وقد يعتبر أذى ضيفه خزيًا له وإساءة إليه، يحتاج الضيف إلى الحفاوة، ولو بابتسامة، ولو بجلوس معه، كل هذا نحن مقصرون فيه، ولكن كما قيل: ينفعك نصحي، ولا يضرك تقصيري.

فلو أعطيته ما أعطيته، وهو يرى منك العبوس وعدم الحفاوة، ما يرتاح لذلك، فإكرام الضيف يعتبر واجبًا، وكذلك من شيم العرب، وسمات العرب، ومن فعل

السلف، أما حديث: «**الضيافة على أهل المدر وليس على أهل الوبر**»، فيقول الذهبي: إن هذا الحديث من وضع هذا المدبر إبراهيم بن عبدالله بن همام الصنعاني، يرويه عن عمه عبدالرزاق بن همام الصنعاني عن الثوري عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا، وإبراهيم هذا كذاب كما في «الميزان»للذهبي، فالضيافة على أهل المدر، وعلى أهل الوبر، وعلى البادية، وعلى أهل المدن، فلا يختص بالبادية.

وما زالت هذه الشيم عند أهل البادية، هم من جاء يكرمونه، ويضيفونه، وما أكثر أصحاب المدن صار عندهم معروف هندي، ويذكرون أن كثيرًا من عوام الهند ما يبالون بالضيافة، وهكذا أيضًا يذكرون عن بعض البخلاء، يذكرها الجاحظ وهو معتزلي وليس بعدل، لكن يذكر أن واحدًا من البخلاء كان يقدم على واحد فيكرمه غاية الإكرام، وأحتاج الذهاب إلى ذلك البلد، وقال: يسهل عليَّ؛ لأن عندي هناك صاحب أقدم عليه يكرمني، فقد قدم علينا كثيرًا، فلما قدم على صاحبه ذاك وجده في مجلس، فسلم عليه وجلس، وقال له: ما عرفتني؟ فقال: ما عرفتك، فقال له: أنا صاحبك الذي كنت تقدم عليّ في مكان كذا وكذا، قال: ما عرفتك، قال له: أنا صاحبك وهذه الصلعة التي تعرفها، وأراه الصلعة في رأسه، قال: ما عرفتك ولو خلعت جلدك. ويكفينا عن هذا حديث: «**من يضيف ضيف رسول الله**»، بعد أن أرسل إلى أبياته من أجل أن يضيف ذلك الضيف فما وجد شيئًا، فقال: «**من يضيف ضيف رسول الله**»، فأخذه أبو طلحة رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وأضافه بطعام الصبية، فقال رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : «**عجب الله من**

صنيعكما بضيفكما البارحة»، يطبخ الطعام، ويعلل الصبية حتى ينامون، ويأتي ويظهر له أنه يأكل حتى يستأنس، وبعد ذلك يأكل الضيف، ويبيت هو وزوجته وأولاده طوى، ما يأكلون طعامًا، فعجب الله عز وجل من هذا الصنع يدل على تقديم إكرام الضيف حتى على النفس والأولاد، هذا شأن الكرام، ونسأل الله التوفيق.

الحديث السادس عشر

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ هُوَ ابْنُ عَيَّاشٍ عَنْ أَبِي حَصِينٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**».

هذا الحديث انفرد به البخاري، والذي قال للنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: أوصني، هو جارية بن قدامة، كما في «مسند أحمد»، قال: أوصني وَأَقْلِلْ عليَّ، فأوصاه بهذه الوصية أنه لا يغضب، والغضب منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم، وإنما يُنهى عن الغضب المذموم، والغضب المذموم هو الذي يؤدي إلى ما يسيء الخلق، والذي يسبب ارتكاب ما حرم الله من: قتل، ومن حصول فتن، وخروج على نطاق الحق، وغير ذلك، وقدر رأى النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- رجلاً قد أحمر وجهه وانتفخت أوداجه من الغضب، فقال: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد**»، فَأُخْبِرَ الرجلُ بذلك، فقال: أوبي جنون. متفق عليه عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وليس المقصود النهي عن الغضب الذي هو من صفة الإنسان، ولكن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- يقول: «**ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**».

وقد ذكر أهل العلم أن علاج الغضب أنه إذا كان قائمًا يقعد، وجاءت أحاديث بذلك، وإذا كان قاعدًا فليضطجع، وإذا توضأ أهدأ له؛ فإنه غليان الدم في جسم الإنسان، فهذا يستريح به، وتَذَكُّر عواقب الغضب وما فيها من أضرار وتذكُّر أحاديث النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- في النهي عن ذلك.

والغضب لحرمات الله مثل: غضب رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- في مواطن كثيرة، إذا انتهكت حرمات الله، كما في الحديث، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- ما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله، متفق عليه.

وغضب حين رأى نخاعة في قبلة المسجد حكها وتغير وجهه، وغضب حين رأى نمرقة في البيت فيها تماثيل، وغضب حين أُخْبِر أنهم قالوا: إنه لا يعدل، أخبره ابن مسعود أن رجلاً يقول: إن هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله، فتغير وجهه حتى كان كالصِّرْف، وقال: «**فمن يعدل إذا لم أعدل؟ يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»، وغضب حين اشترط موالي بريرة أن تعتقها عائشة، ويكون الولاء لهم، وغضب حين قال رجل: يا رسول الله، فضالة الإبل؟ قال: «**مالك ولها**»، وغضب حين شفع أسامة في المرأة المخزومية التي سرقت، وغضب حين رأى على عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنَهُ حلة حرير، وغضب حين أمرهم بالتحلل من الإحرام، فترددوا، وغضب حين سألوه عن مسائل كرهها، فلما أكثروا عليه المسألة غضب وقال: «**سلوني**»، وغير ذلك.

ومن أسباب ذهاب الغضب: الصبر، والتذكر لما حصل للماضين من الأذى.

والغضب قد يؤدي إلى طلاق الرجل زوجته التي لا يريد أن يطلقها، ويؤدي إلى تيتيم الأولاد، ويؤدي إلى قتل النفس التي حرم الله بغير حق، وإلى إخراج كلام باطل، وقد قال رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**اللهم، إني أسألك كلمة الحق في الغضب والرضى**»، ويؤدي إلى ضيق الصدر، وربما أدى إذا اشتد على صاحبه إلى بعض الأمراض العصبية، أو ضغط الدم، وإضعاف التفكير، وذهاب المعلومات، وإلى سوء التصرف، وإلى غير ذلك مما يصدر عن غير المعصوم.

وقد تكلم العلماء على طلاق الغضبان، وفيه تفصيل: فإن طغى الغضب على ذهنه بحيث لا يدري ما يقول؛ فهو شبه مجنون، والمجنون لا ينفذ له طلاق؛ لحديث: «**رفع القلم عن ثلاثة**»، ومنهم: «**المجنون حتى يفيق**»، وإن كان يشعر ما يقول، فغالب الناس ما يطلق وهو مستريح، ما يطلق إلا وقد تغاضب مع امرأته، وطلاقه نافذ ما دام يشعر ما يقول، وناويًا الطلاق.

الحديث السابع عشر

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**».

الإمام مسلم اعتمد شراحيل بن آدة في هذا الحديث، وإن لم يوثقه معتبر حسب ما رأينا، فإذًا هو بلا شك يصلح حديثه للاحتجاج. عن شداد بن أوس بن ثابت، هو ووالد حسان بن ثابت أخوان، فشداد ابن أخي حسان.

وليس لشداد بن أوس في صحيح مسلم سوى هذا الحديث، وانفرد به، وانفرد له البخاري بحديث واحد وهو حديث سيد الاستغفار.

وهذا الحديث من جوامع كلم النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- فقوله: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**»، فكتب الله الإحسان في توحيده، قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا﴾، ومن أشرك مع الله ما أحسن، بل أساء إساءةً عظيمة، قال الله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾، وكتب الإحسان إلى ما ذكره الله عز وجل في آية الحقوق العشرة بقوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى

والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت إيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورًا﴾.

وكتب الله الإحسان في العشرة، قال تعالى: ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾، والإحسان في الطهارة؛ لحديث: «**أرجع فأحسن وضوءك**»، ولو بقي من بعض أعضاء الوضوء قدر ظفر فالصلاة غير صحيحة على هذا الحال، وحديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنَهُ، وقد انتقد سنده، لكن متنه صحيح، أما حديث «**أعد وضوءك**»، فضعيف، وكذا حديث «**أتم وضوءك**»، فيه ضعف.

وكتب الله الإحسان في الصلاة؛ لقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- للمسيء صلاته: «**صَلِّ؛ فإنك لم تصل**»، وسّمي المسيء صلاته؛ لأنه ما أحسنها، صلاها ولم يحسن ركوعها وخشوعها؛ فهي باطلة.

وكل ما ذكر في ذلك الحديث يعتبر من فرائض الصلاة، وكتب الله الإحسان في العبادة «**أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك**»، نعني من حيث المراقبة لله عز وجل، ونظير ذلك السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم: رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، هذا من الإحسان، خشية الله سبحانه ومراقبة الله سبحانه.

وحديث الثلاثة أصحاب الغار، كل واحد يقول: إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، ففرج الله عنهم ما كانوا فيه من الكرب والضيق والشدة بسبب إحسانهم فيما بينهم وبين الله في تلك الأعمال، وربنا سبحانه يقول:

﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾.

ومما كتب الله الإحسان فيه الخُلق الحسن، والقول الحسن، قال تعالى: ﴿وقل لعبادي يقول التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوًا مبينًا﴾.

حتى الكتابة، يؤلف ويحسن، لا يأتي للناس بما يضرهم، بل يأتي للناس بما ينفعهم.

والإحسان في الحج أن يكون على هدي رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-؛ لحديث: «**خذوا مني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»، وهكذا الذبيحة، من الإحسان إليها أن تكون لله، لإكرام ضيف، أو هديًا، أو أضحية، أو طعامًا، أو بيعًا، لا تكون إلا لله.

قوله: «**فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة**»، المقصود حتى ولو قتلوا الكفار لا يجدع أنفه، ولا يمثل به، ولا يسمل عينيه، ولا يبتك أذنه، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- لأصحابه «**اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا**»، وَفِعْلُ النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- إذ رَضَّ رأسَ ذلك اليهودي بين حجرين؛ فإن من أهل العلم من قال: يقتل بما قتل به القاتل، والصحيح أنه يقتل بما يريحه من السيف، والرصاص، ونحو ذلك؛ لهذا الحديث: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**» ويكون النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- نَكَّلَ بذلك اليهودي.

قوله: «**وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحَة**»، ومما يحسن الذبحة أنَّ مَا يُنْحَرُ يُنْحَر، وَمَا يُذْبَحُ يُذْبَح، الإبلُ يُنْحَرُ فَيُنْحَر، هذا من إراحتها، والأبقار والأغنام تُذْبَح، فلو أنه نحر ما يذبح أو ذبح ما ينحر، فمع كونه حلال، لكنه ما أحسن إليها ربما عذبها، أو شق عليها، «**وما نَدَّ عليكم فاصنعوا به هكذا**»، حديث رافع بن خديج، إذا سمى ورماه برصاص؛ فجائز وهو من الإحسان، ما يكون قد قتله إن كان بشيء حاد، وذلك الصعق للدجاج أو الأبقار ليس من الإحسان؛ بل هو من الإساءة، ومن الضرر، ويكون مما آذوا فيه تلك الدواب التي قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**اتقوا الله في هذه البهائم كلوها صالحة واركبوها صالحة**».

وأصحاب الصعق يحسبون أنهم يحسنون صنعًا بهذا الفعل، ما عرفوا ولا أدوا حقوق الله، ولا حقوق الإنسان، يقتلونهم بالقنابل العنقودية قتلًا ذريعًا، ويسيئون إلى الحيوان أيما إساءة، يضربون الثور بالرصاص حتى يدوخ، وبعد أن يدوخ ويجمد فيه الدم يذبحونه والدم فيه، أين الإحسان في هذا؟ المهم أنهم كذابون، فجرة، كفار، أولئك كفار لا يعرفون الإحسان فيما بينهم وبين ربهم، بالتوحيد فيما بينهم وبين ربهم فضلاً عن ذلك الذي يظن أن ذبائحهم تلك ذبائح صحيحة، هذا ما هو صواب، فما عندهم إحسان، وبعض الناس يذهب أحدهم يذبحها بحجر غير حاد، أو ينتف رأسها هذه ليست ذباحة: «**ما أنهر الدم، وفرى الأوداج فَكُلْ، ما خلا السن والظفر، وسأحدثكم: أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة**» هكذا قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كما في حديث رافع، فمن

الإحسان أن يريحها، ولا ينبغي أن يكسر العظم حال ذبحها بكسر رأسها كسرًا، ليس هذا من الإحسان، رأينا بعضهم يذبح ويكسر ما أراحها، بل أتعبها، فليذبح وليفر الأوداج، إذا فرى الأوداج وسال الدم فيدعها تستريح، ولا بأس بعد ذلك أن يكمل، أما الكسر بسرعة، وربما قطع الرأس ورجم به بدون إراحة، هي ما تعتبر ميتة بهذا الحال، لكن هذه مخالفة لهذا الحديث، وما يكون أحسن إليها ولا أراحها.

الحديث الثامن عشر

قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ -وَمُعَاذ- قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**».

وهذا الحديث لم يثبت، فهو منقطع بين ميمون بن أبي شبيب ومعاذ وأبي ذر، ففي «تحفة التحصيل»أنه لم يسمع منهما، ويضاف إلى ذلك أن حديث معاذ وَهَمٌ، ورجح الدار قطني في «العلل» إرساله.

حديث معاذ وَهَمٌ، بمعنى خَطَأٌ، وقد رواه جماعة عن الثوري عن أبي الزبير عن أبي الطفيل عن معاذ بن جبل في قصة جمع التقديم وأصل هذا الحديث بهذا السند في مسلم، ووهم عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي فرواه عن الثوري بهذا السند وجعل الحديث بلفظ: «**أتبع السيئة الحسنة تمحها**»، وعيسى بن يونس غيّر متنه ووهم فيه، كما نَبَّهَ على ذلك الأمام الدار قطني رَحِمَهُ اللهُ في «علله»، فعُلم أن حديث معاذ وَهَمٌ، وأن حديث أبي ذر لم يثبت اتصاله وإنما الصحيح أنه مرسل من مراسيل ميمون، انتهينا من هذا، الحاصل أنه ضعيف، لكن فقرات الحديث تدل عليها أدلة كثيرة.

قوله: «**اتق الله حيثما كنت**»، الأمر بتقوى الله تدل عليها أدلة كثيرة من الكتاب والسنة في الأمر بالتقوى، في أي مكان من ليل ونهار، سرٍّ وجهار، ويقول: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾، ويقول: ﴿واتقو الله ويعلمكم الله﴾، فتقوى الله خير لباس، قال تعالى: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾، وتقوى الله خير زاد، قال تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ وتقوى الله من أسباب الرزق، قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾، وتقوى الله من أسباب البصيرة، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورًا تمشون به ويغفر لكم والله غفورًا رحيم﴾، وقال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان فإذا هم مبصرون﴾، وتقوى الله من أسباب التفريق بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا تتقو الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾.

وتجد أوامر الله عز وجل ونواهيه في القرآن إما أن يتقدمها أمر بالتقوى أو يتعقبها، قال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾، وقال: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾، وقال:﴿يا أيها الذين أمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾، وكم من القرآن من هذا، في الأوامر والنواهي يتقدمها التقوى، أو يتعقبها، «**اتق الله حيثما كنت**»، فلا تظنّ أنك إذا خلوت أن الله

ما يراك، يقول الله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا وهو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة﴾، ويقول: ﴿والله من ورائهم محيط﴾، ويقول: ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾، ويقول: ﴿هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾، ويقول: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾، ويقول: ﴿ويوم يحشر أعاد الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلوهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أو مره وإليه ترجعون﴾، ويقول: ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم﴾.

يراك في أي موضعٍ أنت، وعلى أي حال كنت، قالت عائشة رضي الله عنها، عن خولة رضي الله عنها: سبحان من وسع سمعه كل شيء! والله، إني لفي الحجرة ولم أسمع كلامها وسمع الله كلامها من فوق سبع سماوات، في حين كانت تكلم النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- في زوجها، قال تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركم إن الله سميع بصير﴾.

وما أحسن تلك الأبيات:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

ولا تحسبنَّ اللهَ يغفــل ســـاعةً ولا أنَّ ما تُخفي عــليه يَغيبُ

قال تعال: ﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾، فهذا من أدلة المراقبة، ومن أدلتها: الحديث الآتي بعد هذا، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»، احفظ الله فيما بينك وبينه من الأوامر والنواهي يحفظك الله سبحانه،

ففي الصحيحين حديث الثلاثة أصحاب الغار، ذلك الرجل الذي أحب امرأة وبذل وسعه في إعطائها مالًا، ولما قعد بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فتركها وهي من أحب الناس إليه.

هذه مراقبة الله سبحانه وتعالى، وقصة يوسف عليه الصلاة والسلام، قال تعالى مخبرًا عنه: ﴿معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾.

قوله: «**وأتبعِ السيئة الحسنة تمحها**»، وكم من الأدلة في أن الحسنات يذهبن السيئات، قال تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾، وأحاديث الوضوء، وأحاديث الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر.

حديث عثمان: «**إذا توضأ العبد فغسل وجه خرجه كل خطيئة كان نظر إليها بعينه مع الماء أوقع أخر قطر الماء**»... إلى آخر الحديث، حديث أبي هريرة كذلك في فصل الوضوء، وحديث جابر وجاء عن غيره: «**أرأيتم لو أن أحدكم على بابه نهر غمر يجري يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟**» قالوا: لا، قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس**»، وكذلك أدلة التوحيد وأنها من مكفرات الذنوب، حديث البطاقة، حديث عبدالله بن عمرو: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن الحج يهدم ما قبله**»، وحديث سيد الاستغفار: «**من قال ذلك قبل أن يمسى فمات غفر له ومن قال ذلك حين يصبح فمات من يومه غفر له**»، وحديث أبي هريرة في الأذكار، وفيه: «**محيت عنه مائة خطيئة وكتبت له مائة حسنة، الذي يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي**». «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**».

قوله: «**وخالق الناس بخلق حسن**»، الخلق الحسن من أفضل القربات، وأدلته كثيرة، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد من خلق حسن**»، كما في حديث أبي الدرداء، وربما يسبق بخلقه الحسن درجة الصائم القائم والمتصدق، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خيري الدنيا والآخرة، وحسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار**»، هكذا قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ

وَسَلَم- كما في حديث عائشة وهو ثابت، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»، ولما قال هرقل لأبي سفيان: وما يأمركم؟ قال: يأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصِّلة، وقال أخو أبي ذر -لما جاء إليه-: ماذا يأمر به؟ قال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، أمر النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- بمكارم الأخلاق وهذا لا شك أنه أمرٌ من أفضل القربات، كان النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- أحسن الناس خلقًا، فحسن الخلق من أجلّ القربات كما في هذه الأدلة وغيرها، فعُلِمَ بذلك صحة حديث الباب بهذه الشواهد، والحمد لله، ونسأل الله التوفيق.

الحديث التاسع عشر

قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ الْحَجَّاجِ -الْمَعْنَى وَاحِدٌ- عَنْ حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: **يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»، وفي الحديث زيادة.

هذا الحديث يعتبر من أعظم الأحاديث، ومن جوامع كلم النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ومن أدلة العناية بتعليم الأبناء وتربيتهم، والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- رأى الحسن يريد أن يأكل تمرة من تمر الصدقة، فقال: «**كخٍ، كخ، إنها من الصدقة إنها لا تحل لنا**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**علموا أبناءكم الصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم وهم أبناء عشرٍ، وفرقوا بينهم في المضاجع**»، وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني أن الله أصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾، ويقول: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك و إله آبائك

إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾ وإبراهيم يقول، كما في قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾، فالعناية بتربية الأولاد أمرٌ مهم جدًّا؛ لحديث: «**إذا مات الإنسان أنقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»، رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنَهُ، والتربية في الصغر أنفع، كما قيل:

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ولا تلين إذا كانت من الخشبِ

فالصلاة من حفظ الله، قال تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾، وقال: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون﴾، حفظ الفروج من حفظ الله كما في هذه الآية.

والحفاظ على الوضوء: «**لا يحافظ عليه إلا مؤمن**»، وغض البصر من حفظ حدود الله، قال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾، وكل ما نهي الله عنه واجتنبته فأنت قد حفظت الله، أي: حفظت حدود الله، وإن امتثلت أمر الله حفظت الله «**احفظ الله يحفظك**»، وهذا من باب: الجزاء من جنس العمل، والماكرين يمكر بهم الله، يخادعون الله وهو خادعهم، والله يستهزئ بهم، ويمدهم في طغيانهم يعمهون، هذه صفات مقابلة، أي: إنهم قوبلوا بنظير فعلهم.

وعند عوام الناس يقولون: ولدك إذا كبر يصير أخًا لك، وهذا غلط، يجب

عليه الأدب والطاعة ولو كان كبيرًا عنده أولاد، يطيع أباه في المعروف، قال تعالى: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا﴾، وقال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين حسانًا﴾، وقال: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا﴾، وقال: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا﴾، وقال: ﴿وحمله وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾، هذا ما هو صحيح: أنه يصير أخًا، لكن ربما يتمرد إن لم يكن موفقًا، وأما الموفق فيبقى مستذلاً للحق وطاعة والديه.

وقوله: «**يا غلام**»، المقصود بالغلام الذي طرَّ شاربه، يقال له غلام، كما في مفردات الراغب الأصفهاني.

قوله: «**إني أعلمك كلمات**»، فيه الاختصار في النصيحة والموعظة، قال سفيان بن عينة: من لم ينتفع بقليل النصح لم يزد بكثيرة إلا شرًّا.

والناس يتفاوتون منهم من يحتاج إلى تكرار كثير حتى يفهم، ومنهم من تنفعه النصيحة القليلة ويستفيد منها، ويُستدل بهذا الحديث على فضل طلب العلم، وعلى أن الغلام يكون أحفظ من غيره للعلم، ويقال: إن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر.

ولا شك أن الإنسان كلما كبر سِنُّهُ تكبر قواه، فيقوى فهمه، وتتوسع مداركه، ولكن يضعف حفظه.

وقوله: «**احفظ الله يحفظك**»، فيه أنه يعلمه العقيدة الصحيحة، ويربيه على

حفظ حدود الله وهو في الصغر، وله تأثير، وانظر إلى أبناء أهل السنة ربما رأيت بعضهم يلعب في الصغر حتى تكرهه من كثرة لعبه، وكثرة فتنته وأذاه، ولكن تبقى آثار السنة فيه، آثار حفظ حدود الله، عنده بُغْضٌ للمعاصي، عنده بغض للبدع والحزبيات، فيكبر وتكبر هذه معه، وعنده أيضًا آثار السنة والعمل بها، وآثار خير ولو لم يَصِرْ عالمًا وحافظًا للقرآن، أقل ما فيه أنه ينفع نفسه بهذا الخير إن سلم من المفسدين، ولسنا راضين عن تقصيره هذا، ولكن يعتبر خيرًا في حقه أنه يعرف التوحيد، وبعض مسائل العلم، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خلق له.

قوله: «**احفظ الله يحفظك**»، المقصود: احفظ حدود الله، وأوامر الله، حافظ على ما أمرك الله به واجتنب ما نهاك الله عنه، يحفظك الله في دينك ودنياك، وأهلك، ومالك، وظاهرك، وباطنك، وليلك، ونهارك، هذا معناه، وهذا من باب: الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾، وقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم**»، وقال تعالى: ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾، ولهذا نظائر، ولو أراد واحد أن يجمع أدلة (الجزاء من جنس العمل) من القرآن والسنة لكانت في جزء، وهو نافع -إن شاء الله- إن علق عليها بتعاليق مفيدة، وفيها زجر إذا كانت من النواهي، وفيها حافزًا إذا كانت من الأوامر.

وكلمة: «**يحفظك**»، كلمة عامة في الحفظ الحسي، والمعنوي، ومنها قوله تعالى:

﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾، وقال: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾، أي: بأمر الله، إذا حفظت حدود الله يحفظ عليك خيرك كله، يحفظك في رزقك لا يسلمك للشامتين، بل يرزقك رزقًا حسنًا، قال تعالى: ﴿من عمل عَمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

ويحفظك في جوارحك، أنك ما تقترف بها معاصي، إذا حفظت حدود الله يحفظك الله، أنك ما تنظر إلا إلى ما أحل الله أو ما شرع، ولا تمش إلا إلى ما شرع من مباح، أو مندوب، أو واجب، ولا تأخذ إلا ما أذن الله فيه أو ما شرع الله، ويحفظ سمعك عن سماع المحرمات، ويحفظ قلبك عن الكبر، والإعجاب، والغرور، والحسد، إذا حفظت الله يحفظ عليك دينك فلا تصير مبتدعًا، ولا تصير حزبيًّا، هؤلاء الذين وقعوا في البدع ما حفظوا حدود الله، ولو حفظوا حدود الله لحفظهم الله، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**ومن تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**»، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- فيما يروي عن ربه عز وجل: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»، هذان حديثان قدسيان، الأول عن أنس والثاني عن أبي هريرة، وكلاهما في صحيح

البخاري.

احفظ الله في سمعك، وبصرك، وجوارحك، احفظ النوافل، احفظ الأذكار، ولا تهمل في طلب العلم؛ فإن هذا من حفظ حدود الله، الذي يحفظ به دين الله، ولا تقصر في بر الوالدين، وصلة الأرحام، والحب في الله، والإحسان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحب الخير، والنصح للمسلمين، كل هذا من حفظ حدود الله.

قوله: «**احفظ الله تجده تجاهك**»، إذا حفظت الله في إثبات أسمائه وصفاته، وتحقيق ألوهيته وربوبيته، وفي دينه، حفظك، وتجده تجاهك، قال تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾، وقال تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا وهو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم إنما كانوا﴾، لكن قوله: «**تجده تجاهك**»، وقوله: ﴿وهو معكم﴾ من باب: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾، والمعية في شرح هذا الحديث خاصةٌ، معيةُ نصر، وتأييد، وحفظ كلاءة، ومعية عامة كما تقدمت الأدلة عليها، والله عز وجل مستو على عرشه.

وقوله: «**إذا سألت فاسأل الله**»، معناه أنك مأمور بسؤال الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان﴾، وقال تعالى: ﴿ادعو ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾، وقال تعالى: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض﴾، وقال: ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردًا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له

يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين﴾، وقال: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به ضر وآتيناه وأهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾، وقال: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه -أي لن نُضَيِّق عليه- فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾.

أدع الله، وَكُنْ مُلِحًّا على الله في الدعاء قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا سأل أحدكم ربه فلا يستعجل**»، وفي حديث آخر: «**سألت الله فلم يجبني**»، «**فليعزم في المسألة؛ فإن الله لا مستكره له**»، وفي حديث أبي ذر القدسي: «**لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم سألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**»، وأولئك المدحورون الذين يقولون: إن الدعاء ما ينفع خالفوا الكتاب والسنة، وخالفوا هدي المرسلين، طريقة المسلمين، فالدعاء نافع إن شاء الله، وهو عبادة لله عز وجل، كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**الدعاء هو العبادة**»، وكما في الآيات المذكورة هنا، وينسب إلى الشافعي رَحِمَهُ اللهُ أنه قال:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدري ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء

وثبت من حديث أبي سعيد الخدري: «**إذا دعا أحدكم ربه؛ فإنه يستجاب له إحدى ثلاث ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم: إما أن يدخر له إلى يوم القيامة، وإما أن يدفع عنه من الشر مثلها، وإما أن يستجاب له في الدنيا**»، ما تخسر أبدًا إذا دعوت الله.

وسؤال غير الله سبحانه وتعالى مثل الأموات (يا ابن علوان، يا فلان) الذين لا يقدرون على النفع ولا الضر، شرك بالله أكبر، قال تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه أنه لا يفلح الكافرون﴾، وقال تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو ومن دون الله من لا يستجيب له إلا يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾، وقال تعالى: ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾، وقال تعالى: ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعا الكافرين إلا في ضلال﴾، وقال سبحانه: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسليهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾.

إن كان السؤال لغير الله ممن لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك أكبر، وإن كان السؤال لغير الله مما يقدر عليه الإنسان (أعطني القلم، أو أعطني كذا، أو اشتر لي كذا)، وما إلى ذلك فيما يقدر عليه فهذا يدخل في التَّسول، وهو مذمومٌ في كتاب الله وسنة رسوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كما سيأتي، ويشمل السؤال عن دين

الله، يسأل عن دين الله، قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، وهو يريد الاستفادة يكون واجبًا، وإن كان للتعنت، ولقصد التباهي؛ فيكون منهيًا عنه؛ لحديث: «**وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**»، عن المغيرة متفق عليه.

وقال ربنا سبحانه: ﴿لا تسألوا عن أشياء أن تبدلكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم عفا الله عنها﴾، وقد ذكره أهل العلم ذمَّ السؤال من غير فائدة كما في «مقدمة سنن الدارمي» فصل في هذا الباب كان أحدهم إذا سئل يقول: أحصلت هذه القضية؛ فإن قال: حصلت بحث عنها وتجشم لها، وإن قال: لم تحصل، يكرهون مثل هذا، حتى يحصل مثل ذلك الأمر.

وإن كان السؤال لما في أيدي الناس؛ فهو تسوُّل ودروشة، ما يجوز أن يتسول الإنسان مثل أصحاب الجمعيات، شغلوا أنفسهم، عندنا جمعية، عندنا أيتام، عندنا معهد، عندنا عندنا، دوخوا الناس، وشغلوا الناس، وأخذوا أموال الناس بالباطل، وفي هذا الباب ثبتت عدة مناهي منها: حديث ثوبان: «**من يضمن لي أن يسأل الناس شيئًا وأضمن له الجنة**»، وحديث الثمانية الذين بايعهم، قال لهم رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**ألا تبايعون، ألا تبايعون**» قالوا: قد بايعناك قال: «**أن لا تسألوا الناس شيئًا**»، فكان أحدهم إذا سقط سوطه لا يقول لأحدهم: ناولنيه.

وثبت في الحديث: «**المسألة كدٌّ يكد بها الإنسان وجهه، إلا أن يسأل سلطانًا أو**

في أمرٍ لابُدَّ منه»، وقال: «**من سأل الناس تكثرًا فإنما يسألهم جمرًا من جهنم فليستقل أو ليستكثر**»، وفي حديث ابن عمر في المتسول، «**يأتي ووجهة مسحوت ليس فيه مزعة لحم**»، والأحاديث في ذلك كثيرة، وقد أفردها شيخنا رَحِمَهُ اللهُ برسالة سماها «ذم المسألة» وإن كان السؤال لمن لك الحق عليه مثل الوالد والأم وما إلى ذلك فهو مباح، أن يسأل الإنسان ما كان شريكًا فيه له مال فيه، أو يسأل سلطانًا فيما لا بد منه، وننصح بترك سؤال السلاطين؛ فإنه تعرض للمذلة، والتنازلات.

وأمر المسألة مضيَّق، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة: رجل تحمل حمالة حلت له المسألة حتى يصيبها، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله حلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش أو سدادًا من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يشهد ثلاثة من ذوي الحجى أن فلان أصابته فاقة حلت المسألة، وما سوى ذلك يا قبيصة، من المسألة سحتًا يأكلها صاحبها سحتًا**».

وقوله: «**تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»، معناه أن الإنسان إذا كان في الرخاء يعرف الله ويتقرب إلى الله ينجيه الله عز وجل من الكرب، ومن الفتن بسبب ما سبق من الطاعات من ذلك العبد، قال تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾، نبي الله

ذا النوني دعا الله في تلك الشدة وكان من الصالحين، فاستجاب الله له، قال تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فأمنوا فمتعناهم إلى حين﴾.

بسبب تسبيحه، وَذِكْرِهِ لله تعالى، وتعرُّفِهِ إلى الله تعالى نَجَّاهُ الله من الغَمِّ، في الرخاء نَجَّاهُ الله من تلك الشدائد العظيمة، وحفظه في ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وقوله: ﴿أن لن نقدر عليه﴾ معناه: أن لن نضيق عليه، ثقة بالله، وحسنُ ظن بالله سبحانه وتعالى منه، عليه الصلاة والسلام.

وفرعون لما غرق في البحر قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين، قال الله تعالى له: ﴿ آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون﴾، كان في أشد الكرب، فلم يُغَثْ؛ لأنه لم تكن له أعمال صالحة يتعرف بها إلى الله في الرخاء.

وقوله: «**وإذا استعنت فاستعن بالله**»، يجب على المسلم أن يكون مستعينًا بالله في سائر حياته، ومن استغنى عن الله طرفة عين؛ فقد كفر بالله، وصار من أهل الحين، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾، فليس لأحد غنى عن الله طرفة عين، ينبغي أن يكون مستعينًا بالله في حركاته وسكانه وفي كل حياته، قال

تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، كلمة واحدة ما تستطيع أن تخرجها في طاعة الله إلا أن يعينك الله، قال تعالى: ﴿والذين اهتدوا وزادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾، وقال تعالى: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾، فكلما استعان العبد بالله أعانه، روى مسلم في «صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنَهُ قال: قال رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : «**المؤمن القوي خير أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن صاحبك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان**»، وقال تعالى ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيره إلا على الخاشعين﴾، ودلهم النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- في دعاء الاستخارة عند المعضلات التي تشكل على العبد لا يدري يقوم بهذا العمل أم هذا العمل من أعمال الخير، كان يعلمهم الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن، فيقول: «**إذا هم أحدكم بالأمر**»، والأمر هنا المقصود به المباح، ونحو ذلك بين مستحبَّيْنِ، أما الواجب والمحرم فلا يجوز الاستخارة فيه، ما يجوز تستخير أن تأكل قاتًا، أو لا تأكل، أو أتزني أو لا تزني، أو تصلي الفريضة أم لا تصليها؟ قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليقل: اللهم، إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم، إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي، أو قال عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي،**

وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي، أو قال عاجل أمري وآجله، فأصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به»، في البخاري.

فالاستعانة بالله لا يستغني عنها أحدٌ أبدًا طرفة عين، كان النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- إذا افتتح خطبته -غالب خُطَبِهِ- يفتتحها بقوله: «**إن الحمد لله نحمده، ونستعينة، ونستغفره**» كذا يقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، ويكرر هذا في خطبه كما ثبت من حديث ابن مسعود، وفي قصة ضماد الأزدي حين قال: يا محمد، إني أرقي من هذا الريح؛ فإن شئت رقيتك، ويشفي الله على يدي من شاء، فقال: «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه**»، وذكر نحو حديث ابن مسعود في خطبة الحاجة، ولها أسباب، منها: الصبر، والصلاة، قال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾، ومنها: إعانة المسلم، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»، ومنها: الدعاء، فمن دعائه: «**رب أعني ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر عليّ**»، كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنَهُ، الاستعانة بالله في ليلك ونهارك، وفي أقوالك وأفعالك، وفي سكوتك وفي حياتك كلها أمر لابُدَّ منه ولا يوفق العبد إلا أن يكون مستعينًا بالله سبحانه وتعالى.

الاستعانة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه، وتعتقد أنه سبب لعون الله لك، وأن الله هو الذي سخره لعونك جائزة؛ لقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- :

«**وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع عليها متاعه صدقة**»، ولقوله: «**من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل**»، ولقول الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾، أما الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه فشركٌ، شارك بالله تعالى فيما هو من خصائصه، قال تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

قوله: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك**»، فيه دلاله على أن الأمة لا ينفعون ولا يضرون إلا بعد إرادة الله سبحاه وتعالى، «**لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»، والعبد ينفع العبد؛ لحديث سعد بن أبي وقاص: «**ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون**» بعد أن يريد الله سبحانه وتعالى ذلك وإلا لا ينفع ولا يضر إن كان لا يريد الله ذلك.

قوله: «**ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**»، الأقلام هي عدة أقلام ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «شفاء العليل»:

القلم الأول: قلم كتابة كل شيء، حديث عبادة: «**لما خلق الله القلم قال له: أكتب قال: وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة**»، وهذا أشرف الأقلام كما يقولون.

القلم الثاني: قلم كتابة الجنين في بطن أمه كما في حديث ابن مسعود: «**وشقي أو سعيد**».

القلم الثالث: قلم البلوغ: «**رفع القلم عن ثلاثة، ومنهم: الصبي حتى يبلغ**».

القلم الرابع: قلم الميثاق، قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ الآية.

هذه أقلام عِدَّة: «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**»، كل شيء كائن أراده الله سبحانه وتعالى:

ما شئت كان وإن لم أشأ ... وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد لما قد علمت ... ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت ... وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن

إلى آخرها، ونظير ذلك قول بعضهم:

ما قدر الله كائن لا محالة والشقي الجهول من لام حاله

فالأمر كله لله، قال تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾، وقال تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾، وقال تعالى: ﴿قل لن تصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾، وقال تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلاً﴾، وقال تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو إن يردك بخير فلا راد لفضله﴾، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-:

«**اللهم، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»، كما في «الصحيحين من حديث المغيرة.

لا أحد يستطيع أن يمنع ما أعطى الله، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**إنما أنا قاسم والله معطي**»، وقال تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾، فعلى المسلم أن يكون وأثقًا بالله سبحانه وتعالى، معتمدًا عليه في كل أحواله، وما دام واثقًا بالله؛ فإن الله يدافع عنه، قال تعالى: ﴿ إن الله يدافع عن الذين أمنوا إلا الله لا يحب كل خوان كفور﴾، وقال: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار فيها خالدون﴾، وقال تعالى: ﴿إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾، ﴿يا قومي إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركائكم ثم لا يكن أمركم علكم فيه ثم أقطعوا إلي ولا تنظرون﴾، وقال: ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾.

وقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن أسخط الناس برضى الله رضي الله عنه وأرضى عنه الناس**»، وربنا يقول: ﴿ما من دابة إلا وهو آخذ بناصيتها إن ربي على

صراط مستقيم﴾، ويقول: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾، على الإنسان أن يعتني بالعمل الصالح فيما بينه وبين الله سبحانه، وأنه يخاف من نفسه أكثر من غيره، ومن معاصيه ومن ذنوبه ومن بوائقه وغشمه وشروره أكثر مما يخاف من غيره؛ فإنه إذا أصيب في بدنه فبسبب ذنوبه غالبًا، قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾، وقال: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾.

الحديث العشرون

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»، انفرد به البخاري.

ومعناه أن الذي ما يستحي يفعل القبائح، وهذا الحديث من باب قول الله عز وجل: ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقي قي النار خير أمن يأتي آمنًا يوم القيامة أعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾، فهذا أمر تهديد، ويأتي الأمر للتهديد ويأتي للتعبيد، قال تعالى: ﴿قل كونوا حجارة أوحديدًا أو خلقنا مما يكبر في صدوركم﴾، ويأتي للإباحة، قال تعالى: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾، ويأتي للوجوب وهو الأصل فيه، ويأتي للندب، وقلنا: الأصل فيه من باب قول النبي - صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**لو لا أن أشق على أمت لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»، وتقدم بيان هذا.

قوله: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»، ذمٌّ للذي هو بلا حياء، وأيضًا ذَمٌّ للذي هو قليل حياء، فكل هذين الصنفين يدخل تحت هذا الذم، وربما يقترف من القبائح بقدر قلة حيائه، والحياء من الإيمان كما في «الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فاعلاه**

قول لا إله إلا الله، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»،فالإيمان له شعب ومن شعبه الحياء، والحياء خير كله كما في «الصحيح من حديث عمران بن حصين: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»، إنما يكره الحياء إذا منع عن سؤال العلم وتعلَّمه، قالت أم سليم: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، هل على المرأة غسل إذا هي احتلمت؟ قال: «**نعم، إذا رأت الماء**»، ومجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللهُ يقول: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر، ومعنى ذلك أنه يمنعه الحياء عن طلب العلم وعن التفقه في دين الله، وعن السؤال هذا منهيٌّ عنه ومكروه؛ فإنه يحول بينه وبين واجبات، وبين مندوبات، وبين ما يحتاجه في أمر دينه، وقول بعض الناس: كُلْ ولا تستحي، ما هو على إطلاقه لابد من الحياء، فقولهم هذا خطأ، ففي «الصحيحين عن ابن عمر أنه رأى رجلًا يعظُ أخاه في الحياء، فقال: دعه فإن الحياء من الإيمان، ورسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، وموسى عليه الصلاة والسلام كان حييًا يحب الستر، وكان بنوء إسرائيل يقولون: إنه آدر؛ لأنه ما يغتسل معهم لحيائه، آدر أي: منتفخ الخصية، فيوم من الأيام اغتسل ووضع ثوبه على حجر، وَفَرَّ الحجر بثوبه، فتبع الحجر وهو يضربه، ويقول: ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى وقف عند بني إسرائيل ورأوه سليمًا، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾، والحياء من صفات الله سبحانه وتعالى، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**إن الله حيي كريم يستحي من أحدكم إذا رفع إليه يديه**

أن يردها صفرًا»، «**والحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاءة من الجفاء والجفاء في النار**»، في «الصحيح المسند» للشيخ رَحِمَهُ اللهُ، عن أبي هريرة وهو صحيح، وحديث ابن عمر أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**الحياء والإيمان قرنًا جميعًا، فإذا ذهب أحدهما ذهب الآخر**»، وكل هذه الأحاديث عظيمة، انظر إلى المرأة التي هي بدون حياء كيف تعمل البلاوي، تمشي كاشفة الوجه، وربما لبست إلى ما فوق الركبة، من أين أوتيت؟ من قِبَل قلة الحياء، وربما مشت برأسها منشورًا بين الرجال، وهكذا ترفع صوتها بين الرجال، وتلين صوتها وتخضع به، والرجل الذي ما يستحي لا يتحاشى عن ذم، وربما يكون ماجنًا لا يبالي بما حصل له من ذم أو قدح أو شيء في عرضة لقلة حيائه، وأنتم تعرفون أن العرب كثير منهم كانوا يستحيون وإن كانوا جاهليين، عامر الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنَهُ تبع رجلاً من المشركين فَفَرَّ، فقال له: أما تستحي، ألست برجل، ألست برجل؟ ويتبعه حتى وقف وضربه، شاهدنا أنه عيره بقله الحياء فقال له: أما تستحي تهرب، وأبو سفيان منعه عن الكذب الحياء، ولم يكن مؤمنًا آنذاك، قال: ما يأمركم؟ قال: يقول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصِّلَة، كلامٌ حَقٌّ، ما كان عنده إيمان يمنعه عن الكذب، لكن استحى أن يقال: أبو سفيان كذب.

والحياء مانع عن الكذب، وعن الفواحش، وعن التلصص، وعن الصخب في الأسواق، الحياء كله خير، والعفيف ما يستعف إلا عن حياء، يقول: ما أريق ماء

وجهي عند فلان، ويعف نفسه عن الزنا، عن الفجور، والمحرمات كثيرة، والفواحش كثيرة يمنعه منها الحياء، أو من بعضها، فعلى هذا ينبغي للإنسان أن يعود نفسه الخير، مكارم الأخلاق قد تكون جِبلّة في الإنسان، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- لأشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبها الله الحلم والأناة**»، وقد يكون اكتسابًا لمخالطة أصحاب الحياء، وأصحاب العفة، وأصحاب السكينة، بالله عليكم أحد من أهل السنة يستطيع أن يعمل ما يعمله أولئك من خروج إلى الشارع يظاهر، ويقول: يا شباب يا شباب، أمريكا هي الإرهاب، فضلاً عن أن تخرج امرأة تلوي بمصرّها هكذا تظاهر، وتزعم أنها تنصر القدس، وهي كاشفة رأسها وذراعيها، هذا قلة حياء، هل أحد من أهل السنة يستطيع أن يُخْرِج امرأته تتصور عند المصور، ويجسمها لو أعجبته ويطرحها في مكان التصوير يكون يتفرج عليها وقت التخزينة، يخزن ويتفرج على صورة تلك الجميلة، وأمور كثيرة تحصل بسبب قِلَّةِ الحياء.

وكم تجد في هذا الحديث من الفوائد مما يتعلق بالحياء، من الخير الذي فات المجتمع بسبب عدم حيائهم إلا من رحمه الله، الحياء خير كله، والحياء شعبة من الإيمان، هذه الشعبة فَرَّطَ فيها كثير من الناس.

الحديث الحادي والعشرون

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ؟ وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرَكَ، قَالَ: **«قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ فَاسْتَقِمْ»**.

سفيان سأل رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- أن يقول له في الإسلام قولاً لا يسأل عنه أحدًا غيره، قولاً موجزًا نافعًا كافيًا، فأمره أن يقول: آمنت بالله، بلسان الحال، وبلسان المقال، مؤمنًا وغير مستقيم، فقد يكون الشخص في سائر شئونه عنده معاصي، وهذا رد على الخوارج الذين يكفرون بالمعصية، فالاستقامة شيء زائد على مسمى الإيمان، قد يكون مؤمنًا وهو يأكل شيئًا من الحرام، أو يغتاب، أو ينمّ، وما خرج من الإيمان، إنما إيمانه ناقص؛ لأنه ما هو مستقيم، والإيمان منه كامل، ومنه وناقص، ويقال: مستقيم أفضل من أن يقال: ملتزم، فلفظ: الاستقامة هو المأمور به في القرآن والسنة، متمسك بكتاب الله وسنة رسوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ، والملازم طاعته عز وجل، أما ملتزم فيعبر بها عن الملتزم بالحق، والملتزم بالباطل.

فالذين استقاموا لله عز وجل بعد إسلامهم بشرهم الله عز وجل بهذه البشرى:

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة إن لا تخافوا ولا

تحزنوا﴾، لا يخافون مما يقدمون عليه، ولا يحزنون على ما فاتهم، وأنهم مبشرون بالجنة التي قد وُعدوا بها في كتاب الله وسنة رسوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- ، في حق المستقيمين وأن الملائكة أولياؤهم في الحياة الدنيا؛ لأنهم أهل استقامة، والملائكة يحبون أهل الاستقامة؛ لأنهم مؤمنون، والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، ويستغفرون لهم، قال تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا وأتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ الآية، ويحفُّونهم إذا جلسوا مجلسًا، يحفونهم بأجنحتهم، وإذا خرج أحد المستقيمين إلى طاعة الله تبعه ملك برايته كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنَهُ أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**ما من خارج يخرج من بيته إلا وبيده رايتان، راية بيد ملك، وراية بيد شيطان؛ فإن خرج لما يحب الله عز وجل اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته**»، أخرجه أحمد، وهو حديث صحيح، فالذي يخرج في معصية الله ليس بمستقيم، يخرج في معصية الله فيتبعه الشيطان برايته، ويتولاه الشيطان برايته فيصير قرينه، والذي يخرج في طاعة الله يخرج على استقامة؛ فيتولاه الملك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ*نَحْنُ

أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣٠-٣١]، ﴿نحن أولياؤكم﴾، أي: قرناؤكم، نثبتكم، ونحفظكم بأمر الله، وفي الآخرة نؤانسكم من وحشة القبور، وعند النفخ في الصور، ويوم البعث والنشور، حتى تصلوا إلى جنات النعيم، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم، ولكم فيها ما تدعون، ومن تولي الملائكة المستقيمين في الحياة الدنيا ما ثبت في حديث البراء من قبض روحه، أنهم يسلونها كما تسل الشعرة من العجين، وأما الكافر فيقول الله عز وجل: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾، وقال: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾، وقال: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾، وهكذا قول الله عز وجل: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾، ففي الآيتين يبشر أهل الاستقامة بالجنة وأنهم لا يخافون ولا يحزنون وقد أمر الله نبيه بالاستقامة، فقال: ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه ما تعملون بصير﴾، ﴿أنت والذي تابوا معك استقيموا على أمر الله كما أمركم الله﴾، ﴿ولا تركنوا إلى الذين

ظلموا فتمسكم النار﴾، وهذا يدل أن الركون إلى الظالمين يتنافى مع الاستقامة ولا تحصل استقامة مع الركون إلى الظالمين من اليهود والنصارى، والمشركين، والمبتدعة الركون إليهم يتنافى مع الاستقامة.

وقال سبحانه: ﴿فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين﴾، من الاستقامة ذكر الله والاستغفار والدعاء والإقبال على الله سبحانه أن يثبتك على ذلك، قال تعالى: ﴿فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين﴾.

وعلى المسلم أن يسأل الله أن يهديه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، وهم: ﴿النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقًا﴾.

وشيخ الإسلام ابن تيمية ألف كتابًا سماه «الاستقامة»؛ لأن الاستقامة تكون بالقول، والفعل، والمعتقد، والأخلاق، والمعاملات، واللباس، فإذا استقام الإنسان استقام بصره، وسمعه، ولسانه: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا والأعضاء تكفر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك؛ فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**»، ثبت هذا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا عند الترمذي، فضد الاستقامة الاعوجاج، والاعوجاج مبغوض، وبالله التوفيق.

الحديث الثاني والعشرون

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ -وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ- قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَةَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ**».

لم يذكر في هذا الحديث بعض أركان الإسلام، ويستفاد ركنية ذلك من أدلة أخرى، وكان النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يذكر لكل إنسان ما يقتضي حاله، فإذا سأله عن شيء إجابة عليه.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: حرمت الحرام، أي: اعتقدت حرمته، أحللت الحلال اعتقدت حله.

ففي هذا الحديث أن من حافظ على الفرائض فهو من الناجحين، قال تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾، وقال: ﴿جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا أو لباسهم فيها حرير﴾، والظالم لنفسه الذي يقترف اللمم والمعاصي وهو من أهل التوحيد، والمقتصد الذي هو من أهل التوحيد ويقتصر على الواجبات ولا يستكثر من النوافل، والسابق بالخيرات

هو المستكثر من النوافل فكلهم ممن اصطفاهم الله، وكلهم ممن أورثهم الله الكتاب، وكلهم من أهل الجنة بنص هذه الآية الصلوات المكتوبات هي الصلوات الخمس سبعة عشر ركعة في اليوم والليلة، هذا إن كان مقيمًا، أما إذا كان مسافرًا فيصلي أحد عشر ركعة.

وفيه فضيلة المحافظ على الواجبات كما قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- فيما يرويه عن ربه: «**وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه**»، الحديث.

قوله: (وصمت رمضان)، هذا الحديث يدل على بطلان حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنَهُ: «**لا تقولوا رمضان؛ فإن رمضان من أسماء الله**»، فهذا الحديث في سنده أبو معشر السندي ضعيف، وهو أيضًا منكرٌ يعارض الأحاديث الصحيحة.

قوله: (وأحللت الحلال وحرمت الحرام)، مفهوم هذا أن من لم يحل الحلال ويحرم الحرام فليس من الناجحين، وأهل العلم يقولون: من استحل شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة كفرَ، وهذه قاعدة، أو حرم شيئًا أحله الله مثل: الخبز، واللحم الطيب هذا اعتداء على شرع الله عز وجل، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾، وقال: ﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾، الواجب على المسلم أن لا يتشدد في دين الله فيحرم ما أحل الله، وأن لا يتساهل فيحل ما حرم الله؛ فإن الناس بين إفراط وتفريط، ووسط وهم أهل الحق، أهل السنة يلازمون الأدلة، والإفراط كما ذكرنا في الخوارج ومن كان من بابهم ممن يتشددون، يحرمون

ما أحل الله تعديًا، وهم بهذا متشبهون باليهود، فاليهود أيضًا حرموا ما أحل الله، قال تعالى: ﴿فبظلم من الذين هادوا وحرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرًا وأخذهم الربا وقد نهو عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾، فاليهود يحرمون ما أحل الله باعتدائهم وبظلمهم حرم الله عليهم الشحوم، قال تعالى: ﴿إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾.

الحديث الثالث والعشرون

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ حَدَّثَنَا أَبَانُ حَدَّثَنَا يَحْيَى أَنَّ زَيْدًا حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَلَّامٍ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهَّ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**».

هذا الحديث عظيم جدًّا، وقد ذكره الإمام مسلم في أول كتاب الطهارة من صحيحه، وهو ثابت كما ترى عندي الإمام النسائي وغيره، وفيه فضل الطهارة.

وكثير من أهل العلم يفرقون بين الطَّهور والطُّهور، وأنها بضم الطاء المقصود بها: الماء، وبفتحها المقصود بها: العبادة أو الفعل، والذي يظهر أنه يطلق على هذا وهذا، وهو شطر الإيمان، قال أهل العلم: المقصود بالطهور هنا الوضوء، «**شطر الإيمان**»، أي: شطر الصلاة، قال تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾، أي: ليضيع صلاتكم، فسمى الله الصلاة أيمانًا، والطهور شطر الإيمان؛ لأن الصلاة لا تصح إلا به، سواء الطهور من الحدث الأكبر كالجنابة، أو الأصغر كالبول والغائط، ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-

قال: «**لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**».

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول**».

ويقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن خرجت خطاياه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت خطاياه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خطاياه مع الماء أو مع آخر قطر الماء**»، فهذا يدل على فضل الطهور، وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾، وقال سبحانه: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر﴾، فلابد من تطهير الظاهر والباطن.

الطهارة تنقسم إلى قسمين: طهارة ظاهر وطهارة باطن، فطهارة الظاهر بالنظافة، وطهارة الباطن بالتوبة والاستغفار من الذنوب، والإخلاص لله عز وجل، كما قالت تلك المرأة: يا رسول الله، طهرني -وقد زنت- فقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- لوليها: «**أحسن إليها حتى تضع**»، الشاهد قولها: طهرني، فالذنوب تعتبر تلويثًا.

الطهور شطر الإيمان، والشطر النصف، فلابد من الطهارة حتى تصح الصلاة سواء كان بوضوء، أو ما يقوم مقامه كالتيمم.

قوله: «**والحمد لله تملأ الميزان**»، وهذا من أدلة فضل الذكر لله عز وجل سواء

بالتحميد، أو بالتكبير، أو قراءة القرآن، أو بالتهليل، أو بالتسبيح، «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**»، عن أنس في مسلم مرفوعًا.

فالله حمد نفسه في أول كتابه، قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

وأمر بذلك، فقال: ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها﴾.

فهذا فيه فضل ذكر الله، ومن حديث أبي سلمى راعي رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- أن رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**بخٍ، بخٍ، ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمرء فيحتسبه**».

فينبغي للمسلم أن يكثر من ذكر الله عز وجل كما أمر الله، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾، وقال سبحانه: ﴿والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾، وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خيرًا لكم إن كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله لعلكم تفلحون﴾، فهنيئًا لمن وفقه الله لذكره، ثبت من حديث عبدالله بن بسر أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا**»، ومن حديثة أيضًا قال رجل: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بعمل أتشبث به، أدخل به الجنة؟ قال: «**لا**

يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»، ومن حديث أبي الدرداء أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**ألا أدلكم على خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**ذكر الله**».

وقال تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾.

قوله: «وسبحان الله، والحمد لله تملأ ما بين السموات والأرض»، مع أنك بحاجة إلى ما يثقل ميزانك، قال تعالى: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾.

وقال تعالى: ﴿فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية﴾، وذلك الميزان توضع فيه مثاقيل الذر، قال تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٍ شيئًا وإن كان مثقال حبه من خردل أتنبابها وكفى بنا حاسبين﴾، هنيئًا لمن ثقلت موازينه بطاعة الله سبحانه، ومن أعظم ما يثقل في الميزان وأعظم ما يتحصن به الإنسان من عدوه هو ذكر الله عز وجل لما ثبت من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**يؤتي يوم القيامة برجل عنده سيئات مد البصر، فتوضع في كفه، ثم**

يقال له: أظلمك كتبتي؟ هل لك من حسنة اليوم؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك حسنة، وإنك لا تظلم اليوم، فيؤتي ببطاقة فيها: لا إله إلا الله، فتوضع في كفه الحسنات فتطيش بتلك السجلات ولا يثقل مع اسم الله شيء».

وثبت في «الصحيحين، وهو آخر ما ختم به البخاري صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنَهُ قال: قال رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»، والخلق الحسن، فقد ثبت من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنَهُ أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من خلق حسن**»، هذا والميزان بكف الرحمن، وله كفتان كما ثبت في حديث عبدالله بن عمرو الذي سبق ذكره آنفًا، وفيه: «**توزن مثاقيل الذرات، ويؤتى بالعامل فيوزن، ويؤتى بالعمل فيوزن، ويؤتى بصحيفة العمل فتوزن**»، والدليل على وزن العامل حديث: «**يؤتى بالرجل السمين لا يزن عند الله بعوضة**»، وحديث ساق ابن مسعود: «**إنها لتزن في الميزان أثقل من جبل أحد**»، ولا مانع من وزن ذلك جميعًا.

وقد قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**والحمد لله تملأ الميزان**»، «**والميزان بكف الرحمن يخفض القسط ويرفعه**» كما في «الصحيح، فينبغي للمسلم أن يكون حريصًا على ما يثقل به ميزانه من العمل الصالح.

قوله: «**والصلاة نور**»، كيف لا، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى:

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾، والصلاة نور مع الحفاظ عليها في جماعة، قال تعالى: ﴿واركعوا مع الراكعين﴾، ومن لم يتنور بطاعة الله فليس له نور، قال تعالى: ﴿ومن لم يجعل الله له نورًا فماله من نور﴾، من لم يتنور بطاعة الله ولم ينور الله سبحانه وتعالى بصيرته بالعلم والتعلم، والتفقه في دين الله من: صلاة، وصيام، وزكاة، وحج؛ فلا نور له، قال تعالى: ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾، ويقول سبحانه في كتابه: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾، إلى قوله: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورًا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهرة من قبله العذاب﴾، وقال تعالى: ﴿ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور﴾.

من لم يكن له نور بطاعة الله عز وجل فلا يستنير في دنياه، ولا يستنير في وجهه، ولا يستنير على الصراط، ولا يستنير في قبره.

قوله: «**والصدقة برهان**»، أي: إنها برهان على إيمان صاحب تلك الصدقة، وإنه إن تصدق بها إيمانًا إن كانت فريضة فلو جوبها وإن كانت نافلة فلا ستحبابها واحتساباً للأجر عند الله، هذا برهان على إيمانه وأنه ممن يحب الخير، وفي حديث الحارث الأشعري أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**إن الله أوحى**

إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، ويأمر قومه أن يعملوا بهن: أولاهن أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا؛ فإن مثل من يشرك بالله شيئًا كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق، ثم قال: هذا مالي وهذا داري، فاعمل في مالي، وأد إلى داري، فذهب يعمل في ماله، ويؤدي إلى غير داره، فأيكم يحب أن يكون عبده كذلك؟ قال: وآمركم بالصلاة، فإذا قمتم في صلاتكم فلا تلتفتوا؛ فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، وآمركم بالصيام؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل له سكة فيها مسك، كل الناس يجد ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وآمركم بالصدقة؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل طرده العدو فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير، فافتدى نفسه بالصدقة، وآمركم بذكر الله؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سِراعًا فتحصن منه بحصن حصين، ولا يتحصن أحدكم من الشيطان إلا بذكر الله»، الحديث، وفيه فضل الصدقة وأنها برهان، قال تعالى: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾، سواء في الصدقة أو في غيرها، وهكذا يعيش المرء يوم القيامة تحت ظل صدقته كما قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- .

قوله: «**والصبر ضياء**»، أي أنه لا تحصل عبادة، ولا تحصل صدقة، ولا تحصل كثير من الخيرات إلا بالصبر، الصبر ضياء يستضيء الإنسان به في دنياه، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾، فلا يتلقى الخير سواء من الأخلاق أو من غير ذلك إلا بالصبر، قال تعالى: ﴿يا أيه

الذين آمنوا اصبروا وصابرو ورابطوا واتقو الله لعلكم تفلحون﴾، فالصبر مع كونه نور، أيضًا هو فلاح، وهو أيضًا قوة، وهل رأيت كثيرًا من المتسولين أو من السرَّاق، أو من المتلصصين، أو من المتهالكين على الدنيا إلا بعدم صبرهم على الحاجة، فهنيئًا لمن وفقه الله للصبر، وقد قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- -كما في الصحيحين عن أبي سعيد حين سأله أناس فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده- فقال لهم: «**ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خير وأوسع من الصبر**»، هذا أعظم عطاءٍ يُعطاه العبد، والصبر المحمود ثلاثة أقسام: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله، ولا يكاد أحد يجد لذة الحياة إلا بالصبر، وقد قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنَهُ: وجدنا خير عيشنا بالصبر، ولا يكاد أحد يثبت على طاعة الله إلا بالصبر على ذلك، وحين قال سحرة فرعون: ﴿إنا إلى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين﴾، بصبرهم ذلك، صبروا على طاعة الله، وحين قال جالوت وقومه لما علموا من أن الشجاعة هي مصابرة العدو: ﴿ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين﴾.

وكان جواب موسى لقومه: ﴿استعينوا بالله واصبروا إن الأرض الله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾، والصبر قوة كما في حديث أبي هريرة عند البخاري: «**ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»، والصبر نصرٌ، والصبر أيضًا حرزٌ من الشيطان، يقول سبحانه: ﴿إن تمسسكم حسنه

تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا﴾، ويقول سبحانه: ﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويؤتكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلف من الملائكة مسومين﴾.

فبالصبر نُصِرَ الأنبياء، قال الله عز وجل: ﴿فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾، ويقول سبحانه مبينًا أن الشجاعة والثبات تكون بالصبر: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبون ألفًا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾، والذين يتزحلقون عن المنهج السلفي، أو يملّون عن العلم الشرعي، أو يقعون في كثير من المعاصي بضعف الصبر لديهم، وضعف الهمة لديهم، والله يقول: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾، والله قد أمرك أن تصبر على طاعته، قال تعالى لنبيه: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر﴾ إلى قوله: ﴿ولربك فاصبر﴾، فأنت مأمور أن تصبر لربك ولعبادة ربك، قال تعالى: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما فاعبدوه وأصطبر لعبادته هل تعلم له سميا﴾.

اصطبر لعابدته، واثبت على طاعته، وإن آذاك أهل الفتن، وأهل التحزب، وأهل الخرافات، فأنت مأجور، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- «**يبتلى المرء على قدر دينه؛ فإن كان في دينه صلبًا شُدد عليه، وإن كان في دينه رِقَّة خُفف عنه**»، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله**

له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»، فهذا حال المؤمن، ولما مَرَّ النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- على تلك المرأة التي عند قبر الصبي الذي قد مات ودفنوه، قال: «**اتق الله واصبري**»، أمرها بتقوى الله؛ فإن الصبر لا يحصل إلا بتقوى الله عز وجل، أنت تتسلى في هذه الدنيا بالصبر، تسلّى نفسك لما حصل للمتقدمين من الأنبياء والصالحين، بل والله، إن أهل الباطل يصبرون على باطلهم، قال تعالى عنهم: ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد﴾، فأهل الحق أحق أن يصبروا على طاعة الله، وأن يصبروا على أقدار الله، وعن معاصي الله سبحانه وتعالى، والله المستعان.

ففي الصحيحين عن أسامة بن زيد قال: أرسلتْ بِنْتُ النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- إنَّ ابني قد احتُضِر، فأرسل يقرأ السلام، ويقول: «**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب**».

قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- مبينًا فائدة الصبر عند الغضب كما في حديث سليمان بن صرد، أنه رأى رجلًا قد غضب وانتفخت أوداجه، قال: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد**»، فبعدم الصبر ربما يتأثر الإنسان في جسمه، وربما يتأثر في قلبه، وربما يتأثر في ذاكرته، وربما يتأثر في معلوماته، أما إذا صبر فالنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قد سأله جارية بن قدامة، قال: أوصني؟ قال: «**لا تغضب**»، قال: أوصني؟ قال: «**لا تغضب**»، قال: أوصني؟ قال: «**لا تغضب**»، وكررها

مرارًا، وهو يوصيه بالصبر، وليس معناه أن الإنسان لا يغضب مطلقًا، فالمقصود من ذلك بيان فضيلة الصبر على طاعة الله، وعلى أقدار الله، وعن معصية الله، كما ذكر ابن القيم في كتابه «عِدَةُ الصَّابرين»، وربنا عز وجل يقول: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾، ويقول: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا إذى كثيرًا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾، ويقول سبحانه: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾، وأنت ترى أن الله أمره بتصبير نفسه، فالنفس تريد أن تذهب ها هنا وها هنا، ولكن الذي يصبرها على طاعة الله هو الذي يفلح، والله، إنَّ الناس في خسارة إلا من وفقه الله للصبر على طاعة الله، وللتواصي بذلك، كما قال ربنا سبحانه: ﴿والعصر إن الإنسان لفي سخر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

قوله: «**والقرآن حجة لك أو عليك**»، حجة على من لم يعمل به، وحجة لمن عمل به، وفي حديث النواس بن سمعان: «**يؤتي بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما**»، فالذي ما يعمل بالعلم سواءً القرآن أو غيره من علوم دين الله، هو حجة عليه كما في الحديث، وفي حديث كعب بن عجرة: «**يا كعب بن عجرة، الناس غاديان: فبائع**

نفسه فمعتقها، ومبتاع نفسه فموبقها»، والذي يكون علمه حجة عليه، أو يكون عنده علم لا ينفعه، إما أن يكتسب علمًا لا ينفع، وإما أن يكتسب علمًا نافعًا، لكن لا يعمل به فهو حجه عليه في الحالتين، ففي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فتندلق أقتاب بطنه، فيدرو بها كما يدور الحمار في الرحا، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، مالك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»، وهذا مقت كبير أن الإنسان ما ينتفع بعلمه، «**مثل الذي يأمر بالمعروف ولا يأتيه كمثل الشمعة تضيء للناس وتحرق نفسها**»، حسنه بعض أهل العلم عن أبي هريرة، هذا الذي ما يعمل بعلمه صار حجه عليه، والله يقول: ﴿يا أيها الذين أمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلوا﴾، هذا مقت كبير، وقال تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾، يعني ما عندكم عقول، وقال عن نبيه شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾.

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فالمعلم ينبغي أن يكون من أول من يعمل بالعلم، وأنبياء الله ترى أحدهم يقول: ﴿وأنا أول المسلمين﴾، يعني أول العاملين بما أدعوكم إليه، فالذي يعلم القرآن ولا يعمل به تورط وحصل له ما حصل لبني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دمائكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم

وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من دياركم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أساري تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم﴾، فأهلكهم الله بعدم العمل بالعلم، وقال: ﴿وأتل عليهم نبأ الذي أتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾، يلهث وراء الدنيا، وقال: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقًا منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾، وقال سبحانه: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفرو به فلعنة الله على الكافرين﴾، وفي الحديث: «**لا تزولا قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، ومنها: عن علمه ماذا عمل به**»... الحديث، وهو حسن بشواهده.

وفي صحيح مسلم : من الذين يعذبون يوم القيامة: «**رجل آتاه الله علمًا قرأ القرآن ثم يعرفه نعمته، فيقال: ماذا عملت فيها؟ فيقول: قرأت فيك القرآن، وعَلَّمت فيك القرآن، فيقول: كذبت إنما تعلمت ليقال عالم، وقرأت ليقال قارئ**»، حاصل هذا: أن عدم تعلم العلم ضلال، وعدم العمل بالعلم غضب، قال تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾، فالمغضوب عليهم هم اليهود علموا ولم يعملوا، والضالون هم النصارى أعرضوا عن العلم، وعبدوا الله على جهل فضلوا، وفي الحديث: «**كل الناس يغدوا، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**»، هذا صحيح، أن من الناس من

يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله وطاعة الله، ويتخذ الدنيا مطية للآخرة، ومن الناس من يعرض ويتخذ الدنيا سكنًا ووطنًا، فيركن إليها، ويخلد فيها، ويظلم فيها، ويفسد فيها، ويعمل فيها الجرائم؛ فهذا موبق لنفسه، والله المستعان.

الحديث الرابع والعشرون

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنا عَبْدُ اللهَّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَهْرَامَ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ الدِّمَشْقِيَّ حَدَّثَنا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: **«يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللهََّ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»**.

انفرد به مسلم، ولم يصح إلا من حديث أبي ذر، وقد جاء من طرق عن بعض الصحابة، ولم يصح إلا من هذه الطريق.

وكان أبو إدريس الخولاني -رحمة الله عليه- إذا حدَّث بهذا الحديث جثا على ركبتيه؛ لما في هذا الحديث من قول الله عز وجل: يا عبادي، يا عبادي، يا عبادي، في عشرة مواضع في هذا الحديث.

قوله: «**إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**»، والظلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ظلم فيما بين العبد وربه، كالشرك بالله، والرياء، والسمعة، وظلم فيما بين العبد والعباد الآخرين، وظلم العبد لنفسه، وكله في الحقيقة هو ظلم العبد لنفسه، والظلم ظلمات يوم القيامة، كما في مسلم عن جابر، أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم- قال: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**».

وربنا سبحانه يقول: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾، ويقول: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور﴾، وهذا يعني به الظلم الأكبر الذي هو الشرك بالله، قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾، وقال: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾، فأظلم الظلم، وأكبر الظلم، وأشد الظلم هو الشرك بالله عز وجل، وأفضل العدل هو توحيد الله سبحانه وتعالى، ولا شك أن المظلوم يقتص من الظالم يوم القيامة، حتى تقتص الشاة الجلحاء من الشاة

القرناء، كما في حديث أبي هريرة: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء يوم القيامة**».

وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم**».

فالظلم بأقسامه الثلاثة محرم، وأكبره وأعظمه: هو الشرك بالله سبحانه، والموفق هو الذي لا يحب أن يُظلم ولا يَظلم، وقد ثبت حديث عن أم سلمه رضي الله عنها، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- كان يقول: «**اللهم، إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَل، أو أَزِلَّ أو أُزَل، أَظْلِم أو أُظْلم، أو أَجهل أو يُجهل علي**»، وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليومٍ تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾، ويقول: ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخّرنا إلا أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال وقد مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾، والقرى والأمم الماضية أهلكهم الله بالظلم، قال الله تعالى: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدًا﴾، وقال تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليمٌ شديد﴾.

وقد يملي الله سبحانه وتعالى للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، كما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**إن الله ليملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته**»، وقرأ الآية: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾، ولما أرسل النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- معاذًا إلى اليمن قال لَه: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؛ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؛ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ؛ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»، وفي خارج الصحيح بسند حسن: «**دعوة المظلوم ترفع فوق الغمام**» وينسب إلى حسان بن ثابت ا أنه قال:

إلى الديان يوم الدين نمضي وعند الله تجمع الخصومُ
ستذكر في الحساب إذا التقينا غدًا عند المليك من الملومُ

فليحذر الإنسان على نفسه من أن يَظلم، وليدع الله أنه لا يُظلم، قد لا يصبر إن ظُلم، فيا أخي، لو تُظلم في تخريب بيتك، أو في قتل أحد أبنائك، أو غير ذلك -نسأل الله العافية- أهون عليك من أن تُظْلَم في عقيدتك ومنهجك، وأن يأتي بعض الغشاشين يظلمك في العقيدة والمنهج، ويضيعك وتصير مظلومًا، وتصير ضالًا

طيلة عمرك مِنْ ظُلْمِ هذا الغشاش.

والله، لأن تُظلم في الدنيا حتى تصير فقيرًا نفيرًا أهون عليك من أن تُظلم في منهجك، فتُضيِّع دعوةً، تُضَيِّع عِلمًا، تُضَيِّعُ سُنَّةً.

والظلمة قد كثروا، وأكثرهم الذين يظلمون الناس في عقيدتهم، ومنهجهم، يضيعونهم ويبعدونهم عن الاستقامة، وعن طلب العلم، وعن التفقه في الدين الله.

قوله: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته**»، فيه أن العبد يفتقر إلى هداية الله سبحانه وتعالى في سائر أحواله في الليل والنهار، وفي حركاته، وسكناته، وأقواله، وأفعاله، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**اللهم، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»، وقال تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾، وكان النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يفتتح خطبته بهذه الكلمات: «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له**»، والهداية أمرٌ يجب طلبه من الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم﴾، فأنت تسأل الله عز وجل الهداية في كل ركعة من صلاتك، وأنت مأمور أن تطلبها، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»، متفق عليه عن عبادة، وقال تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى﴾، وفي حديث ابن مسعود عند مسلم: «**اللهم، أني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»، وفي حديث ابن

عباس -وهو صحيح- أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كان يقول: «**واهدني وَيَسِّرْ هُداي إليَّ**»، فقد كان يطلب الهداية في أكثر أوقاته وهو الذي أرسله الله بالهدي ودين الحق، قد يقول قائل: أنا مهتدي، نقول: لو لم يهدك الله للصلاة لما صليت، ولو لم يهدك للصيام ما صمت، ولو لم يهدك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما قمت به، ولو لم يهدك لطلب العلم ما عرفت الحق، ولو لم يهدك الله للدعاء، إلى أن يحسن خلقك ما حسن خلقك، ولو لم يهدك لصلة الأرحام ما وصلتهم، ولو لم يهدك للسنة ما عرفتها، ولو لم يهدك لبر الوالدين ما أطعتمهما، ولو لم يهدك لذكره ما ذكرته، ولو لم يهدك لشكره ما شكرته، ولو لم يهدك لإكرام ضيفك ما أكرمته ولو لم يهدك الله عز وجل ما تُهدى حتى لحظة واحدة... إلخ، فأنت بحاجة في كل لحظة أن تسأل ربك الهداية.

قوله: «**كلكم ضال إلا من هديته**»، لا يتعارض مع حديث: «**إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين**»، وحديث: «**كل مولود يولد على الفطرة**»، فهذا الحديث على الأصل، أنه كل مولود يولد على الفطرة، وهي الإسلام، ومثله حديث: «**إن خلقت عبادي حنفاء**»، لكن هذه الفطرة قد تهجم عليها المفاسد من حيث التربية السيئة، ومن جلساء السوء، ومن وساوس الشيطان وتلبيساته، فيحصل الضلال، ولا يهدي الله سبحانه إلا من علم منه الرغبة في الهداية، وعلم أنه مهتدي، قال تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾، وإلا فمن الذي يستطيع أن يهدي نفسه؟ ومن الذي يستطيع أن يهدي

ولده؟ ومن الذي يستطيع أن يهدي أقرب قريب له؟ رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ما استطاع أن يهدي عمه، ونوح عليه السلام ما استطاع أن يهدي ولده، وما استطاع أن يهدي امرأته، قال تعالى: ﴿وضرب الله للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت بعدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئًا﴾، قال تعالى: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾.

وقوله: «**كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم**»، فيه الاعتماد على الله تعالى، في طلب الرزق والسعي في ذلك، بأسبابه الشرعية، قال عليه الصلاة والسلام: «**إنها لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**»، وقال سبحانه: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾، وقال: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾، فأنت جائع إلا أن يطعمك الله، وأنت فقير إلى الله في سائر أحوالك، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾، فالذين يفتخرون بأموالهم على الفقراء ما هم موفقون، فهذا أغناه الله وهذا أفقره الله، وهذا عافاه الله، وهذا ابتلاه الله، قال تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله فقد أتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وأتيناهم ملكًا عظيمًا﴾، وقال عز وجل: ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نفيرًا﴾، وقال: ﴿قل إن الأمر كله لله﴾، وقال: ﴿والله

فضل بعضكم من بعض في الرزق فما الذي فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء فبنعمه الله يجحدون﴾.

وقوله: «**كلكم عارٍ إلا من كسوته**»، يخلق الإنسان عاريًا فيكسيه الله سبحانه وتعالى، ولا يزال يعده ويمدّه، وله الفضل والمنَّة.

قوله: «**إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم**»، هذا الحديث أصح وأحسن من حديث: «**كل ابن آدم خَطَّاء وخير الخطائين التوابون**»؛ فذاك من طريق علي بن مسعده، وعلى بن مسعده قال الإمام البخاري: فيه نظر، فالحديث ضعيف، وهذا الحديث يُغني عنه: «**إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم**»، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم**»، وقال: «**إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله فيذهب ما بي**»، وقال الله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا﴾، فحصول الذنوب على الإنسان أمر لابد منه، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**اللهم اغفر لي جدي، وهزلي، وخطئي، وعمدي، وكل ذلك عندي**»، وفي حديث علي نحو هذا، وجاء عن أبي موسى نحوه، والأنبياء معصومون عن الخطأ الأكبر الذي هو الكبيرة، والصحيح أنهم معصومون عن الخطايا الذميمة، مثل سرقة البيضة ونحوها، وأما الصغائر غير الذميمة التي لا تخل بالوحي ولا بتبليغه، فتقع على الأنبياء، وكلمة: «**يا عبادي**» تشمل سائر عباده،

فمنهم من يكون خطؤه كبيرًا يُعصم عنه الأنبياء، ومنهم من يكون خطؤه صغيرًا، والخطايا تذهبها الطاعات، قال تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾، كالاستغفار، قال تعالى: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل عليكم السماء مدرارا﴾، الآيات.

وقال تعالى عن نبيه هود أنه قال: ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء مدرارا ويزدكم قوه إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾، وقال: «**من تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**»، الحديث عن أنس بن مالك عن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- فيما يرويه عن ربه عز وجل، أخرجه البخاري، وقال تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾، ومنها الحج؛ لحديث عبدالله بن عمرو، وفيه أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال لعمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنَهُ: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن الحج يهدم ما قبله**».

وأعظم مكفرٍ للذنوب هو توحيد الله عز وجل؛ لحديث عبدالله بن عمرو بن العاص، حديث البطاقة، وسبق بيانه، ولقول الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، ولحديث جابر في مسلم أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**».

والوضوء من المكفرات؛ لحديث: «**إذا توظأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل**

وجهة خرجت كل خطيئة مع الماء أو مع آخر الماء»... إلى آخره، الحديث في الصحيح عن أبي هريرة.

ومن المكفرات الصلاة، كما في قصة ذلك الذي أصاب من امرأةٍ قُبلةً، قال: «**أصليت معنا العصر؟**» قال: نعم، قال: «**اذهب فقد كفر الله عنك**»... الحديث، وأنزل الله عز وجل: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر**»، وعنه مرفوعًا عند مسلم: «**ألا أدلكم على يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»، ومن المكفرات الخطى إلى المساجد؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «**من توضأ في بيته ثم خرج المسجد لا يريد إلا الصلاة لا ينهزه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد**»، الحديث.

ومن المكفرات: الصيام كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ، «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»، وهذه الأعمال تكفر الخطايا وهي صالحة لتكفير الكبائر والصغائر؛ فإن لم تجد إلا الكبائر خَفَّفَتْ منها كما قال النووي رَحِمَهُ اللهُ، وإلا فالكبائر الأصل أنها تحتاج إلى توبة؛ لقول الله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تهون عنه

نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريمًا﴾، وقال تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة﴾، والذنوب تنقسم إلى كبائر وإلى صغائر، وإلى كبائر أكبر؛ لحديث: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»، وكان متكئًا فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور**»، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت؛ لما رأوا عنده من الغضب -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- في التحذير من هذه الأمور.

ومن المكفرات: الهجرة، قال تعالى: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾، وكذلك الجهاد في سبيل الله: «**يغفر للشهيد عند أول قطرة من دمه**»، كما جاء ذلك، من مات مهاجرًا في سبيل الله، أو مجاهدًا في سبيل الله، أو مرابطًا في سبيل الله، أن ذلك من مكفرات الذنوب، كما جاء في حديث خالد بن عرفطة: «**من قتله بطنه لم يعذب في قبره**»، فمكفرات الذنوب بحمد الله كثيرة وقد وَسَّعَهَا الله على العباد، وبعض الناس تضيق عليه هذه الواسعات وما زال لاجًّا في باطله وكأنه خُلق للدنيا، والله المستعان.

وقوله: « **يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا**»، نعم، يقول الله تعالى: ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾، فالعباد فقراء إلى الله، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله وهو الغني

الحميد﴾، وقال: ﴿فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قومًا غيركم ولا تضرونه شيئًا﴾، وقال: ﴿وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾، وقال: ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾.

وهذا يدل على أن الله خلق العباد لحكمة لا لأنه ينتفع بطاعتهم ولا يُضرر بمعصيتهم خلقهم سبحانه للابتلاء والاختبار، أيهم أحسن عملًا، وأيهم غير ذلك، قال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾، وقال: ﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾، وقال: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾، وقال: ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يأتكم من مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾.

الله خلق العباد لعبادته، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾، وما يحصل منهم من خير عائد إليهم وما يحصل منهم من شر عائد عليهم، قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾، وقال: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾.

قوله: «**إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**»، هذا رد على القدرية

الجبرية، وعلى النفاة الذين يقولون: إن الله قدر الخير ولم يقدر الشر، فكلهم ضُلَّال، الذين يقولون: الإنسان مجبور على الخير أو الشر، فالحديث فيه: «**فلا يلومن إلا نفسه**»، والله يقول: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا﴾، ويقول: ﴿وهديناه النجدين﴾، ويقول: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهمل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾، فالله قد أبان لعباده طرق الخير وطرق الشر، والذي يحسن لنفسه، والذي يسيء فعليها، قال تعالى: ﴿وإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾، فلم يجبر العبد على معصية ولم يظلمه في طاعة.

وقوله: «**أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها**»، يحصيها بما لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، قال تعالى: ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾، وقال: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم شيئًا وإن كان مثقال حبه من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾، فيحصى على العبد حسناته وسيئاته وقد يتجاوز عن سيئاته إن كان العبد من أهل التوحيد؛ لحديث: «**يدني المؤمن كنفه فيضع عليه كنفه، ثم يقول: ألم تعمل كذا؟ ألم تعمل كذا؟ فيقول: بلى، فيقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**»، فالله سبحانه وتعالى عفوٌّ غفور.

وقوله: «**ثم أوفيكم إياها**»، في حين هم في أشد الحاجة إلى ذلك العمل، يحتاج

حسنة واحدة يثقل بها الميزان، إلى التسبيحة، والتحميدة، والكلمة الطيبة، يحصيها ثم يوفيك إياها في يوم ﴿لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾، ﴿وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين﴾.اهـ

الحديث الخامس والعشرون

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ -ابْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَعِيُّ- حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا وَاصِلٌ مَوْلَى أَبِي عُيَيْنَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عُقَيْلٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ: «**أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا**».

قوله: (إن ناسًا) مُبَيَّنٌ في حديث أبي هريرة أنهم فقراء المهاجرين الذين يسابقون أهل الأموال في الخيرات ويغبطونهم على ذلك الخير غبطةً لا حسدًا إنما يريدون أن يصلون إلى ما وصلوا إليه، والحسد: تمنى زوال النعمة عن الغير، والغبطة: تمني تلك النعمة لك غير أن لا تتمنى زوالها عن غيرك، وهذا الذي حصل من فقراء المهاجرين رضي الله عنهم؛ تمنوا حصول ذلك الأجر والخيرات

من باب قول الله عز وجل: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾، ومن باب قوله سبحانه: ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾، ومن باب قول الله عز وجل: ﴿وفي ذلك فليتافس المتنافسون﴾، وقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم**»، فهذا من المبادرة ومن التنافس في الخير الذي كان في أصحاب رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-، وقد حصل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما تنافس في الخير، وذلك لما حث النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- على الصدقة، قال عمر: اليوم أسبق أبا بكر، فذهب وتصدق بشطر ماله، وذهب أبو بكر وتصدق بماله كله، فلما أتيا النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**ماذا أبقيت لأهلك يا عمر؟**» قال: نصف مالي، وقال لأبي بكر: «**ماذا أبقيت لأهلك؟**» **قال:** أبقيت لهم الله ورسوله، قال: فعلمت أني لا أسبق أبا بكر، وَمَرَّ النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- على ابن مسعود وهو يقرأ سورة النساء يسحلها سحلًا، فلما سجد جعل يدعوا ويقول: اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد في أعلى درجات الخلد، فقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : «**سل تعطه، سل تعطه**»، فذهب عمر رَضِيَ اللهُ عَنَهُ ليبشره، فوجد أبا بكر قد سبقه إلى تبشير ابن مسعود.

وهكذا كانوا يستبقون إلى الخيرات كما جاء في حديث أنس أن الأنصار شكوا

إلى رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- ما يلقون من نزع الماء، وقالوا: لو دعا لنا رسول الله أن يفجر الله لنا هذه الجبال عيونًا، فذهبوا بجماعتهم، فقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : **«مرحبًا وأهلًا، ما أتى بكم اليوم إلا حاجة، لا تسألوني اليوم شيئًا إلا أعطيتموه، ولا أسأل الله شيئًا إلا أعطانيه»**، فالتفت بعضهم إلى بعض، فقالوا: الدنيا تريدون؟ سلوا رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- أن يستغفر لكم، فقالوا: استغفر لنا يا رسول الله؟ النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : **«اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار»**، لما رأوا النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: **«ما تسألوني شيئًا إلا أعطيتموه»** تسابقوا إلى أعظم خير وهو غفران الذنوب؛ لأن الذنوب إذا غُفِرت حصل الرزق وغيره من الخيرات، ومعاذ ومعوذ كانا شابين، ولما رأيا أبا جهل قال أحدهما لعبد الرحمن بن عوفٍ: يا عم، أين أبو جهل؟ والله، لو رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، وأتى إليه الآخر وقال له مثل ما قال الأول، قال: فقلت لهما: ذاك هو، فابتدراه مثل الصقرين، فضرباه حتى برد، وأتى عبدالله بن مسعود واحتز رأسه وأتى به إلى النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- .

فالشاهد من هذا: استباق الصحابة إلى الخير؛ لأن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قد حثهم، ورباهم على ذلك في مثل قوله: **«لو يعلموا ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا»**.

وذكر أهل العلم أن الإيثار بالقربات لا ينبغي، وإن كانت أم المؤمنين عائشة

آثرت بقبرها عمر بن الخطاب -يعني من باب الحب في الله- وهذا اجتهاد وجود منها.

ولو تتبعت سيرة أصحاب النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- في استباقهم إلى الخير، الاستباق الذي كانوا يصنعونه في المعارك مع الكفار، أو في القيام، أو في الصيام، أو في الصدقة، أو في سائر أعمال البر أو الخير؛ لكان مبحثًا طيبًا.

قوله: (أهل الدثور)، الدثور: الأموال، واستدلوا بهذا الحديث على فضل الغني الشاكر على الفقير الصابر، والصحيح في المسألة أنه ما من غني شاكر إلا وهو صابر على نعمة الله، ما يستطيع أن يصبر على المال والنعمة إلا بشكر الله سبحانه، وما من فقير صابر إلا وهو شاكر لله على ما قدر، فكلاهما متلازم، وهما في رتبه سواء، خالف ابن القيم في كتابه «عدة الصابرين» في المفاضلة بين الغني الشاكر والفقير الصابر، فليرجع إليه من أراد المزيد من بيان هذه المسألة، وفي هذا الحديث دليل على أن من سخر ماله في طاعة الله فهو من السابقين، لا في نصر حزبية، ولا جمعيه باطلة، ولا في نصر منكر، وقد أخبر الله عن الكفار أنهم هم الذين ينفقون أموالهم في الباطل، قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا وينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسيقيمونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾، فمن لم يتحر في نفقة ماله في وجهه الشرعي فقد تشبه بالكفار في ذلك، فالمال بعتبر من النعم، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٥]، وقال النبي : «**إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق؛ فلهم النار يوم**

القيامة» أخرجه البخاري من حديث خولة رضي الله عنها، وقد عُلِمَت الأمم التي أمدها الله بالنعم والأموال فلم تشكر نعمة الله، فأهلكها الله، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النحل: ١١٢]، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سورة سبأ: ١٥].

والمال يعتبر من الابتلاءات: «**إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال هكذا، وهكذا، وهكذا**»، وقال تعالى: ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾.

يقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها**». متفق عليه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

قوله: «**وأمر بمعروف، ونهي عن منكر صدقة**»، فلأن يتصدق عليك أحد بتعليم، أو بدعوة، أو بتدريس، أو بنهيٍ عما أنت فيه من الخطأ، هذا والله، خير من أن يتصدق عليك بشتى متاع الدنيا.

فالصدقات كثيرة، وإن لم يكن عندك مال فتصدق على نفسك بكف أذاك عن الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب الواجبات، قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك

هم المفلحون﴾، وقد علمتم قصة أصحاب السبت، فالله سبحانه وتعالى نجَّا الذين ينهون عن السوء، قال تعالى: ﴿فلما نسو ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾، وقال: ﴿فلما عتوا عما نهو عنه قلنا لهم كونوا قرده خاسئين﴾، فبنوا إسرائيل لعنهم الله على عدم قيامهم بما أوجب الله عليهم، قال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يعملون﴾، فلعنهم الله بهذا: أنهم ما كانوا يتناهون، بل ربما إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، والضابط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث أبي سعيد: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»، وفي حديث ابن مسعود عند مسلم، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس ورءا ذلك من الإيمان حبة خردل**»، فلا عذر لأحد في عدم إنكار المنكر بالقلب، سواء من الرجال أو من النساء، كل واحد يجب أن ينكر المنكر بقدر ما يستطيع.

إذا رأيت منكرًا واستطعت أن تغيره بيدك، ولا يعود عليك ولا على المسلمين

بضرر لا تتحمله فعلت، وإن لم تستطع أن تغير المنكر إلا باللسان فعلتَ، وإن لم تقدر فلا عذر لك عن التغيير بالقلب؛ فإن هذا مما هو من النيات، ومما لا يتضرر به إذا أنكره بقلبه، وفي حديث أم سلمة عند الإمام مسلم: «**فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع**»، ولا يعذر حيث ينقل التغيير إلى اللسان وهو قادر باليد، ولا يعذر أن ينقل إلى القلب وهو قادر على التغيير باللسان.

أما من يقول: إن تغيير المنكر باليد هو على الوالي، وباللسان على الواعظ، وبالقلب على عوام الناس، فمن أين لهم دليل على هذا التقسيم؟

قوله: أيضع أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**نعم**»، هذا ليس من باب القياس، وإنما من باب ضرب الأمثال، قد استدلوا به على القياس، وفيه الاحتساب، وأن المحتسب قد يؤجر على احتسابه وإن كان في شيء مباح، هذا يجامع أهله، وهذا يجامع أهله، هذا يؤجر، وهذا لا يؤجر؛ لأن هذا لقصد الشهوة، وهذا لقصد إعفاف النفس، وحصول الولد الصالح.

وهذا يأكل، وهذا يأكل، وهذا يؤجر، وهذا لا يؤجر؛ لأنه قد يقصد به التسمّن؛ لحديث عمران: «**يظهر فيهم السِّمَنُ**»، والآخر يأكل للتَّقَوِّي على طاعة الله، قال تعالى ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أذكى طعامًا فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرنّ بكم أحدًا﴾، وهذا ينام، وهذا ينام، والنوم مباح، هذا يحتسب نومته وقومته، وهذا لا يحتسب نومته وقومته، فذاك مأجور والآخر غير مأجور، فالاحتساب كما يقول أهل العلم -رحمهم الله- يجعل العادة من

حيث الإثابة عبادة، وعدم الاحتساب ربما يصيّر العبادات عادات، يصوم الناس فيصوم معهم القصد أنه صام الناس، ما هي عبادة، وبالاحتساب تتفاوت العبادات، ويتفاوت الناس في احتساب الأعمال، أنت تسافر إلى مكان والآخر يسافر إلى مكان، أنت تؤجر على سفرك والآخر ربما يأثم على سفره.

فالاحتساب كما قال نبينا -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»، وجاءت زيادة: «**وما تأخر**»، وهي زيادة شاذة، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**إذا توفي ولد العبد واحتسبه، قال الله عز وجل: ابنوا لعبدي بيتًا وسموه بيت الحمد**»، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- لما أرسلت ابنته أن ابنها قد احتضر: «**مرها فلتصبر ولتحتسب**».

الحديث السادس والعشرون

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**».

في هذا الحديث ست صدقات، وكل واحدة من هذه الست تحتها صدقات أُخر، السُلامى هو: العضو، قال قطرب في مثلثته:

بـــدا فحيا بالسَّلام ... أشار نحوي بالسِّلام
رمى عذولي بالسُّلام ... بكـفـه الـمخـضَّب
بالفتح لفظ المبتـــدي ... والكسر صخر جلمد
والضَّم عرق في اليد ... قد جاء في قول النبي

وقطرب معتزلي، لكنه لغوي، كما في ترجمته من «البداية والنهاية».

قوله: «**كل سُلامَى من الناس**»، أي: كلُّ عضوٍ من الناس عليه صدقة، والمراد بها صدقة التطوع كما في حديث أبي ذر، قال: فإن لم أفعل؟ قال: «**تعين صانعًا أو**

تضنع لأخرق»، قال: فإن لم أستطع؟ قال: «**تكف شرك عن الناس؛ فإنها صدقة منك على نفسك**»، وفي حديث عائشة: «**خُلق كل إنسان على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، أو عزل حجرًا عن طريق الناس، أو شوكًا، أو عظًا؛ فإنه يمسى يومئذٍ وقد زخرج نفسه عن نار جهنم**»، والصدقة هنا صدقة التطوع لا الواجب.

فيه الحث على تكثير الإنسان لنفسه الصدقات، إما بحسن الخلق، وإما بالعطاء، وإما بكف شَرِّهِ عن الناس.

قوله: «**وتعدل بين الاثنين صدقة**»، فيه الحث على الصلح بين المسلمين، قال تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا﴾، ﴿من نجواهم﴾، أي: من المتناجين لا خير فيهم إلا من أمر بهذه المذكورات، وقال تعالى: ﴿والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح﴾، وقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾.

فالذي يأكل ثومًا، أو بصلاً لا يجوز له دخول المسجد لهذا الحديث ولغيره، والذي يأكل ذلك يتأذى الناس منه، حتى أن من أهل العلم من يقول: المجذوم إذا كان يُتأذى منه يصلي في بيته وله عذر في ذلك، كما ذكر هذا الشوكاني وغيره في «نيل

الأوطار»، أذية المسلمين في أسواقهم محرَّمة، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**من مَرَّ في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها**»، خشية أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء.

أذية المسلمين من نَحَّاها عن الطريق أُجر؛ لحديث: «**لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين**»، أذية المسلمين إثم مبين، قال تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا﴾، وليس من أذية المسلمين بيان الحق لهم والنصح لهم، قال تعالى: ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة﴾، وليحذرهم الناس الذين يغترون بهم، فهذا ما هو من الأذية، بل من النصح والإحسان إليهم، وقد قال يوسف بن أسباط: أنا خير لهؤلاء من آبائهم، قالوا: كيف؟ قال: أحذر الناس أن يأخذوا بما هم عليه من الشر؛ فإنهم يتحملون أوزارهم، هذا في ترجمة الحسن بن صالح بن حي من «تهذيب التهذيب».

أذية المسلمين بالتناجي، لا يتناجى اثنان دون الآخر من أجل أن ذلك يحزنه، وقال تعالى: ﴿ولا تتناجوا بالإثم والعدوان واتقوا الله﴾، فقد يتأثر منه الإنسان ويقول: لماذا يتحدث معه وأنا يتركاني.

وفي «الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لا ينهزه إلا الصلاة لم يخط خطوةً إلا رفع له بها درجة وحُطَّ عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة**

ما كانت الصلاة هي تحسبه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه يقولون: اللهم، اغفر له، اللهم، تب عليه، ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه».

حتى الأموات تحصل لهم أذية من الأحياء؛ لحديث بشير بن الخصاصية، وقد كان اسمه: زحم، فسماه النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: بشيرًا، وسمعه قال لرجل يمشي بنعليه بين القبور: «**يا صاحب السبتيتين، اخلع نعليك فقد آذيت**»، فهذا آذى الأموات، بمروره بين القبور وهو منتعلٌ، فما بالك بمن يطأ عليها، ويرعى عليها المواشي، ويوقف عليها السيارات، فالمسلم ما يجوز أذيته حيًّا ولا ميتًا، وهو كريم على الله عز وجل، نظر ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنَهُ إلى الكعبة، فقال: «**ما أعظمك، وأعظم حرمتك، وللمؤمن أعظم عند الله منك**».

الحديث السابع والعشرون

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، فَقَالَ: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**».

وبعده حديث عن وابصة، وله طريق منقطعة وفيها ضعيف، وطريق آخرى فيها أبو عبدالله السليمي مجهول، كما قال ابن المديني، وقد جاء من حديث أبي ثعلبة الخشني، ومن حديث أبي أمامة، وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم، وهو صالح في الباب.

قوله: «**البر حسن الخلق**»، نعم، البر حسن الخلق، وحسن الخلق قد يكون في العبارة، وقد يكون في المعاملة، وقد يكون في غير ذلك، وهو أعم من أن يكون في الكلام فقط، قال الله تعالى عن نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، هذا عام، فالمشركون وإن حسَّنوا أخلاقهم، لكن خلقهم سيء من حيث أنهم أساءوا في عبادتهم لله عز وجل، فهو أعم من اللفظ، أو التعامل بين إنسان وآخر، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ

مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]، وفي حق الوالدين أقدم؛ لحديث: من أحق الناس ببري؟ قال: «**أمك، ثم أمك، ثم أمك**»، وهكذا يكون في الحج؛ لحديث: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»، والبر في الحج هو أن لا يحصل فيه رفث ولا فسق فيه وأُدِّيَ على سنة رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- الذي قال: «**خذوا عني مناسككم**»، وهكذا يكون في الصدقة إذا كانت لله سبحانه وتعالى، وأُريد بها وجه الله، وأُدِّيت على الوجه المطلوب في موضعها، وسائر الأعمال لا تكون به إلا إذا وافقت الإخلاص والمتابعة للرسول -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، وحسن الخلق لا شك أنه من البر، وليس هو كل البر إلا إذا كان على المعنى الذي ذُكر فيما إذا كان معاملته فيما بينه وبين الله في عبادة الله، وهكذا فيما بينه وبين رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- في اتباع سنته، وهكذا مع الناس من حيث التعامل مع الجيران، والتعامل مع الوالدين، إذا كان يتعامل معهم بالدليل، وحسن الخلق

من حيث بذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه.

الحديث الثامن والعشرون

قال الأمام أبو داود رحمة الله:

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ قَالَا أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ فَقَالَ الْعِرْبَاضُ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا، فَقَالَ: **أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وهو في «الصحيح المسند» للشيخ رَحِمَهُ اللهُ، مع أنه من طريق عبدالرحمن بن عمرو السلمي، وهو مجهول حال، وعمرو بن عمرو الكلاعي مجهول عين، ويحيى بن أبي المطاع لم يسمع على الصحيح من العرباض بن سارية، ومهاجر بن حبيب لم يسمع، وعبدالرحمن بن بلال أو بلال بن عبدالرحمن، ولم يسمع منه، وخالد بن معدان ولم يسمع منه، وعم خالد بن معدان من باب أولى، سبعتهم ما من طريق إلى

هذا الصحابي إلا وفيها ضعف.

والإمام البخاري قد أثبت سماع يحيى بن أبي مطاع إنما اختلف عليه في ذلك كما في «جامع العلوم والحكم» فمع هذه الطرق يصير الحديث حسنًا، وقد ألف بعضهم رسالة في هذا الحديث وخلص إلى تضعيفه ولم يصب، فالحديث ثابت، إنما فيه بعض الزوائد مثل: «**وإن تأمر عليكم عبد حبشي**» «**فإن المؤمن كالجمل الأنف إذا قيد انقاد**»، هذه الزيادة غير محفوظة، لها طرق، ومنها: طريق أسد بن وداعة، وأسد بن وداعة اتهموه بشذوذ هذه اللفظة وأنكروها عليه، وزيادة: «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»، فلفظة: «**المحجة**» لم تثبت في هذا الحديث، وهذا الحديث من جوامع كلم النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-.

قوله: وعظنا رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- موعظة بليغة، يدل هذا على أن رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كان يعظهم، قال الله له: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾، وقال: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ فالوعظ من وظيفة الأنبياء.

وفيه مدح البلاغة في الحق، البلاغة في الكلام محمودة، التي بغير تكلف، أو ما يبطل حق أو يحق باطل، كما قيل:

في زخرف القول تزيين لباطله ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

تقول ذا مجاج النحل تمدحه وإن تشأ قلت ذا قي الزنابير

قوله: ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، هذه الموعظة التي وعظهم أثرت فيهم، وكانت مواعظه تؤثر فيهم، وهي تؤثر في كل مؤمن، وقد قال ربنا: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾، فالمؤمنين تغني عنهم الآيات والنذر وتنفعهم، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ۝١٠٩﴾، وقال: ﴿أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ۝٦٢﴾، فذمَّ الله سبحانه المشركين أنهم يضحكون من من سماع القرآن، ولا يبكون وفي حديث أنس أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- وعظهم موعظة، فغطوا رؤوسهم ولهم خنين، وكان يقرأ القرآن ويُسْمَعُ لصدره أزيز كأزيز المِرْجَلِ، أي: كغليان القدر، ولما ذكرت أم أيمن أن الوحي قد انقطع بكى أبو بكر

وعمر، وأبو بكر لا يستطيع أن يُسمع الناس إذ قرأ من البكاء، وَأُبِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين قال له النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن**»، والصحيح أنه لتعليم أُبَيٍّ، لا أنه يستفيد من أُبِيٍّ، قال: وسماني، قال: «**نعم**»، فبكي أبي، وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قرأ في سورة يوسف فبكى.

ما أنزل الله كتابه إلا لتدبره والعمل به، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾.

قوله: فقلنا يا رسول الله، كأنها موعظة مودعٍ، فأوصنا. شعروا منها أنه كأنه يودعهم، وأنه سيموت عليه الصلاة والسلام.

قوله: قال: «**أوصيكم بتقوى الله**»، فيه طلب الوصية وبذلها، قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾، هذه وصية جميع المرسلين وأنت حين تقرأ القرآن ترى أن الأوامر والنواهي إما أن يتقدمها أمر بالتقوى أو يتعقبها أمر بالتقوى لما في ذلك من الأهمية، فالذي ما عنده تقوى ما عنده بصيرة ولا يُوَفَّقُ لخيرٍ، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾، وقال: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ويُكَفِّرْ عنكم سيئاتكم﴾، وقال:

﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ والله غفور رحيم﴾، وقال: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾، وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾، وقال: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾، ولما سئل رسول الله: أي الناس أكرم؟ قال: **«أتقاكم»**، ينبغي للخطيب أن لا ينسى الأمر بالتقوى في كل خطبة، يوصي نفسه وغيره بتقوى الله، وإذا أراد أن يوصي بغير ذلك بعد ذلك أوصى، فالنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- في خطبة عرفة، وفي هذه الخطبة وخطب كثيرة أوصى بتقوى الله، وكان كثيرًا ما يوصي بتقوى الله، وحتى ولو كان عاصيًا، صوفيًا من الصوفيين، أو شيعيًا من الشيعيين، ضال من الضلال، فاجر من الفجرة، ذَكِّرْهُ بتقوى الله، عسى الله أن يجعل لهذه الوصية القبول في قلبه، وإن لم يقبلها، فما ضرك شيئًا.

وأوصاهم بالسمع والطاعة، وهذا عام، ولكن جاء في الحديث ما يبين المقصود، الحديث يُعنى به هنا طاعة ولي الأمر؛ لقوله: «**وإن تأمر عليكم عبدٌ**»، تسمع وتطيع فيما سمعت، ما لم يأمر بمعصية؛ فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»، وإلا فالسمع والطاعة لولّي أمر المسلم واجبة، وَأُتِيَ كثير من المسلمين من الخلل في هذا الباب، لم يسمعوا ولم يطيعوا، بل

تغطرسوا على ملوكهم وعلى رؤساء شعوبهم، وهو مسلم، وحصلت الفتن، والمحن، والقلاقل، والخلخلة بين الناس، وهذه مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- ولمنهج السلف رضوان الله عليهم، قال عبادة رَضِيَ اللهُ عَنَهُ: «**بايعنا رسول الله ص على العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن ترو كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**»، عن عبادة، متفق عليه، وحديث: «**من يطع الأمير فقد أطاعني ومن يطيعني فقد أطاع الله**»، وحديث: «**فمن بايع إمامًا فأعطاه صفقه يده وثمرة قلبه؛ فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر كائنًا من كان**» أخرجه مسلم عن عبدالله بن عمرو، وحديث وائل بن حجر، وحديث ابن مسعود، وأحاديث كثيرة تأمر بطاعة وليِّ الأمر، وتأمره بِرِفْقِهِ بهم.

كما قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**اللهم، من وَلِيَ من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن وَلِيَ من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**»، فلا بد من النظر في الأدلة من كل جانب، وأنت إن لم تُعْطَ حقك، وإن ظُلمت فلا تظلم، إن لم تعط حقك، فكما قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : «**اعطوهم حقهم، واسألوا الله الذي لكم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم**»، لا يحملك على أنك تخرج، أو أنك تعتدي، أو أنك تكفر من لم يكفره

كتاب الله ورسوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ، ولا يحملك على باطل إن ظُلِمْتَ، «**فمن كانت فترته إلى سنتي فقد نجا**»، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك، وفي هذا الحديث دليل من دلائل النبوة في قوله: «**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرا**»، فقد حصل ما أخبر به، من الاختلاف الكثير، فما المخرج من هذا الاختلاف والفتنة؟ المخرج دَلَّنا عليه رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- في هذا الحديث بعد أن ذكر الاختلاف، قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ»، عدم الاستشراف للفتنة من المخارج قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**من استشرف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأً أو معاذًا به**»، وتقوى الله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾، والتوكل على الله ودعاء رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾، وقال تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ الآية، مخارج كثيرة ولله الحمد، من أعظمها التمسك بكتاب الله وسنة رسوله على فهم السلف الصالح، والمقصود من هذا الحديث متابعة الرسول -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- على فهم السلف الصالح رضوان لله عليهم، هذا الحديث دليل على فهم السلف، والله يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، ويقول: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ

بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».... الحديث.

فأثنى على الثلاثة القرون، وقال ربنا سبحانه: ﴿أتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون﴾، ولا تصلح أحوال الناس ويخرجون من الفتن إلا بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، والخلفاء الراشدين هم الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، هؤلاء هم الخلفاء الراشدون المهديون، وترتيبهم على هذا الترتيب، فمن شك في خلافة واحد منهم أو أنكرها فهو أضل من حمار أهله، وبعضهم أدخل عمر بن عبدالعزيز فهو خليفة ولكنه ليس من الخلفاء الراشدين المعنيين في الحديث، وكما في حديث سفينة مرفوعًا: «**خلافة النبوة ثلاثون عامًا**»، فكانت خلافة أبي بكر الصديق نحو سنتين، وخلافة عمر نحو عشر سنين، وخلافة عثمان نحو اثني عشرة سنة، وخلافة علي ست سنين، هذه ثلاثون سنة، وبعد ذلك مُلْكٌ عضوض، فعُلِمَ أن عمر بن عبدالعزيز إنما هو خليفة فاضل، من خلفاء المسلمين، وليس من خلافة النبوة.

قوله: «**عضوا عليها بالنواجذ**»، قال أهل العلم: في هذا الحديث نكتةٌ، وهو أنه ما قال: عضوا عليها بالثنايا، أو عضوا عليها بالرباعيات؛ فإنها إذا سُحِبت ربما تطلع الثنايا معها، وإنما أمر بالعض بالنواجذ من حيث أنها أثبت وأقوى، وأن الشدة على الحق محمودة، يشد ويثبت عليه، أما الشدة على الباطل فمذمومة،

وليحذر الغلو فهو مذموم، نسأل الله العافية، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عَبْدٌ، فقولوا: عبدالله ورسوله**».

قوله: «**وإياكم ومحدثات الأمور**»، استدلوا بهذا الحديث على الأذان الأول للجمعة، أنه من سنة الخلفاء الراشدين، وخير الهدي هدي رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، وفي الحديث رَدٌّ على هذا القول في قوله: «**وإياكم ومحدثات الأمور**»، وقد نقل ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ إجماع العلماء في «فتح الباري» على أن الأذان الأول للجمعة محدث.

فهذا من محدثات الأمور، وهذا اجتهاد من عثمان رَضِيَ اللهُ عَنَهُ، وهو مأجور على ذلك، وهو من المبشرين بالجنة، ومن السلف من كان يصرح أنه بدعة، فكيف يقال إن الذي ما يرى الأذان الأول أنه مبتدع، وممن قال إنه بدعة عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، كما ثبت عنه هذا القول في «مصنف بن أبي شيبة» وغيره.

الحديث التاسع والعشرون

قال الأمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ**»، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿**يَعْمَلُونَ**﴾، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟**»، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**رَأْسُ الْأَمْرِ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**» فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ**» أَوْ قَالَ: «**عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**».

هذا الحديث جاء عن جماعة عن معاذ منهم: أبو وائل، ومنهم: ميمون بن أبي شبيب، وكل طريق إلى معاذ فيها ضعف من هذا اللفظ، ولكن بمجموع الطرق

يصلح للاحتجاج؛ فإن الطرق إليه متكاثرة، تراها في «جامع العلوم والحكم»، وفي هذا الحديث من الفوائد، ومن العلوم: أن معاذًا سأل النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- سؤالاً يدل على علوِّ هِمَّتِهِ، فقال: يا رسول الله، دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار؟ فهو سؤال مختصر إلا أنه جامع.

وفيه أن علم السلف بغير تكلف وأسئلتهم بغير تكلف، فعلمهم فيه بركة وما يقال: إن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، كلام فلسفة، وكلام فارغ، وكلام باطل لا يؤيده دليل، ولا يقره عقل راجح، فطريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم، وبغير تكلف، وكما قيل:

لولا التنافس في الدنيا لما وضعت ... كتب التناظر لا المغنى ولا العمد

يحللون بزعم منهم عقدًا ... وبالذي وضعوه زادت العقد

المتأخرون من أصحاب علم الكلام عَقَّدُوا الأمور، والمتأخرون من أهل الحق، أهل السنة تجد علمهم ميسرًا: (آية وحديث).

وقوله: دلني على عمل يدخلني الجنة، وهذا هو قصد كل صالح ومصلح، قال تعالى: ﴿وَتِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾، أما أولئك السَّمج الذين يقولون: إن الذي يعمل لقصد دخول الجنة هذا زائغ، يعتبرون من يريد الجنة بعمله مخطئًا، والله يقول: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ

وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، ويقول: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۞﴾، ويقول: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾، فدل القرآن على أن الإنسان يعمل ابتغاء مرضات الله ويبتعد عن المعاصي تجنبًا لسخط الله -ومما يدل على علو همتهم رضي الله عنهم حديث أنس- أنهم أتوا إلى النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- وقد تعبوا في نزع الماء فقالوا لو دعا لنا يفجر لنا هذه الجبال أنهارا، فأتوا فقال لهم مرحبًا وأهلاً ما جاء لكم اليوم ألا حاجة لا تسألوني اليوم شيئًا إلا أعطيتموه ولا أسأل ربي شيئًا إلا أعطاني فالتفت بعضهم إلى بعض فقالوا الدنيا تريدون أطلبوا منه أن يستغفر لكم فقالوا: استغفر لنا، فقال: «**اللهم، اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار**»، وحديث أبي هريرة وأبي ذر المتقدم أن فقراء المهاجرين أتو.....

ومسابقة أبي بكر وعمر في التنافس في الخير، وهكذا سائر الصحابة، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- من يأخذ هذا السيف؟ فبسط القوم أيديهم، فقال أبو دجانة: أنا يا رسول الله، فأخذه ففلق به هام المشركين وحث النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- على الجهاد، فقال بعضهم لأن بقيت حتى أكمل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة.

فهنيئًا لهم ولكل من سابق إلى الخير وعرف أنه في هذه الدنيا إنما يتزود لما هو أهم، من البرزخ، والصراط، والميزان، والحوض، كل ذلك يحتاج إلى عمل صالح

فيه، وشهد النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- لمعاذ أنه يدندن حول الجنة لما قال ذلك الرجل للنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فإنما أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، فقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**حولها ندندن**»، فمعاذ يدندن حول الجنة، وزَكَّاه رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- وقال: «**والله، يا معاذ إني لأحبك لا تدعن دبر كل صلاه أن تقول: اللهم، أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» معاذ بن جبل يحبه رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- وهذه منقبة عظيمة.

قوله: «**وإنه ليسير على من يسره الله عليه**»، لتعلم أن ما كل إنسان يريد الخير يصل إلى الخير، فمن يسره الله لليسرى يصل للخير، ومن لم ييسره لم يصل، قال تعالى: ﴿وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾، فإذا علم الله سبحانه صدق العبد أعطاه على ما علم من نيته، كلٌّ يُعطى على نيته.

قوله: «**تعبد الله**» بدأ في دلالته على ما يوصله إلى الجنة ويباعده عن النار بتوحيد الله، وهو نظير حديث عمر، وحديث ابن عمر المتقدمان في أركان الإسلام، وتلك الأحاديث شاهدة لهذه الفقرات في الحديث.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾، وقال لمعاذ: «**أول ما تدعوهم إليه أن يشهدوا أن لا إليه أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله**».

وعبادة الله ما من نبيٍّ من الأنبياء إلا ويدعوا قومه إليها، قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمه رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾.

وقوله: «**لا تشرك به شيئًا**»، هذا شامل للشرك الأكبر والشرك الأصغر، إلا أن جمهور أهل العلم يرون أن صاحب الشرك الأصغر مرتكب لكبيرة عظيمة، وهو غير خارج من الملة، مثل قوله: (لولا الكلبة لدخلت اللصوص البيت)، هذا من الشرك الأصغر، ومثل الحلف بغير الله، ما لم يرد به تعظيم المحلوف به، مثل الحلف بالكعبة والحلف بالنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- شركٌ أصغر: (إنكم تشركون، تقولون، والكعبة، وتقولون: ومحمد، فأخبرهم النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- أنهم أشركوا ولم يأمرهم بإعادة الإسلام، ولو كان مخرجًا من الملة لأمرهم بالتشهد من جديد، وما يستدعيه الإسلام، ولكنه شركٌ والشرك ينقسم إلى: أصغر وأكبر، وهذا من الأصغر.

وفي حديث الحارث الأشعري: «**فإن مثل من يشرك بالله شيئًا كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله من ذهب أو ورق، ثم قال: هذا مالي وهذا داري، فاعمل في مالي وأد إلى داري، فذهب يعمل في ماله ويؤدي إلى غير داره، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك**»، وقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار ومن مات لا يشرك به شيئًا دخل الجنة**»، وقال بعض أهل العلم: حتى وإن كان الشرك أصغرًا؛ فإن صاحبه يدخل النار، ولكن لا يخلّد فيها، والقول الأول قول الجمهور أقرب للصواب، أنه من العظيمة التي

صاحبها تحت المشيئة؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾، المراد به الشرك الأكبر، وقوله: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، المراد به ما دون الشرك الأكبر، فمن وفقه الله لإقامة توحيد الله ولم يلبسه بظلم فله الأمن وهو مهتدي، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾، وقد عرفت حديث البطاقة: يؤتي بتلك البطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع في كَفَّةِ الحسنات، فتطيش بسائر السيئات، قال: «**ولا يثقل مع اسم الله شيء**».

قوله: «**وتقيم الصلاة**»، الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام: خمس صلوات في اليوم والليلة كما في حديث طلحة بن عبيد الله يا سول الله، هل عليّ غيرهنّ؟ قال: «**لا إلا أن تطوع**» مع ما علمت من شروطها، ومن دخول الوقت، وخشوعها حتى تكون مقبولة، ويجب أن تؤدى في جماعة ما دامت الجماعة ممكنة، وخاصة الرجال، قال تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأركعوا مع الراكعين﴾، وقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**لقد هممت بمؤذن فيؤذن، ثم آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم خالف إلى أناس لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم**»، وتاركها مجرم، قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا

نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾_، وقبلها قال: +فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾_، «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» كذا قال بريدة عن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- ، وحديث جابر، في مسلم «**بين الرجل والكفر أو الشرك ترك الصلاة**»، وقال عبدالله بن شقيق -وفي «رياض الصالحين» شقيق بن عبدالله وهو خطأٌ، والصواب عبدالله بن شقيق التابعي-: ما كانوا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**أرأيتم لو أن نهرًا جارٍ بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات أيبقى من درنه شيء؟**» قالوا: لا، قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»، يعني الذي يصلي لصلوات الخمس لا يبقى من دونه شيء.

وفي حديث أبي هريرة عند الإمام مسلم: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»، وفي حديث عثمان أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**ما من مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما بينها وبين الصلاة الأخرى، وذلك الدهر كله، ما لم تغش كبيرة**» وفي «الصحيحين عن أبي موسى مرفوعًا: «**من صلى البردين دخل الجنة**»، وثبت من حديث عمارة بن رؤيبة

أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**لن يلج النار رجل صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**»، ففي هذه الأدلة فضل الصلاة ووجوب الصلاة، وأن «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لا ينهزه إلا الصلاة إحدى خطواته ترفع درجة والأخرى تكفر سيئة حتى يدخل المسجد، فإذا كان في المسجد كان في الصلاة ما دامت الصلاة تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه**»... الحديث.

قوله: «**وتؤتي الزكاة**»، ومعناه أن الزكاة من أركان الإسلام كما في هذا الحديث وغيره.

وقد استدلوا على أن مانع الزكاة يكفر بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾، فإن منعها جحودًا؛ فإنه يكفر لجحوده لأمرٍ من أركان الإسلام، وينبغي أن تؤدى الزكاة في مصارفها التي ذكرها الله في سورة التوبة في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾.

وقوله: في الحديث: «**إنها لا تحل لغنيٍّ، أو لذي مرَّةٍ سوِيٍّ، أو لقويٍّ مكتسب**»، نعم، ما تحل للغني، هي للفقراء، وأما للقوي المكتسب فإذا كان مكتسبًا لشيء

يكفيه يصير غنيًّا ما تحل له، وإن كان ما زال فقيرًا فهي له حلال، ﴿والعاملين عليها﴾ يعني: وإن كانوا أغنياء يُعطون من الزكاة، يعمل عليها يُعطى ولو كان غنيًّا، ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾، ولو كانوا أغنياء يعطوا من الزكاة تأليفًا لقلوبهم فقد كان النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- يعفي مئات الإبل لبعض المؤلفة قلوبهم.

والمؤلفة قلوبهم على قسمين: منهم من يتألفه ليُسلم كما ثبت عن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- أنه كان يعطي الرجل غنمًا بين جبلين فيذهب ويقول: يا قوم أسلموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، قال: فيسلم لذلك فما يلبث إلا برهة حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما فيها.

ومنهم مسلمٌ، ولكن يتألفه لتقوية الإسلام عنده، وكان يتألف بعض كبار القوم كالأقرع بن حابس، وعيينة، وغيرهم، يتألفهم النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- وهم مسلمون رضي الله عنهم.

﴿وفي الرقاب﴾، وبعض الناس يفهم من هذا أنه لو وجد بعض الناس استوجب الدية بعد أن قبلها الورثة أنه لو دفع الدية تكون تحرير رقبة، هو مأجور، لكن تحرير الرقبة أن تكون مملوكة فيحررها فتصير حرة، سواء كانت من الذكور أو من الإناث، ويشترط أن تكون مسلمة على قول جمهور العلماء، وهو الصواب.

﴿والغارمين﴾، في الصلح بين المسلمين يعطون، ولو كانوا أغنياء، يُعطى ما غرمه، أتى قبيصة إلى النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ، فقال: تحمَّلت حمالة،

فقال: «**أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها**»، ثم ذكر له أن المسألة لا تكون إلا لثلاثة، وذكر منهم: رجلًا تحمل حمالةً حلت له المسألة حتى يصيبها.

﴿وفي سبيل الله﴾، تشمل المجاهدين في سبيل الله، من شراء الأسلحة لهم، وما يتعلق بشؤونهم، وتشمل الحج لمن لم يستطع الحج وهو فقير، كما في حديث أبي طليق: «**لو أعطيتها جملك كان في سبيل الله**»، أو طالب العلم يُعطى لشراء كتب، أو أقلام، أو ما يحتاج إليه؛ فإنه في سبيل الله، ليس اعتمادًا على حديث: «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**»؛ فإنه ضعيف، ولكن هذا الذي هو معلوم بالأدلة عند الصحابة وغيرهم أنه في سبيل الله، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**لعلك ترزق به**».

﴿وابن السبيل﴾، المنقطع في الطريق، ولو كان غنيًّا في بلده فهو مستحق أن يعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، هذه الثمانية المصارف.

والحرام ليس فيه زكاة؛ لحديث: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»، والحرام ليس بطيب والزكاة هي: النماء والطهر، من تصدق من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب؛ فإن الله يقبلها وينميها كما ينمي أحدكم فلوه أو فصيله.

ولا ينبغي أن تخرج الزكاة من رديء الشيء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾، وتؤخذ الزكاة من المسلمين، ولا تؤخذ من كافر ولا

تُعطى لكافر، حتى تارك الصلاة ما تُعطى له، ففي «الصحيحين عن ابن عباس لما بعث النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- معاذًا إلى اليمن قال: « **إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فأول ما تدعوهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله**»، وفيه: «**تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**»، والضمير في الحديث يعود إلى فقراء وأغنياء المسلمين، ولو كان متزوجًا كتابية، حتى صدقة الفطرة ما عليها زكاة فطر.

والزكاة لا تحل لآل البيت؛ لحديث أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال للحسن: «**كخٍ، كخٍ، إنا لا نأكل الصدقة، إنا لا تحل لنا الصدقة**».

لا فرضًا ولا نفلاً؛ لهذا الحديث، ولحديث سلمان أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- أُتِي بشيء من التمر أتى به سلمان، قال: «**كلوا**» ولم يأكل، ومرة أتاه بشيء، وقال: هدية، فأكل، وقال: «**كلوا**».

ولا تغترر بما نُقل من إجماع على تحريم زكاة الفرض دون التطوع، هذا النقل فيه نظر، «**والصدقة تطفئ الخطيئة**»، وفي حديث جابر، وهو في «الصحيح المسند» أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**يا كعب، بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء**»، قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «**أمراء يكونون بعدي لا يستنون بسنتي ولا يهتدون بعدي؛ فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد عليّ حوضي، يا كعب بن عجرة الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، والصلاة برهان**» أو قال: «**قربان**».

شاهدنا أن الصدقة تطفئ الخطيئة، وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه: «**ما من صاحب إبل لا يؤدي حقها إلا كان يوم القيامة بطح لها بقاعٍ قرقر تطؤه بأخفافها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقض بين العباد فيرى سبيله: أما إلى الجنة، وإما إلى النار، ولا صاحب بقر إلا بطح لها بقاعٍ قرقر تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها**»، وهكذا في صاحب الذهب والفضة الذي لا يؤدي حقها يحمى عليها في نار جهنم في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة فيكوي بها جبينه وجنبه، فمنعها حرام لا يجوز، وجحودها كفرٌ.

وأيضًا اتفاق من أهل العلم أن من أدى بعضها ولم يؤدِّ البعض الآخر لم يخرجها كاملة، أنه آثم فإنه ما هو عبارة عن صلح بينك وبين الله عز وجل، بحيث تكون زكاة مالك مائة ألف، تُخرج لهذا خمسة ألف، ولهذا خمسة ألف، ولهذا خمسة ألف، ولهذا خمسة ألف، ولهذا ألفين، ولهذا ألف، وتقول: زكيت مالي، هذا ما يكفي، لابد من إحصاء المال الذي فيه الزكاة من النقود والذهب وهذه العملة أيضًا هي تقوم مقامها، والصحيح أنه يخرج على نصاب الفضة من باب قول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم- : «**دع ما يريبك إلا ما يريبك**»، فالزكاة في الذهب والفضة، «**ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**»... الحديث، ومن المواشي: الإبل، والبقر، والغنم، هذه خمسة أشياء، ومن الزراعات: الشعير، والحنطة ومن الغرائس: التمر، والزبيب، ويشترط أن يحول عليها الحول، إلا الخارج من الأرض، قال تعالى ﴿وأتوا حقه يوم حصاده﴾، فلا يشترط أن يحول

عليها الحول، وما يلزمه كل سنة أن يخرج من ذلك الخارج من الأرض، حتى ولو بقي عدد سنين، يكفي أنه أخرج منه يوم حصاده، فما يشترط أن يحول عليه الحول ولا يلزم من تكرار إخراج النصاب منه.

والأوقاص في الإبل، والبقر، والغنم ما تحسب، والأوقاص: المقدار بين فريضتين، نصاب الغنم أربعون شاة، والمعز، والضان، كله يُحسب ويضاف بعضه إلى بعض، والسخال أيضًا يكمل بها النصاب على شروط يذكرها أهل العلم، والبقرة الجواميس، والبقر غير الجواميس، سواء فيه الزكاة يكمل بعضه بعضًا، والإبل بأنواعها، كله فيه زكاة، الغنم نصابها أربعون ، فإذا كانت نحوا الستين ما تحسب زيادة العشرين، أو السبعين، أو الثمانين، إلى مائة وواحد وعشرين، وهكذا البقر ثلاثون، ما يحسب ما بين النصابين، هذا في المواشي، أما في غير المواشي؛ فإنها تحسب الأوقاص، لو عنده مثلاً مائتا درهم وخمسة دراهم، تحسب المائة الدرهم والخمسة الدراهم وتخرج عليها جميعًا، أو عنده خمسة أوسق ونصف وسق، تحسب جميعًا ويخرج عليها جميعًا حتى نصف الوسق، من الشعير أو التمر يخرج عليها جميعًا، فتحسب فيها الأوقاص هذه الأشياء ولا تهمل.

أما العسل على الصحيح ما فيه زكاة؛ فإنه جاء من حديث أبي سيارة وجماعة، لم يثبت فيهما شيء.

أما عروض التجارة، نقل أهل العلم الاتفاق، نقله: أبو عبيد، والنووي، والحافظ وغيرهم، أنها فيها الزكاة، لكن لم يثبت في ذلك فيما نعلم حديث عن النبي

-صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- في عروض التجارة، وقد نُقض هذا الإجماع -ما هو منضبط- فقد خالف فيه الطبري، وجماعة من المتقدمين، كما في «السيل الجرار» للشوكاني رَحِمَهُ اللهُ وتبعه صديق حسن خان، والألباني، وفتوى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وجماعة من أهل العلم أن عروض التجارة ما تجب فيها زكاة: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله، وعرضه**».

قوله: «**وتصوم رمضان**»، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾، فهذا من الأدلة على الوجوب كتب أي فرض عليكم.

وفي الصحيحين: «**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا سول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت**»، وهذا يدل على فريضة الصيام، وقد فرض في السنة الثانية للهجرة، ومن ترك الصيام وهو قادر عليه مرتكب لمعصية وآثم لترك الواجب؛ فإنه ترك ركنًا من أركان الإسلام ومن جحده كفر، «**والصوم جُنَّةٌ**» كما قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- في الفقرة الأخيرة، ومعنى جُنَّة، أي: وقاية، وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال فيما يرويه عن ربه: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم؛ فإنه لي وأنا أجزي به**»، الصوم جُنَّة، «**فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يسب وإن سابه أحدًا، أو قاتله فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده،**

لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه».

ولفظة: «**الصوم جُنَّةٌ**» في هذا الحديث تشمل الفرض والنفل، أنه وقاية من عذاب الله لمن صام وإيمانًا واحتسابًا، ووقاية من الوقعية في الإثم، «**من لم يدع قوله الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**».

ولفظة: «**الصوم جُنَّةٌ**»، قد جاءت عن عثمان بن أبي العاص في «الصحيح المسند» وبنحوه جاء عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَمَ- حثَّ على الصوم، فقال: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له**» فكان أبو أمامة لا يُرى لا صائمًا، وهكذا أهل بيته لا يُرون إلا صائمين، وقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَمَ- كما في «الصحيحين «**من أنفق زوجين في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبدالله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**» قال أبو بكر: يا رسول الله، هل على أحد من ضرورة أن يدعى من تلك الأبواب؟ قال: «**لا، وأرجو أن تكون منهم**»، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَمَ- : «**من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجه عن النار سبعين خريفًا**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من صام رمضان أيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَمَ-: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى**

الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهما ما لم تُغْشَ الكبائر».

وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**رغم أنف امرئٍ أدركه رمضان ثم انسلخ ولم يغفر له، ورغم أنف امرئ أدرك أبويه عند الكبر فلم يغفر له، ورغم أنف امرئٍ ذكرت عنده فلم يصل عليّ**».

فالصيام مع وجوبه أيضًا هو من المكفرات للذنوب، والصيام قد يفسده بعض المبطلات من أكلٍ، أو شربٍ عمدًا، أو بغيرهما من المفطرات، والناسي إذا أكل أو شرب ما يفسد صومه «**من نسي وأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه**» متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنَهُ.

وهكذا إذا احتلم وهو صائم ليس عليه شيء، وهكذا إذا أصبح جنبًا من أهله فليس عليه شيء، والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كان يصبح جنبًا من أهله ثم يصوم، و «**من صام رمضان، ثم أتبعه ستًّا من شوال كان كصيام الدهر**»، أخرجه مسلم عن أبي أيوب رَضِيَ اللهُ عَنَهُ.

وصيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام حسن، و «**صيام ثلاثة أيام من كل شهر يذهب وَحَرَ الصدر**»، «**تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض لي عمل صالح وأنا صائم**»، «**صيام يوم عرفة يكفر السنة الماضية والباقية**» عن أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنَهُ في مسلم.

وجاء عنه أيضًا: «**صيام يوم عاشوراء يكفر السنة الماضية**»، وفي الصحيحة عن

أبي هريرة قال: أوصاني خليل بثلاث: بركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وفي صحيح مسلم أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- كان يصوم من غُرَّةِ كل شهر أو سرة كل شهر، والسرة هي الوسط.

وجاء عن قتادة بن ملحان، وأبي ذر وغيرهما، أنها أيام البيض، وعلى ذلك أهل العلم، وهي: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، ولا أفضل من صيام داود، كما قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ، ولا أفضل من ذلك، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفر إذا لاقى، قال عبدالله بن عمرو: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «**لا أفضل من ذلك**»، فلا ينبغي أن يزاد عليه، وصيام الدهر منهيٌّ عنه، ونهى النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- عن تخصيص يوم الجمعة، وقال: «**هل صمت قبله؟**» قالت: لا، قال: «**تريدين أن تصومي غدًا؟**» قالت: لا، قال: «**فأفطري إذًا**»، وصيام يوم السبت فيه خلاف بين أهل العلم، والصحيح جوازه إذ أن الحديث معلٌّ، وقد أعَلَّهُ بعض أهل العلم، كابن مفلح، وشيخ الإسلام، والإمام أحمد، وهو حديث: «**لا يصومَنَّ أحدُكم يوم السبت إلا فيما أفترض عليه ولو أن يعض على لحي شجرة**».

ولا يتقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا من كان له صوم يصومه، كأن يوافق عادةً له في الصيام، أو نحو ذلك.

وتخصيص يوم الجمعة إن وافق عرفة صامه؛ لحديث: «**لا تخصوا يوم الجمعة بصيام من سائر الأيام**»، والحديث هذا مُعَلٌّ، إلا أن أهل العلم على ذلك، وجاء

حديث أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**إذا انتصف شعبان فلا تصوموا**»، وهو ضعيف، والحديث الأول يردُّه، ففي «الصحيح أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كان يصوم من شعبان حتى يقولوا: لا يفطر...، الحديث.

ثبت في مسلم عن عبدالله بن عمر مرفوعًا: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه**» -ولا تقبل له حسنة، ولا ترفع لأحد عمل إلا بالإسلام؛ لحديث: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»، وحديث: «**الإسلام يهدم ما قبله**»، ولقول الله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا﴾، ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾، ولقوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾، و: «**من أحسن في الإسلام كتب له ما كان يعمل ومن أساء في الإسلام أُخذ بما كان يعمل من قبل ومن بعد**»، فالشاهد من هذا: أن من أسلم وصار منافقًا وليس مسلمًا محسنًا أنه سيؤخذ بما مضى وبما هو حاصل، وإن أحسن في إسلامه حسبت له حسناته التي عملها وأسلفها حال شركه، من بر والديه، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران، وغير ذلك.

وربنا سبحانه يقول: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾، ويقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، ويقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾، هذا الدين رضيه الله لنا، هو دين الملائكة، ودين كل نبيٍّ من الأنبياء، قال تعالى: ﴿حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾، فكل الأنبياء دينهم دين الإسلام، الإسلام بمعنى العموم: دين الجميع، وبمعنى الخصوص: أن هذه الشريعة ناسخة للشرائع الماضية، قال تعالى: ﴿ومن يتبع غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، وقال: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِي قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾، فهذا يدل أن دينهم الإسلام، والإسلام هو الذي يعصم الدم، ويعصم المال، ويعصم العرض، وهكذا فضل الإسلام مذكور في كتب مستقلة، فقد ألف الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ جزأً في فضل الإسلام، فالإسلام تُعرف به حقوق الوالدين، وحقوق الجار، وحقوق المسلم على المسلم، ومن مات على غير الإسلام فهو خالد في النار للأدلة المتقدمة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ

(٨٥)﴾،

قوله: «وعموده الصلاة»، عمود الإسلام أو عمود هذا الأمر -وهو الإسلام والدين- وهذا من الأدلة على أن تارك الصلاة قد هدم عمودًا من أعمدة الإسلام، فهو دليل قوي في تكفير تارك الصلاة.

قوله: «**وذروة سنامه الجهاد**»، الجهاد جهاد الكفار والمشركين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، وهذه الآية تشمل نوعين من الجهاد: جهاد الكفار وقتالهم، وجهاد المنافقين باللسان؛ فإن المنافقين كانوا في زمن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، قال تعالى: ﴿منهم من يعلمهم ومنهم من لا يعلمهم﴾، وقال تعالى: ﴿وآخرون منهم لا تعلمهم نحن نعلمهم سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾، فأبان الله أن منهم من لا يعلمهم، ومع ذلك لم يجاهدهم بقتال، وإنما جاهدهم بالقرآن، وبالحجة، قال تعالى: ﴿وجاهدهم به جهادًا كبيرًا﴾.

ولا يقوم الجهاد بالسيف والسنان لأعداء الإسلام إلا بعد جهاد اللسان والبيان، ولا ينكر جهاد الأعداء إن وجد جهادٌ شرعي يقوده إمام من أئمة المسلمين لكفارٍ من الكافرين: «**من لم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة**

من النفاق»، فالجهاد من أفضل الأعمال، قيل: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «**بر الوالدين»**، قيل: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله...**»، والأدلة في فضل الجهاد كثيرة ذكر منها النووي في «رياض الصالحين»أكثر من ثلاثين حديثًا، وألف ابن أبي عاصم كتاب «الجهاد»، وفي صحيح البخاري وغيره [كتاب الجهاد]، وإنما تُنْكَرُ الفتن، وَتُنْكَرُ التفجيرات التي يُقتل فيها البر والفاجر، والمسلم والكافر، والصغير والكبير، والذكر والأنثى.

وقد قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**اغزو في سبيل الله ولا تقتلوا وليدًا**»، ونهى النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- عن قتل النساء والصبيان، عن قتل كبار السن، إلا من عُلِمَ شَرُّهُ بفتنة، بحيث يكون له تدبير أو نحو ذلك، فعلى هذا مسألة الجهاد الشرعي في سبيل الله بشروطه وضوابطه يُدعى إليه بكتاب الله وسنة رسوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- في كل زمان ومكان، ولا يُخذِّل عنه إلا مخذول، جهاد أعداء الله من الكفار من اليهود والنصارى والمشركين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةً﴾، وقال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾، وقال: ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

﴿١٧١﴾، قتال الكفار فيه فضل عظيم، يقول أهل العلم: ينبغي لإمام المسلمين أن يكون له في العام الواحد أكثر من غزوة على الكافر ين، ولكن الحال كما قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها**»، قالوا: يا سول الله، أَمِنْ قِلَّةٍ نحن؟ قال: «**أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يقذف الله لهم في قلوبكم المهابة، وينزع المهابة من قلوب أعدائكم**»، وهذا حاصل الآن بسبب المعاصي، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾.

وأهل السنة نحسبهم في جهاد، جهاد بالأقلام، وجهاد باللسان، وجهاد ضد أهل الأهواء، وَيُؤْذَوْنَ من كل متكبر، ومتغطرس، ومفسد، وهم يجاهدون ويصبرون، فيحتاج إلى صبر، والله، إن لم يحصل لك صبر تنقطع في الطريق، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾، أنت مجاهد صابر، المجاهد يصابر حتى يراق دمه، وأنت تصابر بالكلمة، وتصابر بالحجة، وتصابر بالدليل وبالبرهان، وتصابر الصوفي، وتصابر الشيعي، وتصابر اليهودي، وتصابر العلماني، وتصابر الحزبي، والتفجير في بلاد المسلمين أو في غير بلاد المسلمين الذي يقتل فيه البر والفاجر، والبريء وغير البريء، هذا لا يجوز، أما التزود بغير فتنة، فهذا أمر جائز، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن

رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- اضطبع في طواف القدوم، وأمرهم أن يرملوا إِذْ أُخْبِرُوا أن المشركين قالوا: يقدم عليكم محمد وأصحابه قد وهنتهم حمى يثرب، وأمرهم أن يضطبعوا حتى يظهر أن عضلاتهم ما زالت موجودة، وأنهم مستعدون لقتالهم، وكما قيل:

وبعض الناس شريرٌ ولكن ... إذا عرف العقوبة قَلَّ شَرُّه

وللإجرام تحسبه شديدًا ... ضعيف الرأي يجهل ما يضره

فالسياسة الشرعية مطلوبة، وجهاد الكفار بشروطه وضوابطه مطلوبٌ.

قوله: «**وصلاة الرجل في جوف الليل**»، حَثٌّ على قيام الليل في جوف الليل، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**نِعْمَ الرجل عبدالله لو كان يقوم الليل**»، فما ترك عبدالله بن عمر قيام الليل حتى مات، وَذُكِرَ للنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- رجلٌ لا يقوم الليل، قال: «**ذلك رجل بال الشيطان في أذنه**» أو قال: «**في أذنيه**»، «**فإن قام من الليل وصلى أصبح نشيط النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»، قيام الليل مُرَغَّبٌ فيه للأحاديث الكثيرة، سواء كان في رمضان أو في غير رمضان، ولو لم يستمر على الأحد عشر، تارة أحد عشر، وتارة سبع، وتارة خمس، وتارة ثلاث، حسب ما ييسر الله له؛ لحديث: «**رحم الله**

امرأً قام من الليل فصلى، ثم أيقظ أهله؛ فإن قامت وإلا نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها؛ فإن قام وإلا نضحت في وجهه الماء»، فيه التعاون على قيام الليل.

وكانت بيوت الأشعريين تعرف بقراءة القرآن في الليل، وسمع النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- أبا موسى وهو يقرأ من الليل، قال: «**يا أبا موسى، لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة**»، قال: لو علمت ذلك لحبرته لك تحبيرًا، أي: لحسَّنْتُه حتى أتحفك بحسن الصوت أكثر؛ لأن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- كان يعجبه أن يقرأ القرآن بصوت حسن، فقد قال لابن مسعود: «**اقرأ علي القرآن**»، قال: أقرأ عليك وعليك أنزل! قال: «**اقرأ عليَّ؛ فإني أحبُّ أن أسمعه من غيري**».

وقيام الليل يثبت به القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨﴾، وقيام الليل دأب الصالحين.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنَهُ أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا في الثلث الأخير من الليل فينادي: هل من داع فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟**».

وقوله: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم**»، أو

قال: **«على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»**، اللسان لها حصائد وربما تؤدي بالإنسان إلى الهلاك -نسأل الله العافية- وما من عضوٍ أحق بالسجن من اللسان، وكما قال بعضهم:

لسان لفتى نصف ونصفٌ فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدمِ

وكم صامت تراه لك معجبًا ... زيادته أو نقصه في التكلم

وما أحسن ما قاله ابن دقيق العيد: ما تكلمت بكلمة إلا أعددت لها جوابًا يوم القيامة. قال تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾، وقال بعضهم: لو كان الإنسان يصرف حبرًا، وأوراقًا للكاتبين لكفَّ كثيرٌ من الناس عن الكلام حتى لا يصرف ذلك الورق والحبر.

وفي الصحيحين أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار**» وثبت عنه أنه قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يلقي لها بالًا يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وأن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه»، وقال: «من يضمن لي ما بين لحيته وما بين رجليه أضمن له الجنة**»، رواه البخاري عن سهل بن سعد، وقال: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»، الكلام ينبغي أن يُضْبَطَ إلا في ذكر الله وما ولاه، والله عز وجل يقول: ﴿فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ٩﴾.

وكما قيل:

إن لم تجد قولًا سديدًا تقوله فصمتك عن غير السديد سداد

فَمِنْ توفيق الله لك أنك إن لم تجد قولًا سديدًا تقوله تسكت، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيرًا أو ليصمت**».

الحديث الثلاثون

حديث أبي ثعلبة جرثوم بن ناشر الخشني رَضِيَ اللهُ عَنَهُ قال: قال رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- «**إن الله فرض فرائض فلا تضيِّعوها، وَحَدَّ حُدُودًا فلا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أشياءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً بِكُم غيرَ نِسْيَانٍ، فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا**».

هذا الحديث أخرجه البيهقي، والدار قطني من طريق داوود بن أبي هند عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني، ومكحول لم يسمع من أبي ثعلبة، وله شاهد من حديث أبي الدرداء: «**الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، وما سكت عنه فهو عفوٌ، فاقبلوا عافية الله**»، الحديث ضعيف عن أبي الدرداء، فيه رجل متروك، وهو أثرم بن حوشب، وجاء من حديث سلمان والراجح فيه الإرسال، وبعض طرقه فيها: سيف بن هارون البرجمي، وجاء من حديث ابن عباس وهو موقوف عليه من قوله، وعلى هذا فالطرق التي جاءت مرفوعة لم يثبت منها شيء عن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- ، لكن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ يثبت هذه الصفة، فيقول: ثبتت بالسنة والإجماع، الظاهر على مجموع هذه الأحاديث التي هي ضعاف، وإنما جاء موقوفًا عن ابن عباس بالإجماع، «**وما سكت عنه فهو عفوٌ**» يعني يقول: إجماع على هذه الصفة لله سبحانه وتعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾، وبعضهم يُفَصِّلُ ويقول: المقصود ما سكت عنه من الأحكام لا عن مطلق الكلام؛

فإن الله يتكلم ولا يزال يتكلم متى شاء، قال تعالى: ﴿ومن أصدق من الله حديثًا﴾، وقال: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾.

وهذا الحديث له أصلٌ في القرآن والسنة الصحيحة، مثل قوله تعالى: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلفين﴾، «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم فأتوا منه ما استطعتم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم**»، والله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١﴾، «**وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال**»، وأدلة من القرآن والسنة كثيرة.

الحديث الحادي والثلاثون

قال الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ أَبِي السَّفَرِ حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ»**.

وهذا الحديث من طريق خالد عمرو القرشي وقد كُذِّب، وتعقب ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ النووي في تحسينه، وحسنه العراقي، والهيثمي، والشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ، ولا يصل درجة الحسن، وذلك لأن المتابع للقرشي هذا محمد بن كثير الصنعاني وهو ضعيف، على أن أهل العلم والحفاظ يقولون: الحديث حديث القرشي، فعلى هذا الحديث ضعيف، ومن بابه حديث: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وسيأتي شرحه إن شاء الله.

والزهد في الدنيا مفتاح الخير، ولا تجد زاهدًا في الدنيا إلا وعنده مقدمات خير، وبعد عن التهالك على الدنيا، والله عز وجل يقول:- ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾، ويقول: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا

﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾، فدل هذا على أن الزهد وعدم الهلع يكون فيه الخيّر، -وأن الهلع والتهالك على الدنيا يكون في اليهود والنصارى والكفرة، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ﴾، فاليهود أصحاب أيادي مغلولة.

وقوله: «**ازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»، من حيث أن الإنسان إذا رأى منه الناس التجافي عن ما في أيديهم، والعفة عن ما عندهم، والقناعة عن ما هو لهم، يحترمونه، ويقدرونه، وصدق المنذري إذ يقول عند هذا الحديث: عليه لمح النبوة. يعني: طابع النبوة أن من تعفف عما في أيدي الناس أكرموه، والناس يبغضون من يأخذ أموالهم إما بتلصص، وإما باحتيال واختلاس، وإما بسرقة، وإما يرونه متهالكًا إلى الدنيا، ينقص في أعينهم، والذي يغض بصره عن محارم الناس يحترمونه، يقولون: هذا عفيف، هذا شريف، ما هو إنسان دنس، كل ساعة ينظر في باب وفي زاوية، وفي نافذة لمحارم الناس.

والزهد في الدنيا هو شأن الأنبياء، وشأن الصالحين، وانظروا دعوة أهل السنة

يصدق عليها قول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩﴾، وقوله: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾.

أهل السنة ما هم حول دنيا الناس، إنما هم حول نفع الناس، الفضل في هذا لله، والذين يقولون: هؤلاء (متقوقعون)، والله، ما هو إلا تقليب للحقائق منهم، وإلا هم يرون أن أهل السنة غير معتزلي المجتمع، وإنما أهل السنة هم أفقه الناس في المجتمع، ويدعون الناس لما يعلمون ما في ذلك من الأجر عند الله، وقد نفع الله بدعوتهم وأقبل بقلوب العباد عليهم فيما عندهم من الصدق -نحسبهم والله حسيبهم- ، والأمر كما يقول الله تعالى: ﴿وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم﴾.

الحديث الثاني والثلاثون

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِك عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**».

وهو مرسل، هذا هو الصحيح في هذا الحديث أنه مرسل، المازني عن أبيه عن رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ، أما ما جاء عن أبي سعيد فالراجح إرساله كما رأيت، ولم يثبت من طريق بمفردها، وجاء عن أبي صرمه -وفيه مجهولة- أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**من ضار ضاره الله، ومن شاق شاق الله به**»، والحديث فيه الرواية عن أبي صرمه مجهولة، وجاء عن عائشة وعن عبادة بن الصامت، وكل طرقه فيها ضعف، إلا أن الحديث بمجموع هذه الطرق من حيث المرسل مرسل، وسنده ثقات إلى من أرسله، ومع ما في الباب من الأدلة عن النهي في الضرار يُحَسَّنُ الحديث، ويعتبر قاعدة من القواعد، وجمهور أهل العلم على تحسين هذا الحديث والاستدلال به كأبي داوود، والإمام مالك مع أنه أخرجه مرسلاً في «موطئه» كما رأيت، وقد احتج به في كتاب المكاتب، قال: قال رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**لا ضرر ولا ضرار**»، فلا بأس بالاستدلال بهذا الحديث؛ لأنه بمجموع طرقه يصلح للاحتجاج، وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾، فيدل على أن الحديث له أصلٌ يؤيده

في القرآن والسنة، وهكذا حديث: «**اللهم، من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه**»[1]، «**ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**»، فالحديث ثابت لما له من الشواهد.

وقوله: «**لا ضرر**»، أي: لا ضرر ينفذ وهذا كما سمعت قاعدة، فإذا حصل حكمٌ فيه ضرر؛ فإنه باطل سواء حكم الحاكم بحكم فيه ضرر واستبان أنه ضرر وأنه ليس موافقًا للصواب فباطل مهدور «**لا ضرر ولا ضرار**»، أو أن إنسانًا أراد أن يعلق امرأة يعلقها ولا يعاشرها، لا يجوز له ذلك، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾، لا ضرر ولا ضرار، لا يجوز أن يضارها ويعلقها، أو أن إنسانًا منع تزويج مولاته، يريد أن يعضلها، لا يجوز له ذلك؛ فإن اشتجرا، فالقاضي ولي من لا ولي له؛ فإن عضل فالقاضي ولي من لا ولي له، تسبب في ضرر عليها، أو أن إنسانًا غاب عن امرأته مدةً لا تستطيع الصبر بعد تلك المدة تتضرر بالصبر، فلها أن تفارقه من عند القاضي إذا خشيت على نفسها الفساد والتضرر بالصبر، فمنهم من حدد ذلك بأربع سنين، ومنهم من قال: متى حصل الضرر جاز لها فراقه، وهذا هو الصواب، وهكذا في

---

١ والمشقة فيها ضرر.

مسألة النَّجْش في البيع «**لا ضرر ولا ضرار**»؛ فإن الذي ينجش يحصل الضرر منه بحيث أنه يغرر فيزيد في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها، وسائر بيوع الغرر، وسائر بيوع الربا فيها ضرر؛ لأن الربا أخذ مال الإنسان بغير حق، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾، فهذا الحديث ينطبق على أحكام كثيرة من المسائل الفقهية، وممكن تستدل بها في الصلاة من حيث إذا حصل من الإمام تطويل شديد، وحصل ضرر للكبار، وذوي الحاجة، يخرج ويصلي، ثم ينصرف بعد حاجته.

وتستدل به إذا كان به مرض لبعض أعضائه، لا يستطيع أن يغتسل مع ذلك الجرح، يتيمم، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾، وقال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾، وهكذا إن أصابه قمل في رأسه وهو محرم يحلق، ويفدي كما أمر النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كعب بن عجرة بذلك، ومرفوع عنه الحرج، ولو أن رجلًا ممن يجمع الصدقات لولي الأمر يأخذ من كل عشرين من الغنم زكاة، هذا لا يجوز له؛ لأنه أخذ وضرَّ بالفقير؛ لأنه ما قد وجبت عليه الزكاة، وهو يأخذ من ماله ما لا يوجبه الله، أو أخذ الكريمة من المال، نهى النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- أن تؤخذ كرائم أموالهم؛ لما فيه من الضرر على صاحب الماشية.

وهكذا في الصيام، رجل لا يستطيع الصيام، به مرض السكر، أو التهاب

الكلى، أو بعض الأمراض التي لا يستطيع الصوم معها، ويقال له: «**لا ضرر ولا ضرار**»، فيجوز له أن يفطر، ورجل اختلف مع زوجته، يريد أن يمسك ولده عن أمه، ولا يجعله في حضانتها من أجل أن يغلبها، منهيٌّ عن ذلك، والولد يصيح وهو يعطيه النيدو، يضاره ما يجوز، قال تعالى: ﴿**لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ**﴾، حتى وإن كانت أمةً تُباع، لا يفرق بينها وبين ولدها، وهذه المسألة المتقدمة مخالفة لقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**أَنْتِ أحقُّ بهِ ما لم تنكحي**»، حتى وإن فارقها زوجها وعندها ولد لا يميز فهي أحق به، «**لا ضرر ولا ضرار**»، أما أن كان مميزًا فيخير بين أبيه وأمه؛ لما ثبت في ذلك من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- خَيَّرَ غلامًا بين أبيه وأمه.

الحديث الثالث والثلاثون

قال الإمام البيهقي رَحِمَهُ اللهُ:

عن ابن عباس أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: « **لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُم، لَكِنِ البَيِّنَة عَلَى المُدَّعِي وَاليَمِيْن عَلَى مَنْ أَنْكَرَ** ».

هذا لفظ البيهقي، ذكره النووي عمدًا هنا؛ لقصد بعض الزيادات فيه، وإلا فأصل الحديث في الصحيحين.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ**».

ومثله عند البخاري، لكن عند مسلم أقرب للذي عند البيهقي.

وهذا الحديث يستدلون به في مسائل فقهية كثيرة، فهو أصل عظيم، وذلك أن المدعي يدعي شيئًا خلاف الأصل، فالأصل براءة الذمة من هذا القتل الذي ادَّعَاه ذلك المدعي، حتى يثبت تلويث ذمة ذلك الإنسان ببينة، ولا يشكل على ذلك

حديث إن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: رضَّ رأس يهودي بين حجرين؛ إذ رض رأس المرأة بين حجرين؛ لأنه سأل المرأة، فأشارت برأسها، بل هذا محمول على أنه أوتي به، ونوقش فاعترف، فكان داخلًا في باب الإقرار، وليس مجرد إخبار المقتول أن فلانًا قتله كافيًا، سواءٌ عند الموت، أو قبل ذلك، ويشترطون أن يكون الشاهد عدلًا؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ﴾، وقوله: ﴿ممن ترضون من الشهداء أن تضل أحداهما فتذكر إحداهما لأخرى﴾، وقد نقلوا عن عامة العلماء على أن شهادة الفاسق لا تقبل، وعلى ذلك قضاة المسلمين، ومما تذاكرناه من النكت التي تحصل عند المحاكم: شهد على شخص، فقال المشهود عليه: هذا شهادته ما تصح، قالوا: لماذا؟ قال: لأنه يسرق فراش المسجد، فكيف تقبل شهادة السارق عليّ، وهو مخروم العدالة فاسق، فقال القاضي: أأنت تسرق فراش المسجد؟ قال: والله، ما أسرق فراش المسجد، وما قد دخلت المسجد، فقال له القاضي: من باب أولى أن ترد شهادتك؛ لأنك ما تصلي في جماعة.

هذا، وشهادة الكافر لا تجوز إلا في أمور محدودة بشروط معروفة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، من المسلمين، واشترط في المسلمين العدالة، قال تعالى: ﴿أو آخران من غيركم﴾، أي: من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ * فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرَانِ يِقُومَانُ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٦-١٠٧]، فهذه الآية تثبت شهادة الكتابي في السفر وهو ليس بعدل بخمس شروط:

١ – أن يكون في السفر.

٢ – أن تكون في الوصية.

٣ – عند عدم وجود مسلمين، قال تعالى: ﴿منكم أو آخران من غيركم﴾.

٤ – أنهما يشهدان ويقيمان ما يكفي الشهادة فقط.

٥ – إن عُثر منهما ريبة أتى ولي تلك الوصية فيقسم بالله ما كذب، وترد شهادة الكتابيين.

فهذه خمسة شروط تشترط في شهادة الكتابي، وإلا فهو غير عدل باتفاق، ومعنى قوله: «**لادّعى رجالٌ أموالَ قوم ودماءهم**»، معناه: يأتي شخص ويقول:

هذا الكتاب لي، هذه دعوى لابد لها من بينة، إِنْ أَقَرَّ المُدَّعَى عليه بذلك، وإلا لابد عليها من بينة، وكذلك «**ودماءهم**»، يدعي أنَّ فلاناً قتل ولده، فهذا معناه سيهدر دمه، قال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾، فهذا معنى قوله: «**لادَّعَى أناسٌ أموالَ قومٍ ودماءهم**»، ورُبَّ إنسان يأتي إلى المحكمة فيشاجر في أرض كذا وكذا أنها له، وهو يدعى مالاً لا يكون له -مال آخرين-، فلولا البراهين؛ لذهب ماله، ومسألة القسامة تُشْكِلُ على هذا الحديث، وعليها جمهور العلماء، وهذا الحديث مقدم عليها فيما ذكر الإمام الشوكاني وآخرون من أهل العلم، ومسألة شهادة المرأة على طُهرها، أنها طَهُرَتْ في يوم كذا وكذا مقبولة، فعلى ذلك تنبني أحكام، فربما عقدوا بها قبل طُهْرِهَا، فلا يصح العقد؛ فإن أخبرت أنها طهرت في يوم كذا وكذا، صَحَّ العقد، ولهذا نظائر وتنبني أحكام كثيرة على هذه المسألة.

الحديث الرابع والثلاثون

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ كِلَاهُمَا عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ -وَهَذَا حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ- قَالَ: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**».

ومروان كان يقدم خطبة العيد، -وهي عبارة عن موعظة- حتى من أراد أن يسمعها يسمعها، ومن أراد ينصرف فله أن ينصرف، كان يقدمها من أجل أن الناس ينتظرون الصلاة لِزَامًا؛ لأن صلاة العيد واجبة على قول الظاهرية وهو الصحيح للأمر بها، فيسمعون ذلك السب في الصحابة، ولو أنه صلى وقام يخطب ويسب آل البيت لانصرفوا وتركوه، فلهذا قدم الخطبة حتى يسمعوا، ثم بعد ذلك يصلي بهم، فهو أول من أحدث إخراج المنبر أخرجه له كثير بن الصلت، وخطب على المنبر للعيد، وهو أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة، وعلى هذا فإخراج المنبر إلى المصلى للعيد والخطبة عليه من المحدثات، مخالف لهدي رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- وقد جاء في بعض طرق الحديث أن أبا سعيد رَضِيَ اللهُ عَنهُ

خرج مخاصرًا لمروان -يعني بجانبه- فلما قرب من المنبر أراد أن يصعد، فجذبه أبو سعيد، فقال: إنه قد ذهب ما تعلم يا أبا سعيد، فقال: إِنَّ ما أعلم خيرٌ مما لا أعلم، وأبو سعيد في ذلك لم يخرج ولم يسبب ثورة، ولم يسبب فتنة، وإنما أراد أن يبين له السنة في هذا الأمر، عكس من إذا لم يرض من ولي الأمر شيئًا، وقال: الخروج الخروج، وبعض الناس يقيم الدنيا ويقعدها على شيء الواقع أنه لو أنكره سلم، «**فمن كره فقد برى ومن أنكر فقد سلم**».

وهذا الحديث فيه إنكار المنكر على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: إنكار المنكر باليد لمن استطاع إنكاره باليد، فهو واجب عليه؛ فإن لم يستطع إنكار باليد انتقل إلى:

المرتبة الثانية: وهي إنكاره باللسان، ولا يعذر إن كان قادرًا على الإنكار باللسان.

المرتبة الثالثة: إنكاره بالقلب ولا عذر لأحدٍ في ذلك؛ فإنَّ هذا شيءٌ خاصٌّ بالقلوب، فيمكن للمرأة أن تنكر هذا الشيء، وللضعيف، وللفقير، والمسكين، ولكل واحد أن ينكر هذا المنكر، ولا يعذر أحد في إنكار المنكر بقلبه، والمنكر تغييره على مراتب، فقد يكون تغيير المنكر يؤدي إلى أنكر، وفي هذه الحال لا يجوز تغييره؛ فإنه يؤدي إلى الضرر الأكبر.

وقد يؤدي إلى منكر مماثل، وهذا موضع اجتهاد، والصواب أنه أيضًا إنكاره في

هذه الحال تضييع جهود بعد تعب ومشقة، ويعود الأمر كما كان فلا فائدة فيه.

وبعض الناس يقول في هذا الحديث: إن تغيير المنكر باليد خاص بولي الأمر، وهذا فهمٌ ليس عليه دليل، فإذا تبرجت امرأتك تذهب إلى ولي الأمر، وتمسك على بوابته عند المحكمة، وتقول: يا ولي الأمر، امرأتي تبرجت ولم ترض أن تتحجب، فأنت بين أمرين: إما أن تلزمها «**كلكم راع ومسئول عن رعيته**»، وبين إن لم تطعك في ذلك واستمرت على معصية الله: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾، هذا ما هو صحيح، التغيير باللسان، قالوا: هو خاص بالوعاظ والخطباء، وهذا أيضًا ما هو خاص بهم، فالدين واجب الجميع، والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده...**».

فتغيير المنكر فيه خير كثير للمجتمع، أمة من بني إسرائيل لعنوا بعدم تغيير المنكر، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الذين كفرو من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون ن منكر فعلوه لبأس ما كانوا يفعلون﴾، وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٣ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ

عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾، فمسخهم الله قردة.

وقال تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾، فقد قرن الله الفلاح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾، فالله خول أولياء الأمور لهذا الشأن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من إقامة الحدود وأمن البلد والطرقات ورعاية مجتمعاتهم وهكذا كلكم راع

ومسئول عن رعيته، وقال عليه الصلاة والسلام كما في حديث ابن مسعود عند الإمام مسلم: «**ما من نبي إلا كان له حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان**».

وقال عبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما في الصحيحين: بايعنا رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان، وعلى أن نقول بالحق إنما كنا لا نخاف في الله الوقعة لائم -بايعهم على الحق وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي حديث النعمان عند البخاري، قال: قال رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : «**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا؛ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**»، فوالله، إن من أسباب نجاة المجتمعات وسير الأمم على الخير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمم المتقدمة قد حصل لها بعدم أمرهم بالمعروف ما تعلمون، وفي حديث أم سلمه قالت: قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : «**فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم، ولكن في رضي وتابع**» فلابد للمسلمين

أن يحتسبوا الأجر عند الله، وأن يقوموا بواجب إنكار المنكر بقدر ما يستطيعه، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ﴾، يرى من يدخل المسجد ونعلاه فيها أذى ينكر عليه وينصحه، وهذا من إنكار المنكر، ويذكر له حديث رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**إذا دخل أحدكم المسجد فلينظر في نعليه**»، ويرى رجلًا متشبهًا بالكفار فينصحه، ورجلًا حزبيًّا، أو حِلِّيقًا، أو مبتدعًا، كذلك ينصحه.

وأما قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾، فالجمع بينها وبين الأدلة التي تقدم ذكرها أنه إن قام بالواجب الذي عليه ولم يقبل منه، فبعد ذلك ليس عليه ضرر من معاصي غيره، فعليه نفسه، إذا قام بالواجب من الإنكار، ورأى الناس أعرضوا ولم يستجيبوا له فلا شيء عليه، يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾، ويقول: ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾، يقبل على شأنه ويقيم نفسه، يقول الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾، أما أن يستدل بالآية على أنه ما ينكر المنكر هذا باطل.

أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: يا أيها الناس، إنكم تقرءون هذه الآية وتحملونها على غير محملها، وإني سمعت رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ

وَسَلَم- يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه**»، وهذا حديث صحيح، الأمر بالمعروف يكون بدليله، وإلا فقد تظن المنكر معروفًا والمعروف منكرًا فتصير الأمور مخلّطة عليك.

وكما قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- عن القلب المنكوس: «**لا ينكر منكر ولا يعرف معروفًا إلا ما أشرب من هواه**»، فكم من الناس التبست عليهم الحزبية، والتبس عليهم الحق بالباطل، فالنصيحة النصيحة بالجد والاجتهاد في طلب العلم لاسيما وأنت داعي إلى الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وما أنا من المشركين﴾، والمقدسي ذكروا أن الوالي قال له: هؤلاء الناس كلهم على ضلالة وأنت على صواب؟ فقال له: نعم، هذا والله، لأنه متبصر بكتاب الله وسنة رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- حقٌّ، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ﴾، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾، وأبو إسماعيل الهروي قال: عُرِضْتُ على السيف خمس مرات لا يقال لي: ارجع عن دينك، وإنما يقال لي: اسكت عمَّن خالفك من أهل الأهواء، فأقول: لا، فهؤلاء كانوا على قناعة وهم عارفون بالمنكر والمعروف،

فهناك منكرات لا يعرفها إلا أهل العلم وطلابه، ومنكرات شهيرة يعرفها القاصي والداني، والصغير والكبير، وألَّفَ في ذلك النحاس رَحِمَهُ اللهُ كتابًا حافلاً في «تنبيه الغافلين»ويقول: إنه يجب على متعاطي الكؤوس أن ينكر بعضهم على بعض، أثموا على شرب الخمر وعلى عدم إنكار المنكر، يعني شَرَبَة الخمر، يكون آثمًا على شرب الخمر، وعلى عدم إنكار المنكر؛ لأنه منكر عند جميع المسلمين.

أما قول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- في الرجل الذي تندلق أقتاب بطنه: **«يقال مالك؟ قال: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»**، وقوله سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾، وقوله: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾، فهذه الأدلة فيها ذَمٌّ من يقول مالا يفعل، وهو آثم إلا أن الإثم يزداد عليه بعدم إنكار المنكر، فعلى هذا العاصي يجب أن ينكر على العصاة، الحزبي يجب عليه أن ينكر على الحربيين، والانتخابي يجب عليه أن ينكر على الانتخابيين، والصوفي يجب أن ينكر على الصوفيين، والشيعي يجب أن ينكر على الشيعيين، وإلا لأثموا؛ لأنهم ما أنكروا المنكر، كل صاحب منكر يجب عليه أن ينكر على غيره من أصحاب المنكر، وأصحاب براءة الذمة يجب أن يخطب بعضهم في بعض منكرين، كل واحد ينكر على الآخر، من أجل أن يخفَّ عليهم الإثم عند الله عز وجل.

الحديث الخامس والثلاثون

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ حَدَّثَنَا دَاوُدُ يَعْنِي ابْنَ قَيْسٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا**»، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**».

أول كلمة فيها النهي عن التحاسد، وذلك لأن الحسد يضر بالحاسد والمحسود، إذا أراد الله الضرر بالمحسود، قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾، إذا قدر الله الضرر من الحاسد قد يحصل منه الضرر، إما بالعين وإما بغير العين، فلهذا أمر الله نبيه أن يستعيذ من شر حاسد إذا حسد، ومن المعلوم

أن الله هو الذي قسم بين الناس أرزاقهم، وأموالهم، وأخلاقهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾، وقال الله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾، وقال: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾، وإن من أشد ما ابتلى الله به اليهود هو الحسد، فبسببه لم يسلم كثير منهم، كما قال سبحانه: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ﴾، وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم من بعد ما تبين لهم الحق﴾، وقال تعالى: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾، ووقع إخوة يوسف في تلك المعصية بسبب الحسد، قال تعالى: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم

وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ كما ذكر الله سبحانه في سورة يوسف، ولهذا يقول أهل العلم: إنهم ليسوا بأنبياء، فالأنبياء معصومون أن تحصل منهم هذه الكبائر، يطلبون من أبيهم أن يأمنهم، والواقع أن ذلك كان منهم مكرًا بيوسف عليه الصلاة والسلام كما ذكر الله في سورة يوسف، وسورة يوسف من أولها إلى آخرها في هذه القصة.

وهكذا ابن آدم الأوّل يقتل أخاه بسبب الحسد، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾، واليهود عاندوا الحق، وأبوا الحق بسبب الحسد دفعهم هذا الحسد إلى دفع الحق، بسبب حسدهم لمحمد -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم، يعرفون أنه نبي وأنه مرسل من عند الله، فالحسد ضارٌّ بصاحبة جدًّا، يحصل له الإثم، ويحصل له الألم، الحاسد يتألم ويحترق، وكما قال بعضهم:

اصبر على الحاقد السفيه فكل ما قال فهو فيه
ما ضر نهر الفرات يومًا أن جاء كلب فبادل فيه

وقال بعضهم:

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

فصحيح أنه يلتهب، ويبقى يحترق على شيء لا يستطيع أن يزيد فيه ولا ينقص إلا أن يقدر الله له ذلك، قال تعالى: ﴿قل إن الأمر كله لله﴾، وقال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، حارب نفسك بدفعها عن هذا الشر، مثل الحسد، والكبر، والغرور، والإعجاب، والكذب، وهذه كلها معاصي يجب على المسلم أن يحارب نفسه عنها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾، من هذه الأمراض كلها، ويقيه شر نفسه، وينصره على نفسه، وعلى كيد الشيطان ومكره، قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، وقال: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل

لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ﴾.

وقوله: «**ولا تناجشوا**»، النجش هو أن يزيد في ثمن سلعة لا يريد شراءها، فيحصل الغبن على المشتري، والتغرير بالبائع، من أجل أن يقول: قد أُعْطِيْتُ كذا، فيبقى ما سكًا على سلعته ولا يبيعها بالثمن الذي قد رضيها هو، إما بالتغرير بالمشتري، وهذا هو الغالب، وإما بالتغرير على البائع، وهذا لا يجوز، النجش تغرير وغش، الناجش آكل الربا، كما مر بنا في الصحيح، فعلى هذا نهى النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- عن النجش في حديث ابن عمر وغيره، ومما يسببه ذلك النجش إيغار صدور البائع والمشتري، وكذلك أخذ مال المسلم بغير حق، والاحتيال على بيع المسلم بغير حق، وكل ما نهى الله عنه من المناهي، كل ذلك المصلحة تعود على الإنسان.

وقوله: «**ولا تباغضوا**»، من البغضاء، وهو أن يبغض الإنسان أخاه المسلم الذي لا يستحق البغضاء لا لكفر ولا لبدعة، ولا لمعصية.

والمؤمنون مأمورون بالتحاب، وبالتآخي، وبالتواصي بالحق وبالصبر، والتناصح، وبالتعاون على البر والتقوى، ومن كان على فجور وعلى باطل فنصره دفعه عن ذلك الفجور والباطل، وهذا من التعاون معه، وليس من التعاون معه تأييده على منكره وباطله، بل هذا غشٌ وخيانة، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، أنت تحب لنفسك

الخير والاستقامة، فحب لأخيك كذلك الخير والاستقامة، والسنة، وأسباب دخول الجنة، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»، قالوا: يا رسول الله، نصره إذا كان مظلومًا، فكيف إذا كان ظالمًا؟ قال: «**تحجزه عن الظلم؛ فإن ذلك نصره**».

وقليل من يعمل بهذه الأدلة الآن في موضعها، وإلا فالكثير حاله يكون كما قيل:

وبت أساقي القوم إخوتي الذي غوايتهم غيبي ورشدهُم رشدي

الحزبي ينصر الحزبي، والتكفيري ينصر التكفيري، والصوفي ينصر الصوفي، والشيعي ينصر الشيعي، ولا يتناصرون على دفع المنكرات وهكذا سائر أهل الباطل.

قوله: «**ولا تدابروا**»، ما هناك داعي للتدابر بين المسلمين ما داموا على استقامة، على كتاب الله وسنة رسوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، ما يجوز «**يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**إذا هجر أحدكم أخاه سنة كان كسفك دمه**»، وقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**ترفع الأعمال كل اثنين وخميس إلا عمل اثنين بينهما شحناء، يقال: أنظرا هذين حتى يصطلحا**».

وهجر أهل الأهواء مشروع، وأهل المعاصي كلٌ بحسبه، فقد هجر رسول الله

-صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وليس منهم أحد مبتدع، ولكن بحسب ما حصل منهم من التخلف غزوة تبوك، وهجر عبدالله بن مغفل بعض أقاربه، وهجر أبو قتادة كعب بن مالك وهو من أقاربه، وهجر الصحابة رضي الله عنهم أهل الأهواء، وقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»، ولا يجوز للمسلم أن يسعى في أسباب التحابب بينه وبين من لا تجوز محبته، فالذي ما يجمع بين الأدلة يأخذ جانبًا ويترك جانبًا.

والخوارج ضلوا من هذا الباب، أخذوا بأدلة الوعيد وتركوا أدلة الرجاء.

والمرجئة هلكوا من هذا الباب، أخذوا أدلة الرجاء وتركوا أدلة الوعيد، وهكذا القدرية، والجبرية، والناصبة، والرافضة، كُلُّ فرقةٍ تأخذُ بجانبٍ وتترك الجانبَ الآخر.

وفي المقابل أيضًا أصحاب الهجر، والمانعون من الهجر، فالهجر ما هو على إطلاقه، والمنع منه ما هو على إطلاقه، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾، والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»، وَشَبَّكَ بين أصابعه، وقال: «**مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»، وإنما يلجأ

أهل السنة لهجر أهل البدع إلجاءً حتى لا يغتر بهم الناس فيتبعونهم على باطلهم، وفيه نفع أيضًا للمبتدع، فلعله ينزجر عن بدعته.

أهل المعاصي الهجر لهم علاج، وما يجوز هجر الأبوين، أو أحدهما، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾.

قوله: «**ولا تدابروا**»، معناه: تولية الدبر، تعرض عنه ولا تلقي له بالاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾.

فمن توفيق الله للعبد أن ينزل الأدلة في منزلها بحسب فهم السلف رضوان الله عليهم، وما يأخذ دليلاً ويترك دليلاً.

قوله: «**ولا يبع بعضكم على بيع بعض**»، وهذه لها معانٍ، من معانيها: أنه يجد من يبيع سلعته، فيقول للمشتري: هذا غَبَنَكَ، عندي نفس السلعة بأنقص سعرًا، افسخ هذا البيع وأنا أبيع منك نفس هذه السلعة بنقص كذا وكذا، وفي المقابل لا يجوز له أن يشتري على شراء أخيه؛ فإن الحديث عام، يطلق على البيع وعلى الشراء، كأن يشتري إنسان من إنسان سلعةً، فيأتي آخر ويقول: هذا غَبَنَكَ في الشراء، افسخ البيع وأنا أتري منك هذه السلعة بأكثر ثمنًا، ونهي أيضًا عن السَّوْم على سوم أخيه، لا يسوم على سوم أخيه، يعني: يراه يبايع في سلعة، وما زال يحاور معه، ثم يقول: أنا أزيدك على ما دفع، إلا إذا حصل أن أحد المتساومين ما قبل البيع فله ذلك، وبيع المزايدة مشروع ومتفق عليه بين المسلمين، فالبائع ما يزال يطلب مزيدًا في سلعته

حتى يصل إلى مطلوبه، وما زال المشتري يحاول المناقصة في السلعة حتى يصل إلى مطلوبة أو حتى يستقر السعر.

وهذا الحديث كله في حقوق المسلم من حيث التآخي والمعاملات، «**وكونوا عباد الله إخوانا**»، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وقال: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾، فانظر على نعمة ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعًا﴾ ما تستطيع أن تؤلف بين رجل وامرأته، ولا بين الأخ وأخيه، ولا بين الجار وجاره، والله قد أَلَّفَ بينهم، فهذه نعمة عظيمة يجب على المسلمين أن يحافظوا على هذه النعمة كما أخبر الله وأمر بذلك، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾، إخوانا بنعمة الله، وإلا فهذا من المشرق وهذا من المغرب، وهذا أعجمي وهذا عربي، لولا نعمة الله ما حصل التآخي.

والله، إن الإنسان ليحب الصالح أكثر مما يحب أقرب قريب إليه من العصاة، هذه كلها من نعمة الله عليك، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»، وقال: «**ثلاث من كن فيه وجدبهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب**

المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»، متفق عليه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وقال الله تعالى: «**وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتباذلين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، وللمتزاورين فيَّ**»، وقال: ﴿إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم﴾، وقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»، وقال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، وقال: «**مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»، متفق عليه من حديث النعمان، والأول قبله عن أبي موسى، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»، أنت في ظل عرش الله ما دمت تحب في الله عز وجل، لا لدنيا، ولا لمطامع، وإنما أخوة في الله، والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يقول: «**والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»، رواه مسلم عن أبي هريرة، ما يحصل اجتماع على الحق إلا بالاعتصام على الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، ولا يصلح اجتماع محق ومبطل أبدًا، لا يصلح اجتماعهم

ولفلفتهم، صوفي وسني، وشيعي وسني، وحزبي وسني، وقبل ذلك يهودي وسني، ونصراني وسني، يصلح هذا؟ أبدًا، أين الولاء، وأين البراء من أهل الباطل؟ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾، فالشاهد من هذا أن القلوب تجتمع على طاعة الله، أما دعوة بعض الناس إلى محبة كل من قال: لا إله إلا الله، على ما فيه من الضلال، وإلى محبة النصارى، أو إلى محبة اليهود، فهذه دعوى بائرة مرفوضة يردها الكتاب والسنة، الحب في الله والبغض في الله والتآخي أمر مطلوب، يجب أن يُدعى جميع الناس إليه، فالذي يقول: إن أهل السنة لا يدعون إلى التآخي وإلى التحابب يَكْذِبُ عليهم والله، فإننا ندعوهم إلى التآخي حقيقة، وللاعتصام حقيقة، وللائتلاف حقيقة، فهؤلاء يغالطون أنفسهم.

قوله: «ولا يظلمه»، حتى وإن كان عنده معاصي، أو بدع ما يجوز ظلمه، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: « **اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم**»، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**من كانت له مظلمة عند أخيه فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم**»، وهذا في «الصحيح عن أبي هريرة.

وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء**»، وقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين**»، وقال: «**إن دمائكم، وأموالكم، وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم**»، وفي «الصحيحين عن أبي موسى قال: إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾، ومن وصايا رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- لمعاذ حين بعثه: «**واتق دعوة المظلوم؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**».

قوله: «**ولا يخذله**»، ونعوذ بالله من التخاذل يا إخوان، فوالله، إن التخاذل كما يقال:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً   على النفس من وقع الحسام المهند

قوله: «**ولا يحقره**»، «**ولا يسلمه**» في رواية أخرى وليس في هذا الحديث: يسلمه، أي: إلى الأعداء وإلى الكفار، هذا لا يجوز، فقوله: «**ولا يحقره**»، ما دام من أهل الحق، ومن أهل السنة هو أَهْلٌ أن يُجَلَّ، عربي أو عجمي، فلا يحقر، يحقر أهل الأهواء، فقد قال سفيان بن عيينه لبشر المريسي: يا دويبة، أما تقرأ قول الله عز وجل: ﴿ ألا له الخلق والأمر﴾، هذا تحقير له، وقال أبوطاهر السلفي رَحِمَهُ اللهُ:

وأتباع ابن كلاب كلابٌ   على التحقيق هم من شر آل

وله في تلك القصيدة نظير هذا، وقال الله تعالى: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين﴾، وقال: ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذله﴾.

وهذا عليه أدلته من الكتاب والسنة، ومن فهم السلف رضوان الله عليهم، وما كانوا يحسبون لأهل الباطل حسابًا، وقال شيخنا رَحِمَهُ اللهُ: اركضوا أهل الأهواء بأرجلكم وامشوا.

فاليهودي يحقر أكثر، وهكذا الصوفي على ما عنده من البدع، والشيعي على قدر ما عنده من البدع، يحقَّرُون ولا يرفع لهم قدر، والله عز وجل يقول لنوح عليه السلام: ﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾، وهو ولده، ويقول: ﴿وضرب الله مثلا للذين كفروا وامرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شئيًا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾، ولما قال المنافقون: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ قال الله: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يفقهون﴾، وفي الآية التي بعدها: ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾، وفي سورة التوبة من التحقير لهم ما تعلمون، قال ابن عباس: ما زال الله يقول: ومنهم، ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى منهم أحد، وقال بعض أصحاب النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- لابن سلول: والله، لروث حمار النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- أطيب ريحًا

منك، فتحقير أهل الباطل أمرٌ مقصود شرعًا، وكلٌ بحسبه، ولما سأل رجلٌ الإمامَ مالكًا عن الكيف؟ قال: مالك، الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه، وما أراك إلا مبتدعًا، أخرجوا هذا المبتدع.

وقوله في هذا الحديث: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»، من أهل العلم من يرى أنه يجوز البيع على بيع الكافر، قال هذا الإمام أحمد، والكثير يرون أن الكافر لا يباع على بيعه، هذا قول الأكثرين دِرءًا للفتنة، ودرءًا لحصول الشغب إن كان يؤدي إلى الشغب وليس له حرمة، أما المسلم لا يباع على بيعه، ودم المسلم، ومال المسلم، وعرض المسلم كله حرام، أعراض المسلمين الأصل فيها الحرمة، وإنما لا يخرج عن هذا الأصل إلا ما خرج بدليل، مثل أن يكون غاشًّا، أو يكون مبتدعًا، فلأدلةٍ أخرى، منها قول الله تعالى: ﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾ نعم، الدين النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأدله الجرح والتعديل، وأدلة بيان حال المنافقين، وبيان حال الكافرين وحال الفاسقين من القرآن والسنة ما لا يتسع الوقت لذكره، ذكرنا منها في مقدمة «الطبقات» نبذة يسيرة مع نقل الإجماع في ذلك.

الحديث السادس والثلاثون

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى، قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**». انفرد به مسلم.

وقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**من نفس عن مؤمن كربة**»، مفهومه: أن التنفيس عن الكافر ليس فيه أجر، وأن حديث: «**في كل كبد رطب أجر**» عام مخصوص، وإنما ينفس عن المؤمن، «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا**»، والتنفيس أخص من التفريج، فالتفريج أعم معناه: أنه يكون ضيق النفس في بعض الهموم والغموم، فينفس عنه بما يبعد عنه ذلك الغم، فيتنفس، كما يكون

الإنسان مكظومًا ثم يتنفس ويستريح، أما التفريج فهو أوسع، يذهب عنه الغم الذي كان عليه، ما هو مجرد تنفيس، بل كشف عنه غمه كله.

وسواء كانت هذه الكربة في دين، أو كانت هذه الكربة في مرض، وأنت أعنته على علاجه، أو كانت هذه الكربة في مصيبة أصابته وأنت تسليه، أو كانت هذه الكربة في الوضع مما عليه من الدين، كما قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**من أنظر معسرًا، أو وضع عنه أظله في ظله**»، تنفيس الكربات حتى بالتبشير، إذا بشر الإنسان أخاه وأدخل عليه السرور بشرى صحيحة ما يكذب عليه يؤجر على ذلك، وقد استبق أبو بكر وعمر إلى تبشير ابن مسعود لما قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**سل تعطه، سل تعطه**» لما يعرفون من فضل التبشير، فالمؤمن يعطف على أخيه إن رأى عنده كربة يحاول تنفيسها، ومن لا يرحم لا يُرحم، النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قَبَّل الحسن وعنده الأقرع، فقال: لي عشرة من الولد ما قبلت أحدًا منهم، فقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**من لا يرحم لا يُرحم**»، وفي حديث عائشة في قصة الأعرابي: «**أو أملك أن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة**»، قالوا: إنكم تقبلون صبيانكم لكننا ما نقبل صبياننا، الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، حديث هشام بن حكيم بن حزام عند مسلم أنه مر على أناس وهو يصب عليهما الزيت ويوقفون في الشمس، فأنكر عليهم هذا، وقال: إني سمعت رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يقول: «**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا**»، حتى زيارة الأخ

يكون وحيدًا مستغربًا مضطهدًا، تنفس عليه مما يحصل له من الغم من قبيل أهل الأهواء، وتنفس عنه مما هو فيه من الواحد، وكذلك المريض إذا عدته في مرضه يفرح بذلك، ويعرف هذا الفضل لك، ورب إنسان لا يتوب إلا في حالة مرضه، يعتبر هذا أيضًا من التفريج عنه.

قوله: «**من يسر على معسرٍ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة**»، يسر على معسرٍ، سواء بزواج، أو معسرٍ في دين، قال تعالى: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظره إلى ميسرة﴾، لا يجوز التضييق على المعسر، والتوسيع عليه من أفضل القربات، وإنما مطالبة المتمرد؛ لحديث: «**مطل الغني ظلم وإذا أتبع أحدكم على مَلِيءٍ فليتبع**»، أما المعسر فلا يجوز التضييق عليه.

قوله: «**ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**»، ما أكثر ذنوبنا، قال بعض السلف: لو كان للذنوب رائحة ما استطاع أحدٌ أن يجلس إلى جانبي.

ولولا ستر الله على العبد، ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدًا﴾، نسأل الله العافية، من هتك الله ستره فُضح، وقد قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الأيمان إلى قلبه، لا تتبعوا عورات المسلمين ولا تعيروهم؛ فإن من تتبع عورة مسلم تتبع الله عورته، فيفضحه ولو في جوف رحله**»، جاء من حديث ابن عمر وجماعة وهو في «الصحيح المسند».

ومن تتبع عورات المسلمين التجسس عليهم، والله عز وجل يقول: ﴿ولا

تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا﴾، إنما تجسس في عهد النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- على الكفار، أما هؤلاء يتتبعون عثرات المسلمين وعورات المسلمين، وربما جعلوا الإنسان جاسوسًا على امرأته، وامرأته تتجسس عليه، أو ابنه يتجسس عليه، أو جعلوا عنده بعض الشبكات في بيته تأخذ كل صغيرة وكبيرة، أشياء في بيته ما يراها، ربما بعض الأسلاك وهي تأخذ عنه وتلقي كل ما يقوله ويفعله، وهذا لا يجوز، «**ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**»، ومسألة الستر جانب، ومسألة الكشف عن أهل الباطل وبيان سبيل المجرمين وأهل الأهواء جانب آخر، هذا حث النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- على الستر فيه فيما فيه الستر، وحث في أدلة أخرى على بيان سبيل أهل الباطل، فتوضع الأدلة في مواضعها.

قوله: «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»، إن من أفضل ما يُعان عليه الناس الآن، وينصر عليه الناس رفع الجهل عنهم، ورفع البدع عنهم، ورفع التحزب عنهم، ورفع الفتن عنهم، بعضهم ما عرف أضرارها، فالسني يتكلم رحمة بالعامة الذين غُشوا وخُدعوا، وهم يتنكرون له، ويقدحون فيه، ويحثهم على طلب العلم رحمةً بهم، مع أن الله يقول: ﴿فلا تذهب عليهم حسرات﴾، ويقول: ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾، وهكذا يحثهم على التمسك بالسنة رحمةً بهم، فالنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾، ولنا فيه أسوة حسنة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، إن علَّمْتَ، أو فَقَّهْتَ، أو دَعَوْتَ إلى الله، أو بَصَّرْتَ بالسنة، أو أعنته حتى في حمله على دابته ترفعه عليها، أو ترفع له متاعه

عليها، أو تدُلّه على طريق، أو توجهه على ما ينفعه في دنيا أو دين، فالله في عونك بحسب ما أعنته به.

قوله: «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة**»، وهذا اللفظ يشمل معنيين:

المعنى الأول: أنه إن سلك طريق العلم وجدَّ في ذلك الطريق بصدقٍ وبإخلاص؛ فإن الله يمنّ عليه بالعلم، قال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾،وقال في الحديث القدسي: «**من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**»، وقال: ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم ويغفر لكم﴾، إذا علم الله صدقه منَّ عليه بالعلم، والعلم طريق الجنة، هذا أحد معاني الحديث: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به**»، أي: بهذا السلوك وبهذا الطريق طريقًا إلى الجنة، قال تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾، وقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾، وقال سبحانه: ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾، فكل من سلك العلم لله سبحانه وتعالى منَّ الله عليه بالعلم، وبالهداية، والعمل به وهذا من طريق الجنة، والمقصود بالعلم هنا علم الكتاب والسنة، ما هو المقصود علم الدنيا، وقد ذَمَّ الله الكفار على شغلهم بعلم الدنيا، فالمقصود به هنا العلم الذي تنتفع وتنفع به في دينك.

المعنى الثاني: أنه إن سلكه لله سبحانه وتعالى، وفتح الله عليه به، من حيث

يُسهّل عليه السؤال في القبر، ويسهل عليه أخذ كتابه بيمنه، ويسهل عليه أمور الآخرة.

في سائر الأمور التي الناس فيها في ضيق وحرج، وفي كرب، مثل الموقف، يأتون إلى الأنبياء من آدم إلى نوح إلى محمد -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، وكلهم يشكون كربهم، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما وقع بنا؟ فيصابون من الهم ما لله به عليم، كما في حديث أبي هريرة في حديث الشفاعة الطويل، وهو مذكور في «صحيح البخاري عند قول الله عز وجل: ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا﴾، وذلك الذي سلك طريق العلم في نجاة من ذلك.

والويل كل الويل لمن سلك طريق العلم لغير وجه الله، يدخل تحت حديث أبي هريرة في الذين تسعر بهم النار يوم القيامة، ومنهم: «**رجل قرأ القرآن وعلمه فيؤتي به فيعرفه الله نعمه، فيقول: ماذا عملت فيها؟ فيقول: قرأت فيك القرآن، وعلمت فيك القرآن، فيقال: كذبت، فإنما تعلمت وقرأت ليقال عالم فقد قيل، ثم يؤمر به فيسحب على وجهه في النار**».

وهكذا المجاهد، وهكذا المتصدق، ومن هذا الباب قول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**»، يجعل سمعته شينه، ما هي زينه، بعكس ما يريد، يريد أن يشتهر بالشهرة الطيبة، تنقلب عليه الحال، ينقلب عليه قصده ويفضحه الله، يريد أيضًا أن يرائي الناس بعلمه، فيبغضه الناس، وهو يريد أن يُحب، والله المستعان، وسواء سلك طريقًا يدرس فيها العقيدة

الصحيحة، أو يحفظ القرآن، أو طريق السؤال عن العلم، أو طريق يدرس في حلقات الذكر، أو طريق البحث، أي طريق يسلكها يتحصل على علمٍ فيها فهو سالك لطريق الجنة.

قوله: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»، هذه أربع صفات لا تتوفر إلا فيمن جلس في مثل هذه المجالس في بيت من بيوت الله، والمقصود ببيوت الله المساجد، وإلا فكل الأرض أرض الله، ولكن المقصود بها المساجد، قال تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾، «**أحب البقاع إلى الله مساجدها**»، «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم**»، وهذا يشمل تلاوته، وفهمه، وتدريسه، وتدبره،... الخ ذلك مما يشمل علوم القرآن الكثيرة، فالذي عليه -بحمد الله- أهل السنة داخل في هذا الحديث، نسأل الله من فضله. «**إلا نزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، وغشيتهم الرحمة**»، وتعرفون حديث أبي هريرة في الملائكة الطوافين يلتمسون حلق الذكر، فإذا وجدوا مجلس ذكر يتنادوا هلم إلى بغيتكم، ومن الأدلة: حديث أبي واقد الليثي المتفق عليه، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كان جالس في حلقة في المسجد، فجاء رجل فوجد فرجة فقعد فيها...، وذكر الحديث إلى قوله: «**أما أحدهما فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله**

عنه»، «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله»** لا على رقص، ولا على دفوف، ولا على أغاني، ولا على السمر كما يفعل ضلال الصوفية.

الحديث السابع والثلاثون

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا جَعْدُ بْنُ دِينَارٍ أَبُو عُثْمَانَ حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً؛ فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً؛ فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**».

﴿إليه يصعد الكلم الطيب العمل الصالح يرفعه﴾، «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا»، في باب السيئة قال: «**كتبها الله سيئة**»، ولم يقل عنده: الحديث متفق عليه.

وفي هذا الحديث فضل من الله عز وجل على المسلم من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن الحسنة بعشر حسنات، قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾، أي: حسنة يعملها الإنسان عليها عشر حسنات، الحسنة بعشر، وفي حديث أبي ذر: «**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فسيئة مثلها أو أغفر**» حديث قدسي، فالحسنة عشر أمثالها، لكل عامل حسنة، وأما ما زاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة فهذا تحت المشيئة، قد يضاعف لهذا

ولا يضاعف لهذا، قال تعالى: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾، وقال: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء﴾، فدل على أن الزيادة على عشر تحت مشيئة الله عز وجل والعشر حاصلة لكل مسلم عمل حسنةً أراد بها وجه الله عز وجل.

وقال رجل كما في حديث ابن مسعود: يا رسول الله، جعلت هذه الناقة المخطومة في سبيل الله، قال: «**لك بها سبعمائة ناقة**»، أي: إنها ضوعفت له يوم القيامة.

الوجه الثاني: مع أن الحسنة بعشر أمثالها، ويهم بالسيئة، وما يعملها تكتب له حسنة وما تكتب سيئة، وهذا من فضل الله عليه.

الوجه الثالث: ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبها عنده، الحسنات تكون عند الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾، والسيئة ما قال: عند الله، فهي معرضة للغفران ﴿تجدوه عند الله﴾ في حق الحسنات، وهذا الحديث شمل أربع حالات:

١ــ حالة الحسنة التي يعملها الإنسان، يعملها لله عز وجل تضاعف بعشر، وقد يضاعفها الله عز وجل.

٢ــ وحالة الحسنة التي يهم بها الإنسان ولم يعملها، وهذه مكتوبة، ولكن الذي يعملها أفضل، الذي يعمل الحسنة أفضل من التي يكتبها منّةً منه وفضل منه؛

لأنها ما تكون بعشر تكون حسنة واحدة.

٣- وحالة السيئة التي يهم بها الإنسان وما عملها خوفًا من جزاء الله عز وجل، كما جاء في الحديث: «**إنما ترك ذلك من جرائي**»، فهذا مأجور عليها كما في حديث الثلاثة أصحاب الغار الذي فيه أن أحدهم قال: «**اللهم، كانت لي بنت عم أعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها حتى قعدت بين رجليها**»، وفي رواية: «**حتى قعدت منها مقعد الرجل من امرأته، قالت: اتق الله ولا تقض الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها وهي أحب النساء إلي، اللهم، إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون**».

٤- الحالة الرابعة: في حق من عمل سيئة من تكتب سيئة، قد قال بعضهم: الذي يهم بالسيئة أو بالحسنة ولم يعملها من المعلوم أن الملك هو الذي يكتب، قال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾، هو الذي يكتب، ملك يكتب الحسنات وملك يكتب السيئات، فهل هو يطلع على ما همَّ به الإنسان؟ الجواب: شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ- قال: لا مانع أن يطلع الله عز وجل ملائكته على ما يهم به الإنسان لكتابة ذلك، وقال بعضهم: إن الله يجعلها حسنة ظاهرة وسيئة ظاهرة يكتبها الملك، والقول الأول أقرب، الذي قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، أنه لا مانع أن يُطلع الله عز وجل ملكًا من الملائكة الموكلين بذلك على تلك الحسنة فيكتبها؛

لأنه موكل بها، وقد جاء عن ابن مسعود، ومما استدل به في الباب أيضًا أن الملائكة قد يطلعهم الله، الشيطان قد يوسوس في القلب، والملك تكون له على القلب خطرات حقٍّ وخير، كما قال ابن مسعود، وخطرات الشيطان خطرات سوء وفتنة، كل ذلك من الله عز وجل بتقديره.

قوله: «**من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة**»، هذا الهَمُّ ولم يعملها خوفًا من الله من أفضل القُرُبَاتِ، والدليل حديث الثلاثة أصحاب الغار، ومن هم بالسيئة وحرص عليها وحاول في الوصول إليها فهذا يسمى العزم المصمم؛ فإنه عليه وزر لحديث: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»، قالوا: يا رسول الله، أرأيت القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»، متفق عليه.

وإن هَمَّ بها وحيل بينه وبينها وتركها لرياء الناس، وليس لله سبحانه وتعالى، فهذا ما تركها لله وهو آثم على ريائه، فهاتان حالتان: همٌّ وعزم مصمم، فالعزم المصمم هو الذي عليه الإثم كما في حديث أبي بكرة: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما**»، والوسواس والخطرات، خطرات بالبال ليس على صاحبها إثم، قال تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا أن نسينا أو أخطأنا﴾، فلما نزلت الآية: ﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾، أتوا النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- وقالوا: كلفنا من الأعمال ما نطيق وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها -يعني العمل بها، أو ما نزلت به- فأنزل الله في إثرها: ﴿آمن

الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون لك أمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وغليك المصير﴾، فقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : «**اللهم، نعم**»، إلى آخر الآيات والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- يقول: «**اللهم، نعم**»، والله يقول: «**قد فعلت**»، فالشاهد من ذلك أن هذه الآية نُسخت بالحديث كما يقول بعض أهل العلم، وألّف الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ رسالة سماها «رفع الباس عن حديث النفس والهم والوسواس»معناه: أن الذي يحدث في النفس من الخطرات معفوٌّ عنه «**إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**»، سواء من طلاق، أو عتاق، أو نحو ذلك- يهم أنه يطلق امرأته ولا يطلق، ما عليه شيء، يهم أنه يعتق عبده وما يعتقه، ما عليه شيء، يهم أنه يزني مثلاً ولا يحصل ذلك منه ولم يكن عزمًا مصممًا، ما عليه شيء، يهم أنه يشرب خمر، مجرد هم أو خطرات في النفس، ولا يحصل عزم مصمم، ما عليه شيء، إنما الإثم على العزم المصمم، العزم الذي يكون مصممًا عليه ينطبق حديث أبي بكرة: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»، أما مجرد الوسواس فحديث أبي هريرة الذي في صحيح مسلم في نسخ الآية يدل على أن ما خطر بالبال من الوسواس معفوٌّ عنه.

أعمال القلوب عليها حسنات وعليها آثام، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : «**إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيرًا ولا قطعتهم واديًا إلا كانوا معكم حسبهم العذر**»، وفي رواية: «**المرض**»، فبالبنية الصادقة الخالصة كأنهم معه، وهم

مأجورون، والذي أراد قتل ذلك الرجل وحيل بينه وبينه مع العزم، آثم، والذي ترك تلك المرأة وهو يريدها خوفًا من الله مأجور، وكذلك مما يتعلق بالأعمال السيئة من كبر، وحقد، وخبث، وبغض للمؤمنين، ومحبة لأهل الباطل، الخوف أقسام، والمحبة أقسام المحبة، كل هذا في القلب، والرجاء، والنيات كل هذا مما يتعلق بأعمال القلوب، نسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه، وقد بسط الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ المسألة في كتابه المذكور آنفًا، وكذلك ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ، وهذا مختصر القول في هذه المسألة. اهـ

الحديث الثامن والثلاثون

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ قَالَ: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**».

انفرد به البخاري، والحديث صحيح كما ترى في «صحيح البخاري»، وقال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: لولا هيبة الصحيح لقلت إنه من مناكير خالد بن مخلد القطواني، لكنه من رواية خالد عن سليمان وهي أحسن من غيرها، ثم إن الحافظ ذكر له شواهد في «فتح الباري»، وعلى كلٍّ فالحديث ثابت في «صحيح البخاري لم ينتقده الحفَّاظ الذين تتبعوا وقصدوا الصحيح.

قوله: «من عادى إلي وليًّا فقد آذنته بالحرب»، هذا كلام الله عز وجل، فالحديث قدسي، وأنَّ من عادى وليًّا من أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، والولي

هو من ذكره الله عز وجل في كتابه، فقال: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾، فالولي لله هو المؤمن المتقي بنص القرآن، سواء كان أعجميًّا، أو عربيًّا، أو رجلًا، أو امرأة، أو حرًّا، أو عبدًا، ما دام مؤمنًا متقيًّا الله، فهو من أولياء الله، وقال: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾، وقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**إن بني فلان ليسوا بأولياء لي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين**»، فالمؤمن ولي الله، إذا عاداه أحد فقد حاربه الله عز وجل «**آذنته بالحرب**»، أي: أعلمته وأخبرته، من باب قوله تعالى: ﴿فأذنوا بحرب من الله﴾، وقبل هذا تعلم أن أذى المؤمن عظيم عند الله عز وجل، قال تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا نقد احتملوا بهتانًا وأثمًا مبينًا﴾، نظر ابن عمر إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك، ما يجوز أذى المؤمن حتى برائحة الثوم والبصل فضلًا عن الجرم والاعتداء والفتنة، قال تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا﴾، وقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**يا أبا بكر، لئن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك**»، لما مَرَّ أبو سفيان من عند جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، قالوا: ما أخذت سيوف الله من عدوها مأخذها، وأبو سفيان لم يسلم آنذاك، فقال: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فقال له النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**لئن**

كنت أغضبهم لقد أغضبت ربك»، أذى المؤمن محرم حتى بالتناجي؛ لحديث: «**لا يتناجى اثنان دون الآخر فإن ذلك يحزنه»**، التناجي يسبب الأذى عليه، ويدخل عليه الأذى منهي عنه، محرم، كل ما يؤذيه محرم سواء كان جارًا أو غير جار، ما دام مسلمًا بغير ذنب تؤذيه ما يجوز، وإنما إذا أوذي الإنسان بحيث أنه حصل منه ما يستدعي ذلك الأذى، قال تعالى: ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون وترجون من الله ما لا يرجو﴾، وقال تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنه أتصبرون وكان له ربك بصيرا﴾.

لا شك أنه يحصل لمن تتكلم فيه أذى ولكن أذى بحق، والأصل في المسلم حرمة دمه، وماله، وعرضه، هذا هو الأصل في المسلم: تحريم دمه، وماله، وعرضه، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»، ولكن بأدلَّة أخرى يُتكلم فيمن أتى بما يغش به المسلمين، ويخون به المسلمين، من باب الجرح الذي قد أجمع عليه أهل العلم للنصيحة، وننبه على هذا كثيرًا من باب أن بعض الناس تلتبس عليه أدلة الجرح بأدلة حرمة عرض المسلم، فلا يجمع بينها، يأخذ بجانبٍ ويترك جانبًا وهذا خطأ.

واستدل بعض الحلولية بهذا الحديث: «**كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**»، ولا دلالة لهم في الحديث؛ لأن الحديث فيه إثبات عابد ومعبود، ومُتَقَرِّبٌ وَمُتَقَرَّبٌ إليه، وسائل ومسئول، ومستعيذ ومستعاذ به: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل، وما تقرب**

إلى عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه»، وهكذا نظير هذا قول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- في حديث أبي هريرة: «**إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**».

قوله: «**وما تقرب عبدي بشيء أحب إليّ ما افترضت عليه**»، معنى هذا أن أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله هي الفرائض، فالفرائض محبوبة إلى الله أكثر من النوافل، والفريضة يقال لها مستحب من هذا الباب، من حيث أن الله تعالى يحبها أكثر من غيرها من النوافل.

وعلى هذا فحديث أبي هريرة الذي فيه أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**صلاة الجماعة تفضل عن صلاة الرجل في سوقه وفي بيته بضعًا وعشرين درجة**»، ليس معناه أنه صارف للأدلة في وجوب صلاة الجماعة، فهي تفضل، وهي محبوبة إلى الله، وكل واجب أداؤه محبوب إلى الله.

قوله: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه**»، من صلاة، وصيام،

وحج، وعمرة، وغير ذلك مما هو نافلة ليس بواجب «**حتى أحبه**»، دَلَّ هذا على أن الأعمال الصالحة داخلة في مسمى الإيمان، وهي من أسباب محبة الله للعبد، قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾، ومن أسباب محبته، اتباع النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- من أفضل الأعمال، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾، من أسباب ذلك التواضع للمؤمن، أعزة على الكافرين أذلة على المؤمنين، هذا من أسباب محبه الله للعبد.

وقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»، متفق عليه من حديث أنس، وفيه صفة المحبة لله عز وجل الثابتة بالقرآن والسنة كما يليق بجلاله.

قوله: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به...**» إلى آخره، قال أهل العلم: يوفق الله هذه الجوارح فلا يبطش بها صاحبها إلا خيرًا، ولا يأكل إلا خيرًا، ولا يمشي إلا إلى خير، ولا ينظر إلا إلى خير... إلى آخره.

قوله: «**ولئن سألني لأعطينه**»، طاعة الله من أسباب استجابة الدعاء، ومعصية الله من أسباب منع استجابة الدعاء، كما روى الإمام مسلم في صحيحه في حديث

أبي هريرة: « **رب أشعث أغبر يطيل السفر، يمد يديه إلى السماء يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، وملبسة حرام، ومشربه حرام فأنى يستجاب له**»، والحديث قد سبق بيانه هنا، «**ولئن سألني لأعطينه**»، هذا دليل في أن دعاء المؤمن مستجاب، فإذا قلت للمؤمن في غير إلحاح: ادع لي، لا مانع من ذلك، لا مانع أن تقول للمؤمن: ادع لي، وكره بعض أهل العلم ذلك، وهو محمول على الإلحاح، أو التسول، ادع لي، ادع لي، فادع الله، قال تعالى: ﴿وقال ربكم أدعوني أستجب لكم﴾، أما أن تطلب منه يدعو الله لك لغمٍّ، أو لهمٍّ عليك من الأمراض، أو الأضرار أو نحو ذلك فجائز، وليس من باب طلب الرقية المكروهة؛ لأن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال لعمر: «**يقدم عليكم رجل من مراد، ثم من قرن به برص فبرئ منه إلا موضع درهم، له أمٌّ هو بها برٌّ، إن وجدته فأطلب منه يستغفر لك**»، ثبت هذا من قول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- كما ترى ومن فعله، أيضًا وتقريره، فِعْلُه أنه دعا لبعض الناس، ومن تقريره لمن طلب منه الدعاء.

وجبريل رقي النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- ، قال: «**يا محمد، اشتكيت**»، قال: «**بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفسٍ أو عين حاسد الله يشفيك**»، وفي هذا الحديث كما ترى أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- أثبت دعاء المؤمن: «**ولئن سألني لأعطينة ولئن استعاذني لأعيذنه**»، فعليك أن تستعيذ بالله من شرور الأنس والجن، والله يعيذك، قال تعالى: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾، وقال تعالى: ﴿إن وليي

الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾، وقال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾، وقال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾.

قوله: «**وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح المؤمن يكره الموت وأكره مساءته**»، ولا بد منه، فالحديث على ظاهره،ومن أهل العلم من ردَّ هذا الحديث لما فيه من إثبات التردد، وقال: التردد لا يكون إلا من إنسان لا يعرف عواقب الأمور، عواقب ما سيكون بعد ذلك، وهو ما هو صحيح، وشيخ الإسلام له كلام طيب على هذا بما معناه، وهكذا أيضًا بنحو هذا في «فتح الباري» فيما أذكر أن قبض روح المؤمن مستحب إلى الله من جانب، وليس مستحبًا إليه من جانب، مستحب إليه من حيث أنه قدر الموت والحياة، قال تعال: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾، ولأن المؤمن ما عند الله هو خير له، من هذا الجانب قبض روح المؤمن مستحب إلى الله.

ومن جانب أن المؤمن يحصل له شيء من التعب، ومن سكرات الموت يتأذى به، من هذه الحيثية مكروه إلى الله عز وجل، ما هو مستحب إلى الله من هذه الحيثية، ولهذا نظائر، فأنت مثلًا تشرب الدواء المُرَّ، وتكرهه، لكنه محبوب من حيث أنه

علاج لبعض الأمراض، ولهذا أمثلة، وانظر كلام شيخ الإسلام على هذا الحديث على إثبات صفة التردد لله عز وجل في قبض روح المؤمن كما هو ظاهر الحديث «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٢٩).

الحديث التاسع والثلاثون

قال الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُصَفَّى الْحِمْصِيُّ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي: الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**».

لفظ ابن ماجه: «**إن الله وضع عن أمتي الخطأ...**»، وهذا منكر جدًّا، وهو بلفظ: «**إن الله تجاوز لي...**» الخ، كما في «جامع العلوم والحكم» لابن رجب رَحِمَهُ اللهُ، ولكن الحكم ثابت من حديث أبي هريرة عند الإمام مسلم، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- لما نزل قول الله عز وجل: ﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾، أتى أصحاب النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- إليه وجثوا على الركب، وقالوا: كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصيام، والصدقة، والجهاد...، وذكروا من ذلك، ثم قالوا: وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها -يعني أنهم يحاسبون بما في أنفسهم- قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب: سمعنا وعصينا، بل قولوا سمعنا وأطعنا**» فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله نسخها: ﴿آمن الرسول صلى الله عليه وسلم بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا

غفرانك ربنا وإليك المصير*لا يكلف الله نفسًا إلى وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾، فقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : «**اللهم، نعم**»، فالشاهد من هذا الحديث أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**اللهم، نعم**».

وذلك الذي قال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**»، كما في حديث أنس، وهذا الكلام لو لم يكن خطأ هذا كفر، يقول لله عز وجل: أنت عبدي وأنا ربك! لكنه خطأ، والخطأ معفوٌّ عنه، ومسألة الخطأ والنسيان في هذا الحديث تبتني عليها أحكام معروفة: الخطأ فيما إذا قتل إنسانًا، يريد قتل الكافر، فوقع في إنسان خطأ، فإنه غير آثم على قتله الخطأ، وتلك الكفارة التي مترتبة على قتل الخطأ للتأديب، وإلا فالخطأ معفوٌّ عنه ربما يدحدر سيارته فيدوس ولده، وهو لا يريد أن يدوس ولده، فعليه الكفارة، فمثل هذا الكفارة للتأديب وليست مقابل خرم الأجل كما يقول المعتزلة والضلال من الروافض وأمثالهم، قال تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾، وقال: ﴿وما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلاً﴾، فما هي لخرم الأجل وإنما هي للتأديب، وشبه العمد ملحق بالخطأ، وقد قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- فيما يرويه عن ربه: «**يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم**»، ولم نذكر حديث: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخاطئين التوابون**»، لضعفه، وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿الذين يجتنون كبائر الإثم

والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة﴾، واللمم: هي الخطايا الصغائر، وقال تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنتهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريمًا﴾، فصاحب الخطايا الصغائر ومجتنب الكبائر هو الذي لا يرتكب الكبيرة ولا يصر على الصغيرة، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم**»، «**أذنب عبدي ذنبًا، فقال: يا رب، اغفر لي، قال: علم عبدي أن له ربًّا يأخذ الذنب فيغفر لهم...**» إلى آخر الحديث، وليس فيه التجرؤ على المعاصي وعلى الصغائر أبدًا، ولكن فيه سعة رحمة الله، وعفو الله سبحانه عن عبده إذا تاب إليه، قال تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾، وما يتعلق بقتل الخطأ قد ذكر الله كفارة ذلك في سورة النساء، قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأ ومن قتل خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا﴾، وذكر في الآية: الصيام، ولم يذكر الإطعام في هذه الآية في قتل الخطأ، واشترط الإيمان في الرقبة المعتوقة، ورأينا جماعة من أهل العلم يلحقون هذه الكفارة بغيرها قياسًا، يقولون: إن عجز عن الصيام وعن عتق الرقبة؛ فإنه يطعم قياسًا على الكفارات الأخرى، والوقوف عند الدليل أولى، قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾، وقال: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾، وبهذا كان يفتي الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، أنه ما هناك دليل على الإطعام في قتل الخطأ، وإنما الدليل فيها على العتق وعلى الصيام، قال تعالى: ﴿صيام شهرين متتابعين﴾.

قوله: «**والنسيان**»، رُبَّ إنسان نسي الوضوء ويصلي بغير وضوء، أو نسي المسح على الخفين أو على الجوربين بعد نهاية زمنها ويصلي بغير وضوء، فمثل هذا العلماء على أنه يعيد الوضوء والصلاة، ولو خرج وقت الصلاة؛ لأن نسيان الوضوء من جنس نسيان الصلاة، وقد قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- : «**من نام عن صلاته أو سها عنها فوقتها حين يذكرها**»، سواء سها عن وضوئها، أو سها عنها، تركها نسيانًا، وهو ما هو آثم، وأما قول الله عز وجل: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون﴾، هذا في حق المهملين، أما واحد يسهو بغير قصد؛ فإن شاء الله داخل تحت قول الله عز وجل: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾، وبقي أيضًا النسيان في الكلام، إذا تكلم في الصلاة نسيانًا، ترد عليه في الآية، فيقول لك: نعم، نعم، قد حصل هذا، أو يتكلم وهو ليس بمنتبه، صلاته صحيحة على الصحيح؛ فإن هذا كلام غير عمد، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**لست أخشى عليكم الخطأ وإنما أخش عليكم العمد**»، والناسي في صيامه، صائم ويشرب أو يأكل، وهو ناسي، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**من نسي فأكل وشرب وهو صائم فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه**»، النسيان في الجماع وهو صائم، من أهل العلم يقول: مثل هذا ما ينسى الإنسان فيه، كيف ينسى ويجامع؟ نقول: المسألة داخله تحت الدليل، إذا كان ناسيًا؛ فإنه ناسٍ وليس صومه بفاسد ولا عليه كفارة، قال تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾.

وهكذا إن نسي فجامع وهو محرم، فيه خلاف بين أهل العلم، هل يفسد صومه أم لا يفسد؟ الصحيح أنه لا يفسد لعموم الدليل المتقدم هنا، ويتفرع فيها في الوضوء والصلاة، والصيام وتأخير الزكاة عن وقتها، ومسائل كثيرة فيما يتعلق بالنسيان تدخل تحت قول الله تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾.

قوله: «**وما استكرهوا عليه**»، قال تعالى: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ الآية، فدلت الآية على أن من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان أنه ليس عليه إثم في ذلك، حتى ولو أكره على شيء في حق الله سبحانه وتعالى، من سب الله، أو الطعن في ذات الله عز وجل إكراهًا مُلجئًا؛ فإنه ليس عليه إثم في ذلك، إذا أكره على شيء بينه وبين الله، ونقلوا الإجماع على أنه إن أكره على شيء بينه وبين إنسان مثل قتل معصوم الدم، أنه لا يجوز له أن يقتل معصوم الدم، ولا كذلك يجوز له أن يزني، ومسألة الإكراه بحيث أنه يخاف على نفسه القتل، سيقتل، وهو أشد من الاضطرار، الإكراه أشد من الاضطرار، وفي مسألة الإكراه تفصيل أوسع من هذا من حيث أنه إن أُكره على شرب الخمر أو أُكره على أكل لحم الخنزير أو أُكره على أكل الميتة، أما بالنسبة لأكل الميتة ولحم الخنزير، فمثل هذا فيما يتعلق بينه وبين الله معفوٌّ عنه، وشرب الخمر يخشى منه على عواقب أنه ربما يشرب الخمر فيقتل معصوم الدم؛ فإن أمن من ذلك أنه ما سيقتل فله أن يشرب الخمر، إذا حصل على مستوى الإكراه، والله المستعان.

حاصله: أن الإكراه ينقسم إلى: مُلجئ وغير مُلجئ، والملجئ هو الملزم، يعني

الذي يكون القتل عليه حاصل إن لم يفعل ذلك.

فمن سيجيب على هذا السؤال؟ عند عبدالله بن عياش، ما حال قصة الذباب؟ الذي قالوا له: قرب، قال، ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله، فضربوا عنقه فدخل الجنة، وقالوا للآخر قرب، قال: ما عندي ما أقرب به، قالوا: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا، فخلوا سبيله، فدخل النار؟

الجواب: هي موقوفة على سلمان.

نعم، وليست ثابتة إلى النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-.

ومن وقع في محذور من محذورات الإحرام، ولو جامع وهو محرم، فليس عليه شيء لا كفارة ولا يفسد حجة، بينما لو جامع وهو محرم عمدًا فسد حجه وعليه الإتمام ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾، وعليه قضاء الحج من عامٍ قابل، وعليه بدنة -على الصحيح- إن كان قادرًا، أو شاة إن لم يقدر، وعليها أيضًا إن كانت مطاوعة، قلنا إن كان قادرًا؛ لقوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾، وقوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها﴾، وقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾، وقوله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-: «**وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**»..الخ، المسألة فيها آثار عن ابن عباس، وعن ابن عمر، ونقل الإجماع ابن المنذر، أن من أتى أهله وهو محرم فسد حجه.

واختلفوا: هل قبل الوقوف بعرفة أم هل حتى قبل طواف الإفاضة؟

والصحيح أنه قبل طواف الإفاضة، حتى وإن كان بعد الوقوف بعرفة، إنما قال الحنفية: إنه إن وقف بعرفة وأتى أهله بعد الوقوف فحجه صحيح وعليه دم، وهذا خطأ؛ فإن حَجَّهُ لم يتم، والحج عرفة، أي: أعظم الحج عرفة وليس كل الحج عرفة، فلو لم يطف طواف الإفاضة لما صح حَجُّهُ، فإذا أتى امرأته قبل طواف الإفاضة فسد حَجُّهُ، أما إن أتى أهله بعد التحلل الأول بعد الإفاضة، وقبل التحلل الثاني فهو آثم، وحجُّه صحيح، والجمهور يلزمونه بفدية، ولا دليل عن رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- على إلزامه بفدية في ذلك، وإنما إذا تعمَّد ذلك فعليه التوبة إلى الله عز وجل.

الحديث الأربعون

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهَّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْمُنْذِرِ الطُّفَاوِيُّ عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ قَالَ حَدَّثَنِي مُجَاهِدٌ عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.

الغريب يختلف عن المقيم، الغريب لا يعرف ما في الدار وما في البلد من الأمور التي تدور، فهو يحتاج أن يتوقى بأدبٍ، ويتوقى بحذرٍ، ويتوقى في ذلك البلد من حسن خلق مع أهل ذلك البلد حتى يألفوه... إلى غير ذلك، وعبور السبيل في السفر أهون من عبور السبيل إلى الدار الآخرة الذي عليه الإنسان؛ لأن المسافر قد يستريح، فالنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- أدركته القائلة في وادٍ كثير العضاه، فنزل هو وأصحابه، ونام وعلق سيفه في شجرة، واستراح ونام، فالمسافر قد يستريح، لكن هل المسافر إلى الآخرة يستريح؟ ولا لحظة واحدة، ما يستريح، يقول: خلاص هذه لا تحسب عليَّ، بل كل لحظة لن تعود، فهي مراحل تمشي ولن تعود أبدًا، ولا يمكن أن يقف دقيقة واحدة، فسفره من هذه الدنيا أعم من سفر المسافر الذي يقطع في مراحل الطريق، هل يمكن أن يعود يوم أمس؟ لا، لا يمكن

أن يعود ولو بملئ الدنيا كلها، ما يعود عليك، مضى بخيره وشره، فهي مراحل تطوى من سفر، وأيضًا مراحل جادَّة، سير حثيث.

قوله: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، «**أو**» هنا ما هي للتشكيك، منهم من يقول بمعنى: بل، ومنهم من يقول: هي للتنويع، والعابر السبيل والغريب بينهما عموم وخصوص، وإن كان الغريب قد يكون عابر سبيل وقد يكون أيضًا ماكثًا في ذلك الوقت عندهم في مكان، إنما استظل للراحة، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**مثلي في هذه الدنيا كمثل رجلٍ استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها**»، كذا قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ، وكان قد اضطجع على حصيرًا أثر في جنبه، فكلمه عمر في هذا لما دخل عليه في تلك المشربة، وأن قيصر وكسرى يتمتعون ويلبسون الحرير، قال: «**أفي شك أنت يا بن الخطاب؟ أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**»، وربنا سبحانه يقول: ﴿قل متاع الدنيا قليل و الآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا﴾، متاع قليل، مهما كانت زخارفها، أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار، فيغمس في النار غمسة واحدة، فيقال: يا ابن آدم، هل مر بك نعيم قط؟ هل رأيت خيرًا قط؟ فيقول: لا والله، ما مربي نعيم قط، ولا رأيت خيرًا قط، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا من أهل الجنة، فيغمس في الجنة غمسة، فيقال: هل مر بك بؤس قط؟ هل رأيت شدة قط؟ فيقول: لا والله، ما مربي بؤس قط ولا رأيت شدةً قط**»، وقال

تعالى: ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ﴾، أحدنا ربما مضى من عمره الأربعون السنة، الخمسون، والثمانون...، كأنك تحلمت به حلمًا، كأنما مر عليك في الحلم، وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾، ينبغي أن يشغل الإنسان هذه الأوقات، الدقائق، والساعات، واللحظات في زاد يتزود به إلى الآخرة، يقول ربنا سبحانه: ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾، لا شك أن المسافر يحتاج إلى زاد، تحتاج إلى زاد في سفر طويل يا أخي، يقول الله عز وجل: ﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا﴾، في هذا الزمن كله وهم واقفون، تدنو الشمس من الرؤوس، لا طعام عندهم ولا شراب عندهم، جلوس وقد بلغ العرق منهم أيما مبلغ، منهم من بلغ إلى كعبيه، ومنهم إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا، ما في من ينقذ الآخر منهم، لا أبوه، ولا ولده، ولا أخوه، وقال تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾، وقال تعالى: ﴿اتقوا ربكم أن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع ذات حمل حملها وترى الناس سكارى ومت هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾، عذاب الله شديد يوم الأهوال، أهوال يوم القيامة، تتطاير الصحف، وعلى الصراط، وعند الميزان، وعند الحوض، قال تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾، تفضح في ذلك اليوم،

وقال: ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور﴾، وفي تلك المواضع ما في إلا هذا الزاد، الذي أنت عليه من خير أو شر، من هذه الدنيا يصحبك عملك الصالح من حين أن يأتيك الموت إلى تلك المراحل كلها.

والناس في الصراط يمرون على قدر أعمالهم، منهم من يمر كالبرق، ومنهم كأجاود الخيل، ومنهم كأشد الرجال، ومنهم من يحبو، ومنهم من يحش جحشًا، ومنهم من يسقط، والكفار يسقطون، قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾، فيا أخي، هذه الدنيا قليلة جدًّا، الدنيا قليلة ومتاعها قليل، ومنغصاتها كثيرة، والله تعالى قد قال: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾، فما الحامل للإنسان على تعمد التورط في المعاصي مع ما يعلمه من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾، وقال تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً ونهارًا فجعلناها حصيدًا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقومٍ يتفكرون﴾، وقال: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾، هشيمًا يابسًا تذروه الرياح، تنسفه الرياح، وقال تعالى: ﴿زين الناس حب الشهوات

من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحيات الدنيا والله عنده حسن المآب﴾، وقال: ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾، والنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- يقول: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**يتبع الميت ثلاثة: أهله، وماله، وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله، ويبقى عمله**»، متفق عليه عن أنس، وقال: «**والله، ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**»، متفق عليه من حديث عمرو بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنَهُ، فأخبر النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- أنها هلكة، والدنيا لا يُفْرَح بها، قال تعالى: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

الحديث الحادي والأربعون

وروى جماعة من أهل العلم هذا الحديث عن نعيم بن حماد عن عبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفي عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عقبة بن أوس عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**».

وهذا الحديث فيه أربع علل:

العلة الأولى: ضعف ابن حماد، وقد كان ثبتًا في السنة ضعيفًا في الحديث، حتى قال ابن معين: ليس بشيء، إنما هو ثبت في السنة. أي: ليس بشيء في الحديث، وأما اتهامه بالوضع فلا يصلح، ولا يتسنى ذلك، فليس بِوَضَّاع وحاشاه، الراجح ضعفه.

العلة الثانية: الاختلاف عليه، ففي بعض الطرق: عن هشام عن بعض مشايخه، واختُلف في هذا، تارة يصرح عن عبدالمجيد عن هشام بهذا السند الذي سبق ذكره، وتارة يذكر بعض المجاهيل بينهما.

العلة الثالثة: عقبة بن أوس اظطرب في هذا الحديث كما ذكر ابن رجب.

العلة الرابعة: أنه منقطع بين عقبة وعبدالله بن عمرو كما في «تحفة التحصيل».

ألا يكون كما قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: إنه يبعد تصحيحه جدًّا؟ نعم، كما قال،

ففيه رَدٌّ على الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ حين قال: ورويناه في كتاب «الحجة على تارك سلوك المحجة»[١] بإسناد صحيح، وهو لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، وأربع تكفيه واحدة منها، المهم أنه ضعيف، لكن له شواهد يصلح بها للاحتجاج، راجع في ذلك أدلة ذم الهوى الكثيرة، ترى أن من كان هواه تبعًا لغير ما جاء به رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- إيمانه ناقص، أو معدوم.

وعندنا من القرآن والسنة ما يغني عنه، فقد ثبت من حديث أبي برزة أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- قال: «**إن مما أخاف عليكم من بعدي: بطونكم، وفروجكم، ومضلات الأهواء**»، وثبت عن عبدالله بن عمرو وزيد بن أرقم، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- كان يقول: «**اللهم، أني أعوذ بك من منكرات الأعمال، والأخلاق، والأهواء، والأدواء**»، وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿أفرأيت من أتخذ ألهه هواء وأظله الله على علمٍ وختم على سمعه وقلبه وجعل على لصرع غشاوة فمن يهديه من بعد الله﴾، ﴿ولا تتبع أسوى فيضلك عن سبيل الله وإن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾، لا شك أن الهوى من أسباب الضلال وقد أحسن من قال:

إذا حار طرفك في معنيينِ ولم تدر حيث الخطأ الصوابُ
مخالف هواك فإن الهوى يجر النفوس إلى يعابُ

---

١ كتاب يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة.

وقد قال الله سبحانه: ﴿فإن لم يستجيبوا فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾، وقال تعالى: ﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ وعلى هذا فمن لم يستجب للنبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ولم يتبع النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ؛ فإنه متبع لهواه، ومن ليس متبعًا إلا هواه؛ فإن الجحيم هي مأواه، قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾، وأما أثر الحسن أن أناسًا ادَّعوا محبة النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ، أو محبة الله، فابتلاهم الله بهذه الآية؛ فإنه لم يثبت، من مراسيل الحسن، ومراسيله من أضعف المراسيل كما في «الموقظة» للذهبي.

وعلى هذا فقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»، له أصل، وتشهد له، الأدلة الأخرى، قال عمر: لأنت أحب إلي من نفسي، وأهلي، ومالي، وولدي، والناس أجمعين، فقال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- : «**الآن يا عمر**»، فلا شك أنه لا يكتمل إيمان أحد حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، ولا يكون هواه مخالفًا لما جاء به النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- ؛ فإن هذا إما أن يكون إيمانه ضعيفًا، وإما أن يكون مبغضًا لما جاء به النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ

وَسَلَم- ، فيكفر، يبغض ما جاء به رسول الله؛ لقول الله تعالى: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾؛ فإنه كان مبغضًا لما جاء به النبي - صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- فهذا كفر، وإن كان غير مبغض وإنما شهوته أو هواه يحمله على مخالفة بعض الأعمال، أو بعض السنن؛ فهو عاصي، فاتِّباع الهوى قد يكون مخرجًا من الملة، وقد يكون دون ذلك.

الحديث الثاني والأربعون

قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِسْحَقَ الْجَوْهَرِيُّ الْبَصْرِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ فَائِدٍ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَال: سَمِعْتُ بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيَّ يَقُولُ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

الترمذي يقول: لا نعرفه إلا من هذه الطريق: طريق كثير بن فائد، وله طريق أخرى عن ثابت عن أنس وهي منكرة كما في «علل ابن أبي حاتم»، فلا يعوّل عليها، وله طريق أخرى فيها شهر بن حوشب وقد اضطرب، تارة يرويه من طريق أبي الدرداء، وتارة من طريق أبي ذر، اضطرب فيه جدًّا، والحاصل أن الحديث طرقه ضعيفة من أجل كثير بن فائد؛ فإنه مجهول حال، وتلك الطرق فيها نكارة وضعف، ولكن عندنا حديث أبي ذر أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر،**

ومن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا»، وفيه: «**ومن أتاني بقراب الأرض خطايا لا يشرك بي شيئًا أتيته بقرابها مغفرة»**، وهو في مسلم، وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**قال الله عز وجل: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم أذنب فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب..**» الخ.

والحكم على هذا الحديث ذكرناه في «إصلاح المجتمع»، وهو ضعيف، ولكن له شواهد تدل على ثبوته، منها ما ذكرناه هنا، فهذا أحسن ما يقال فيه: إنه حديث بشواهده.

قوله: «**إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي**».

فيه: فضل الدعاء، قال تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾، وقال ﴿ادعوا ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾، ففي هذه الأدلة أن الدعاء هو العبادة، وكما ثبت من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قال: «**الدعاء هو العبادة**».

وفيه: فضل الدعاء، وأن الإنسان إذا دعا الله عز وجل، ولجأ إليه، وَفَرَّ إليه، وَفَّقَه لكل خير، قال تعالى: ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾.

وفيه: فضل الرجاء، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**لا يموتن**

أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه»، والرجاء يجعل الإنسان حَسَنَ الظَّنِّ بالله، وينبغي في حال صحته أن يغلّب جانب الخوف كذا يقول أهل العلم، وفي حال مرضه يغلب جانب الرجاء، وأنه يبقى بين الخوف والرجاء، فلا يقنط من رحمة الله، ولا يتجرأ على معاصي الله، قال تعالى: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾، وقال سبحانه: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ولا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾، وقال سبحانه: ﴿فسبح بحمد ربك وأستغفره إنه كان توابًا﴾.

وفيه: فضل الاستغفار، قال تعالى: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهار﴾، وقال: ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾، فالاستغفار يعتبر تخلصًا من الذنوب، استفراغًا من الذنوب، قال تعالى:﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾، وقال تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾.

وما أحسن ما قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إن أسباب صحة القلب، ومدار الطب كله على ثلاثة: الحمية، والاستفراغ، والمحافظة على الصحة، فالحمية: البعد عن المعاصي، والاستفراغ بالتوبة والاستغفار مما حصل منها مما قد لا يسلم منه

الإنسان، وبالأخص غير المعصوم، والمحافظة على الصحة بطاعة الله من أداء واجبات، ونوافل، وذكر لله عز وجل، وهذه الثلاث أيضًا أسباب صحة الجسم، الحمية عن المضرات، والاستفراغ مما في البطن بالسنا ونحوه، ومن الاستفراغ الحجامة، والمحافظة على الصحة بما يحتاجه الجسم من الغذاء والراحة. انتهى بنحوه، وراجع كتاب الطب من «زاد المعاد».

وقاتل الله غلاة الصوفية الذين يقولون: إن الدعاء ما له أثر، الدعاء هدي الأنبياء فما من نبي إلا ودعا ربه، أيوب عليه الصلاة والسلام وهكذا محمد عليه الصلاة والسلام، واقرأ سورة الأنبياء وغيرها تجد إقبال الأنبياء على دعاء الله، والدعاء هو العبادة، وأعبد الناس لله هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وفيه أيضًا: مغفرة رب العالمين لمن استغفره ولمن أقبل عليه، لا ييئس من رحمة الله، ومن فضل الله عز وجل، وفي حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، تاب إلى الله فتاب الله عليه، متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

قوله: «**يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء**»، والعنان: السحاب، وقيل: ما عان لك منها، «**ثم استغفرتني غفرت لك**»، قال تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾، وما دون الكفر من باب أولى أنه يُغفر، قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، هذا في حق من لم يتب، أما من تاب حتى ولو من الكفر؛ فإن ذنبه مغفور.

والآية لا ينبغي أن تحمل في حق التائب فقط، بأن يقال: ﴿إن الله لا يغفر أن

يشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، أي: لمن تاب، فالآية أعم من هذا التفسير.

وقوله: «**يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا**»، أي: بقراب ملء الأرض، «**ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»، وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص حديث البطاقة -معروف- وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا رَحِمَهُ اللهُ، الذي أتى بتوحيد رجح بتلك السجلات كلها، قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾، وقال: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾، فيجب على المسلم أن يتحرى التوحيد في كل صغيرة وكبيرة من أمر دينه، سواء كان في اللفظ أو في الأقوال والأفعال، كل ذلك يتحرى التوحيد ولا يتساهل في مسائل الشرك أبدًا في صغيرة ولا كبيرة، قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، هذا الحديث من أدلة الرجاء وهو ردٌّ على الخوارج، هو وما كان من بابه من الأحاديث، فالخوارج الذين يقولون بتخليد صاحب الكبيرة في النار، وكذا المعتزلة يقولون هذا القول فهو ردٌّ عليهم، ما دام لم يُشرك وأتى بقراب الأرض خطايا؛ فإنها -إن شاء الله- مغفورة، كما قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- في حديث أبي هريرة: «**من قال لا إله إلا الله صدقًا من قلبه دخل الجنة يوم من الدهر وإن صابه قبل ذلك ما أصابه**»، وهكذا حديث الشفاعة في هذا، وأهل العلم يذكرون هذا الحديث في الرجاء، وفي التحذير من الشرك، وفي فضل التوحيد، ويذكرونه في فضل الاستغفار، ويذكرونه أيضًا في سعة رحمة الله سبحانه وتعالى، ففيه فوائد كثيرة، منها ما يسر الله ذكره في هذا الموضع.

وقوله: «**غفرت لك على ما كان منك**»، أي: إذا كان من أهل التوحيد غفر له ما دام يدعو ويرجو؛ فإن كان دعاؤه ذاك مع التوحيد فنعم، وإن كان مع الشرك فلا، قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»، وحديث عباده بن الصامت أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»، قيل: أدخله الله الجنة على قدر عمله إن كان من أهل الدرجات العلى ففي الدرجات العلى، وإن كان من الدرجات غير العلى فكذلك على قدر عمله، هذا قولٌ، وقيل: أدخله الله الجنة مع توحيده ذلك على أي عمل مادام موحدًا، فهو داخل الجنة؛ لقول الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، وهذا بفضل الله عز وجل وليس مقابل عمله، داخل الجنة بفضل الله عز وجل، على أي عمل كان دون الشرك، وهذا المعنى الأخير أصح.

إلى هنا انتهينا من الأربعين النووية، وبقيت تكملة ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ عليها.

الحديث الثالث والأربعون

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ برقم (٦٧٣٢):

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا ابْنُ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ**»، والحديث أخرجه مسلم برقم (١٦١٥).

والذي يرويه: «**ذُكِر**»، تصحيفٌ وخطأٌ، فقد غيّر المعنى، والحديث اشتمل على الفرائض والعصبات من الرجال، «**ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذَكَرٍ**»، فالمواريث تنقسم إلى قسمين: فرض، وتعصيب، قال الرحبي رَحِمَهُ اللهُ:

واعلم بأن الإرث نوعان هما ... فرض وتعصيب على ما قسما

فالفرض في نص الكتاب سنة ... لا فرض في الأرث سواها البته

نصف وربع ثم نصف الربعِ ... والثلث والسدس بنص الشرعِ

والثلثان وهما التمام ... فاحفظ فكل حافظ إمامُ

والفروض المقدرة في كتاب الله ستة: النصف، والربع، والثمن، والثلثان،، والثلث، والسدس.

وموانع الإرث ثلاثة: القتل العمد، والرق، واختلاف الدين؛ لحديث: «**لا**

يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر»، أما كونه يتوارث أهل ملل شتى كما يقال:

الكفر عند الشافعي ملة   وافق النعمان والأجلة
وهو عند مالك ثلاث ملل   وملل شتى لدى ابن حنبلِ

وقول أحمد هو الأصح؛ لحديث: «**لا يتوارث أهل ملل شتى**».

وأسباب الإرث ثلاثة: النكاح الشرعي الصحيح، والولاء، والنسب.

وشروط الإرث ثلاثة: تحقيق موت المورث، وتحقيق حياة الوارث، ووجود مالٍ موروث.

وأنواع الوارثين ثلاثة أقسام: عصبات، وفروض، ورحم.

وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: إلى أصول، وفروع، وحواشي.

الأصول: الآباء والأجداد وإن علو.

والفروع: الأبناء، وأبناء الأبناء، والحواشي الأخوة، والأعمام.

والحواشي قسمان: حواشي قريبة، وحواشي بعيدة.

والآيات التي فَصَّلَت المواريث ثلاث في سورة النساء، آيتان متتاليتان، وواحدة في آخر السورة، وقد فَصَّلَتِ الأصول، والحواشي، والفروع.

سؤال: هل القاتل عمدًا يرث من المقتول؟

جواب: لا يرث، وهل المقتول يرث من القاتل؟

نعم، وصورته أن يضربه، أو يطعنه، أو أن يرميه برصاص، ثم هذا الذي رمى أو طعن، أو ضرب يموت قبل المقتول ولو بلحظات؛ فإنه يرثه.

إذا استهل الصبي صارخًا يرث، ولا يرث وهو في بطن أمه، وينتظرون في قسمة التركات حتى يخرج، أو ربما يجعلون لهم طرقًا أخرى على تقديرات مذكورة في كتب الفرائض.

والوارثون من الرجال عشرة، وتفصيلاً خمسة عشر، قال الرحبي رحمه الله:

الوارثون من الرجال عشرة ... أسماؤهم معروفة مشتهرة
الابن وابن الابن مهما نزلا ... والأب والجد له وإن علا
والأخ من أي الجهات كانا ... قد أنزل الله به القرآنا
وابن الأخ المدلي إليه بالأب ... فاسمع مقالاً ليس بالمكذَّب
والعم وابن العم من أبيه ... فاشكر لذي الإيجاز والتنبيه
والزوج والمعتق ذو الولاء ... فجملة الذكور هؤلاء

وهم على التفصيل خمسة عشر: الابن وابنه، والأب وأبوه، والأخ الشقيق والأخ لأب، والأخ لأم وابن الأخ الشقيق، وابن الأخ لأب والعم الشقيق، والعم لأب وابن العم الشقيق، وابن العم لأب والزوج والمعتق.

والوارثات سبع على الإجمال، وعشر على التفصيل، قال الرحبي:

والوارثات من النساء سبعُ لم يعط أنثى غيرهن الشرعُ
بنت وبنت ابن وأم مشفقة وزوجة وجدة ومعتقة
والأخت من أي الجهات كانت فهذه عدتهن بانت

هؤلاء سبع، وعشر على التفصيل، وهي كما يلي: البنت، وبنت الابن، والأم،والجدة لأب، والجدة لأم، والزوجة، والمعتقة، والأخت الشقيقة، والأخت لأب، والأخت لأم.

والإرث نوعان، قال الرحبي رَحِمَهُ اللهُ:

اعلم بأن الأرث نوعان هما فرض وتعصيب على ما قسما

فالفروض ستة، النصف فرض خمسة أفراد، قال الرحبي رَحِمَهُ اللهُ:

النصف فرض خمسة أفرادِ الزوج والأنثى من الأولاد
وبنت الابن عند فقد البنت والأخت في مذهب كل مفتي
وبعدها الأخت التي من الأب عند انفرادهن عن معصب

والربع فرض صنفين: الزوج، ما لم يكن لها وارث من ذكر أو أنثى؛ فإنه يرث النصف منها، أما إن كان لها ولد ذكرًا كان أو أنثى، من نكاح أو سفاح؛ فإنه يرث

الربع، قال الرحبي رَحِمَهُ اللهُ:

والربع فرض الزوج إن كان معه ... من ولد الزوجة من قد منعه
وهو لكل زوجة أو أكثر ... مع عدم الأولاد فيما قدرا

أي: وهو للزوجة سواء بمفردها أو أربع زوجات، ما معهن إلا الربع، إذا كان الزوج ما له ولد ذكرًا كان أو أنثى.

والثمن للزوجة أو للزوجات إذا كان الزوج له ولد، قال الرحبي رَحِمَهُ اللهُ:

والثمن للزوجة والزوجات ... مع البنين أو مع البنات
أو مع أولاد البنين فاعلم ... ولا تظن الجمع شرطًا فافهم

يعني: ما يشترط أن يكون للزوج أكثر من ولد، بل لو كان لزوج تلك المرأة ولد واحد، أو واحدة، وإن نزل؛ فإنه يحجب زوجة ذلك الرجل وسائر زوجاته حجب نقصان من الربع إلى الثمن.

والثلثان فرض أربعة أصناف، قال الرحبي:

والثلثان للبنات جمعًا ... ما زاد عن واحدة فسمعا
وهو كذاك لبنات الابن ... فأفهم مقالي فهم صافي الذهنِ
وهو للأختين فما يزيد ... قضى به الأحرار والعبيدُ
هذا إذا كن لأم وأب ... أو لأبٍ فاعمل بهذا تُصِبِ

والثلث فرض الأم بشروط، قال الرحبي:

والثلث فرض الأم حيث لا ولد ... ولا من الأخوة جمع ذو عدد
كاثنين واثنتين أو ثلاث ... حكم الذكور فيه كالأناث
ولا ابن ابن معها أو بنته ... ففرضها الثلث كما بينته
وإن يك زوج وأم وأبُ ... فثلث الباقي لها مرتب

وهذا خلاف بين أهل العلم: هل لها ثلث الباقي أم ثلث المال كله؟ خلافًا للرحبي ومن قال بهذا القول، والأقرب إلى ظاهر الدليل أن لها في هذا الحال ثلث المال، فالدين ليس بالرأي.

والسدس فرض سبعة، قال الرحبي:

والسدس فرض سبعة من العدد ... أب وأم ثم بنت ابن وجد
والأخت بنت الأب ثم الجدة ... وولد الأم تمام العدة

سؤال: هالكة تركت زوجًا وأمًّا وأبًا، ماذا يسمي أهل العلم هذه المسألة؟

جواب: مسألة الغَرَّاوَيْنِ، فهل الأم ترث فيها ثلث الباقي؟ ومعناه أن المسألة تكون من ستة؟

الهالكة تركت زوجها وتركت أمها وأباها، ولها تركة، سيكون للزوج النصف

حيث ما عندها ولد فأكثر، كم نصف الستة؟ ثلاثة، وسيكون الباقي ثلاثة، كم ثلثها؟ واحد، يصير للأم، فهو ثلث الباقي، وهو السدس، وسموه ثلث الباقي تأدبًا مع القرآن، والواقع أنه سدس، وابن مسعود كان يقول: ما كان الله ليفضل أُمًّا على أب، لكن الأم قد حازت السدس مقابل الأب في مسألة، والمسألة بالدليل، هذا الذي يظهر من هذه الستة التي سردناها، أن الزوج يأخذ ثلاثة، والأم تأخذ الثلث؛ لأن ما عندها مانع يمنعها من الثلث، وثلث الستة اثنان، وسيبقى واحد للأب؛ لحديث: «**ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر**».

الحجب، قال أهل العلم: ما ينبغي لأحد أن يفتي في مسائل الميراث ولم يتقن الحجب، فهو من أهم الأمور في الفرائض، والحجب ينقسم إلى قسمين: حجب حرمان، وحجب نقصان.

وحجب النقصان ينقصه من أعلى فريضته إلى أدناها، كحجب الزوج من النصف إلى الربع إذا وجد للزوجة ولد، وحجب الزوجة، أو الزوجان من الربع إلى الثمن إذا وجد للزوج ولد، وحجب الأم من الثلث إلى السدس لوجود الولد أو جمع من الأخوة له، وحجب الأب من أخذ المال كاملاً إلى السدس، هذا يُعتبر حجب نقصان لا حرمان.

وحجب الحرمان هو ما ذكره الرحبي رَحِمَهُ اللهُ في هذه الأبيات:

والجد محجوب عن الميراث بالأب في أحواله الثلاث

أما نحن فنرى أنه ليس للجد إلا حالة واحدة وهي أنه يحجب الأخوة؛ لأنه أب.

وإن الجد يُحجب عن الميراث بالأب، وليس للجد شيء إن وجد الأب، ومثاله: هلك هالك وترك أباه وجده، الجد ماله شيء، والميراث يأخذه أبوه.

قال الرحبي رَحِمَهُ اللهُ:

وتسقط الجدات من كل جهة بالأم فافهمه وقس ما أشبهه

الجدات كلهن محجوبات، سواء كانت الجدة لأب، أو الجدة لأم، أو الجدة التي هي أم أب الأب، من كل جهةٍ الجدات محجوبات بالأم حجب حرمان.

قال الرحبي رَحِمَهُ اللهُ:

وهكذا ابن الابن بالابن فلا تبغ عن الحكم الصحيح معدلا

يسقط ابن الابن بالابن، هلك هالك وترك ابنه وابن ابنه، ابن ابنه ماله شيء إلا إذا أوصى له جده بشيء، وإلا فهو محجوب بالابن، سواء كان هذا الابن شقيقًا أو كان لأب؛ فإنه يحجب ابن الابن، وسواءً كان ابن الابن نازلاً أو غير نازل، وما يفعله بعض الناس من الوصية لابن الابن أن ينزل منزلة أبيه، وهذا منتشر بين الناس؛ فإن كان هذا الإنزال بالثلث، أبوه تركته التي مات عنها -وكان سيأخذها- تصل حد الثلث، وأُنزل ولده أو أولاد في هذه المنزلة، فهي تعتبر مسألة الإنزال بهذه الطريقة يقول: أنا أنزل ابن ابني منزلة أبيه، هذا فيه تفصيل: إن كان بالثلث فما

دون فلا بأس، أو إن زاد على الثلث فرضي به الورثة أيضًا فلا بأس؛ فإن اختل أحد الشرطين فلا يصلح هذا الإنزال.

ويسقط الأخوة بالبنينَ   وبالأب الأدنى كما روينا

أشقاء، أو لأب، أو لأم تسقط بالبنين.

سؤال: هل الأخوان يسقطون بالبنين ذكورًا وإناثًا؟ هالك ترك أخاه أو إخوانه وترك بنتًا أيسقط هذا الأخ، أو الأخوة بوجود البنت، سواء كانوا ذكورًا أو إناث؟

جواب: الأخوة الأشقاء، والأخوة لأب ما يسقطون ببنت، أو البنات، وإنما يسقطون بولد فأكثر من الذكور، ولا يسقطون بالبنات، سواءً ببنت أو أكثر، ولا ببنات الابن.

وأيضًا يسقط الأخوة بأبناء الأبناء، قال الرحبي رَحِمَهُ اللهُ:

وببني البنين كيف كانوا   سيان فيه الجمع والوحدان

حتى ولو كان واحدًا يُسقط عشرة، يسقط عشرين، مهما كثروا.

ويفضل ابن الأم بالإسقاطِ   بالجد فهمه على احتياطِ
وبالبنات وبنات الابن   جمعًا ووحدانًا فقل لي زدني

معناه: أن الأخ لأم يسقط بالجد، وأما الأشقاء لأب، فلا يسقطون، والصحيح أن الجد يسقط حتى الأخوة الأشقاء، (الجد أبٌ) قاله ابن عباس، واستدلوا بقول

الله تعالى: ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق﴾، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**ولد لي الليلة ولد فسميته باسم أبي إبراهيم**»، وإن كان قول الجمهور خلاف ذلك، فالأخ لأم يسقط بالجد، قالوا: ويسقط بالبنات، بواحدة أو بأكثر، قال الرحبي رَحِمَهُ اللهُ:

وبالبنات وبنات الابن　　　جمعًا ووحدانًا فقل لي زدني

ونقرأ قبل ذلك الحديث:

الحديث الرابع والأربعون

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَمْرَةَ ابْنَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَهَا وَأَنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ إِنْسَانٍ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فِي بَيْتِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُرَاهُ فُلَانًا لِعَمِّ حَفْصَةَ مِنْ الرَّضَاعَةِ الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ**»، متفق عليه.

سؤال: من سيجيب على هذا، ويشرح البيتين؟

أقارب ذي الرضاعة بانتساب　　　أجـــانب مرضع إلا بـنيه

ومرضعة أقــاربها جـــميعًا أقــاربه ولا تخصيص فيه

أما شرح البيتين: (فذو الرضاعة) هو الصبي، (أجانب مرضعٍ)، أي: أجانب للمرأة التي أرضعته إلا بنيه فقط، فهي جدتهم من الرضاعة، وإن نزلوا، وغير أبنائه أجانب لها.

(ومرضعة أقاربها جميعًا)، أقارب لذلك الصبي، ولا تخصيص فيه.

يشترط في الرضاع خمس رضعات؛ لحديث عائشة كانت عشر رضعات يُحرمن، فَنُسِخْنَ بخمس رضعات يحرمن، وهذا هو الصواب، فتصير أمه من الرضاعة لتلك المرأة التي رضع منها، ولأبيه، أو أخيه الشقيق أن يتزوج بأمه التي أرضعته.

أما بالنسبة للمرأة التي أرضعت ذلك الصبي؛ فإن أباها جدُّه، وأخاها خاله، وزوجها الذي رضع من لبنه أبوه من الرضاعة، وهكذا يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب.

ومن هذه المسألة زوجة الابن الرضاعي، الصحيح أنها محرمة، فمثلًا صبي رضع من امرأتك، قلنا: صبي؛ لأن الرضاعة من المجاعة لابد أن تكون دون الحولين؛ لحديث عائشة، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي رَجُلٌ، قَالَ: **«يَا عَائِشَةُ، مَنْ هَذَا؟»**، قُلْتُ: أَخِي مِنْ الرَّضَاعَةِ، قَالَ: **«يَا عَائِشَةُ، انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ، فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنْ الْمَجَاعَةِ»**، وما فوق الحولين ما تحرم،

وحديث: «**أرضعيه يا سهلة تحرمي عليه**»، في قصة سالم مولى أبي حذيفة، هذه القصة حادثة عين فيمن كان هذا حاله، وقيل: إنما هي خصيصة، ولكن الذي يظهر أنها فيمن كان هذا حاله في الاضطرار كما تراه في «نيل الأوطار» للشوكاني رَحِمَهُ اللهُ نحو هذا، فإذا زوجتك أرضعت صبيًّا، ثم إن هذا الصبي كبر وتزوج، هو ولدك من الرضاعة من لبنك، فعلى هذا زوجة ولدك هذا من الرضاعة تحرم كما تحرم زوجة ولدك من صلبك، يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب.

وقوله تعالى: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾، هذا خرج مخرج الغالب، والحديث يبين ذلك، فالسنة تبين القرآن.

والمحارم هي أصول الشخص وإن علون، وفروعه وإن نزلن، وحواشيه، وأصوله منك: الجدات، وجدات الجدات، وجدات جدات الجدات... إلى آخره، وفروعه: بناته و بنات بناته، وبنات بنات بناته وإن نزلن، وحواشيه: أخواته، وهكذا بنات أخواته، وبنات بنات أخواته، وهكذا.

وقد نُقِل عدم الخلاف في أن بنات المحرمات محرمات إلا خمس، وهن: بنات حلائل الآباء، فيجوز أن يتزوج الولد بالبنت، وأبوه بأمها، وبنات حلائل الأبناء، فيجوز أن يتزوج الولد بالأم وأبوه ببنتها، وبنات العمات، وبنات الخالات، وبنات أمهات الزوجات، لكن لا يجمع بينها وبين أختها، إذا ماتت أو فارقها و أراد الزواج بأختها تزوج بأختها، أمهات النساء هذه خمس، وما عدا ذلك بنات المحرمات محرمات، فيدخل في ذلك بنات الربيب، وبنات الربيبة وإن نزلن؛ فإنها

محرمة.

ونُقل أيضًا عدم الخلاف أنه يحرم عمات العمات، وخالات الخالات، فهذه من المسائل التي يدل عليها هذا الحديث: «**يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب**»، فقوله تعالى: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم﴾، يدل على تحريم الأصول والفروع، ﴿وأخواتكم﴾، يدل على تحريم الحواشي، ﴿وعماتكم﴾، وهكذا عمات العمات، ﴿وخالاتكم﴾، وهكذا خالات الخالات، ﴿وبنات الأخ﴾، وهكذا إن كانت بناته، أو بنات بناته...الخ، وإن نزلن، ﴿وبنات الأخت﴾، وإن نزلن، ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم﴾، بشرط خمس رضعات مشبعات، ويضبطون الرضعة المشبعة: أن يمسك الثدي ثم يتركه من نفسه، ﴿وأمهات نسائكم﴾، بمجرد ما يعقد الرجل على بنتها، تكون تلك المرأة عليه محرمة، وأمها عليه محرمة، وجدتها عليه محرمة، وجدة جدتها وإن علون، وهكذا، وبمجرد ما يدخل الرجل بالمرأة، الدخول ما هو العقد، تحرم بناتها وإن نزلن؛ لقوله تعالى: ﴿من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾، ولا يشترط على الصحيح أن تكون في الحجر، وإنما خرجت لفظة (الحجر) مخرج الغالب، ﴿فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾، هذا قيد مهم، وهو أنه إن عقد على امرأة، ثم فارقها قبل أن يجامعها، ففي هذا الحال له الزواج ببنتها.

قوله تعالى: ﴿وأن تجمعوا بين الأختين﴾، سواء كانتا لأب وأم، أو لأب، أو لأم... إلخ، لا يجوز الجمع بينهما، ﴿إلا ما قد سلف﴾، أي: ما مضى في الجاهلية،

﴿إن الله كان غفورا رحيما﴾، لمن تاب، في هذه الآية من المحرمات؟ أربعة عشر محرمة، ومنها ما يكون التحريم مؤقتًا، مثل: الجمع بين الأختين تحريم مؤقت، وإذا طلقها وانتهت عدتها حل له العقد بأختها، ﴿والمحصنات من النساء﴾، أيضًا تحريم مؤقت، المراد بالمحصنة هنا: المتزوجة، ومنها ما هو تحريم مؤبد.

خلاصة شروط الرضاع المحرِّم

١ – أن يكون قبل الحولين؛ لحديث عائشة: «**إِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنْ الْمَجَاعَةِ**»، متفق عليه، ولقول الله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾، وثبت من حديث أم سلمة، أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قال: «**لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء**»، قال البغوي في شرح السنة في معنى: «**إنما الرضاعة من المجاعة**»، أي: الرضاعة التي تثبت بها الحرمة ما يكون في الصغر حين يكون الرضيع طفلًا يسد اللبن جوعته، أما الكبير فلا يشبعه الرضاع، ولا يسد جوعته.

٢ – أن يكون خمس رضعات مشبعات؛ لحديث عائشة المتقدم.

٣– أن يكون من امرأة، فلو رضع مثلًا هو وغيره من معزة، أو غيرها من الحيوانات، فما يحرم.

٤ – أن يوجد لبن، أما إذا كان يمص اللحم، أو مصلٌ؛ فإنه ما يحرم، وقد قال بعض أهل العلم أنه يحرم، وهذا خطأ، زاد بعضهم: أن يكون من جماع، وليس معناه أنه من رطوبة الثدي إن لم تتزوج، ويحصل لبن، وهذا ما هو لازم، مادام وقد وجد اللبن، فنعم، ولو لم يكن من نكاح؛ فإنه محرّم.

سؤال: هل الجمهور يرون أن المصة الواحدة محرمة، وهل يرون أن الرضاع إنما

يثبت في الصغر، ولا يثبت برضاع الكبير حرمة؟

الجواب: نعم، حتى ولو سعط سعوطًا من الأنف يرونها محرمة، حتى ولو أَكَلَهُ في (فتَّة خبز)، وفي هذا الإطلاق نظر، والصحيح أنه يشترط فيه خمس رضعات كما تقدم.

بقي شرط من شروط تحريم الرضاعة وهو: أن يصل إلى الجوف، ولو قاءه؛ فإن رضع وبقي في الفم، ولم يبلعه ما يكون محرمًا.

وأما أن يرضع صبي من امرأة رضعتين، ويرضع من ضرتها ثلاث رضعات، واللبن لبن الزوج، فالزوج أبٌ لذلك الصبي؛ لأن لبن كلتا المرأتين لبنه، والتي أرضعته رضعتين، أو التي أرضعته ثلاث رضعات ليس واحدة من الثنتين أمًّا له، وهذا تنبني عليه أحكام فيما إذا كان لتلك المرأة التي أرضعته رضعتين أو ثلاثًا لها بنت من زوج آخر؛ فإنه يجوز للراضع منها أن يتزوج بها على هذه الصورة إن لم يتأثر رضاع تلك البنت بلبن الزوج الثاني، والحمد لله.

الحديث الخامس والأربعون

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثنا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: «**إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ، وَالْمَيْتَةِ، وَالْخِنْزِيرِ، وَالْأَصْنَامِ**»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ؛ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ، فَقَالَ: «**لَا هُوَ حَرَامٌ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ**». متفق عليه.

وفيه من أحكام البيوع عِدَّةُ مناهي:

النهي الأول: عن تحريم بيع الخمر، وقد لُعن في الخمر عشرة، ومن الملعونين في الخمر: «**بائعها، والمبتاعة له**»، وبيع الخمر حرام، ولا يصح بيعه، ولا شراؤه.

النهي الثاني: عن الميتة، والميتة إذا كان قد أفرد جلدها ودبغه، وباعه يصح؛ لقول النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**هلا انتفعتم بإهابها**»، أما أن يبيع منها لبنًا بعد موتها، أو يبيع منها لحمًا، أو غير ذلك من العصب، أو الجلد الذي لا يزال عليها، فلا يجوز.

النهي الثالث: عن الخنزير، حرام بيعه، وشراؤه وتربيته.

النهي الرابع: عن الأصنام، كذلك حرام بيعها، وما يفعل بعض الناس من بيع الأصنام، ويسمونها: تراثًا، ويبيعونها، هذا لا يجوز، وتجد الكفار يشترونها بأغلى الأثمان، لو وجدوا صورة إنسان من الأصنام يبالغون في ثمنه إغراءً للناس، وهي إما صورة من حجر، وإما من غير ذلك، فبيعها لا يجوز، ويجب كسر ذلك الصنم، وليس معناه أنه يبقى في البيت لا يكسر، فقد أمر النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بكسر الأصنام.

دخل النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- البيت وفيه ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل يكسرها، ويقول: «**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا**»، كسرها رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- ، فمن وجد صنمًا من هذه الأصنام بادر بكسره، ولا يجوز له بيعه، ولا يجوز كذلك تركه مع القدرة على كسره، والخنزير يتاجرون به، وأكثر البلدان يبيعونه ويرعونه، وينشئونه في بلاد الكفار، فتجد الحدائق مليئة بالخنزير، مليئة بالحيوانات، ومنها: الخنزير.

وفي هذا الحديث سألوه عن شحوم الميتة، هل ينتفع من تلك الشحوم بشيء؟ إما للاستصباح بها، من حيث أنها تكون زيتًا فيجعلونها في الفوانيس، ويستضيئون بها؛ لأن السُّرُج تُسْرَج بالزيوت، أو من حيث طلي السفن بها، تطلى السفن بها، أو من حيث دبغ الجلود، فيصير الجلد رطبًا إذا دهن بها، أو من حيث اتخاذها لشيء آخر ينتفع بها، فنهى رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- عن الانتفاع بها.

فما رأيكم باتخاذها صابونًا؟ إذا كان من الميتة فلا يجوز الانتفاع بها، أما إن كان من غير الميتة فلا بأس، «**إن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه**»، وهذا كونه يكون صابونًا يؤدي إلى بيعه، وعلى هذا فلا يجوز، إذا حرم شيئًا حرم ثمنه.

وفي هذا الحديث: ذمٌّ لليهود أصحاب الحيل المحرمة، وبين النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- نوعًا من أنواع حيلهم: «**حرم الله عليهم الشحوم**»، وقال تعالى: ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم﴾، فحرم الله عليهم الشحوم إلا بعضًا منها كما في الآية، فذهبوا يأخذونها، ويذيبونها، ويبيعونها.

وحيل اليهود كثيرة، وقد صُنِّف في الحيل كما في صحيح البخاري، ومبنى كتاب «إبطال التحليل» لشيخ الإسلام على هذا، وقد استفاد منه تلميذه ابن القيم في «إعلام الموقعين»، ورتب الحيل ترتيبًا حسنًا في أكثر من ثمانين مسألة.

وهذه الاحتيالات قد ضربت بأطنابها بين الناس، حتى في وسائل الدعوة، احتيالات على الأموال، وعلى الأعراض، وعلى الدعوات، واحتيالات في البيع والشراء، وفي الأقوال والأفعال، ومن تلك الاحتيالات ما هو مشروع ومنها ما هو ممنوع، وأما الاحتيالات المحرمة فمحرمة، فقد قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- ذامًّا لليهود: «**لا ترتكبوا ما ارتكب يهود تستحلوا ما حرم الله بأدنى الحيل**»، وأخبرني من كان يهوديًّا ثم صار سلفيًّا بعد ذلك -هداه الله- أنهم ما زالوا في حيلهم، ففي يوم السبت يحرم عليهم استعمال التلفزيون في نظرهم هكذا، فيأتي

بعامل يختص بيوم السبت يشغل له التلفزيون وهو ينظر، وقد عرفتم قصة أصحاب السبت والحيلة التي صنعوها مع الحوت، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، [الأعراف:١٦٣]، ابتلاء من الله، قال الله: ﴿وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ*فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ*فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾. [الأعراف: ١٦٤-١٦٦]

حرم الله عليهم الاصطياد يوم السبت، وضعوا الشباك في البحر يوم السبت وتركوها إلى يوم الأحد، ويسحبونها يوم الأحد، وقالوا: نحن ما اصطدنا يوم السبت إنما اصطدنا يوم الأحد، والواقع أنها حيلة على تحليل ما حرم الله، فمسخهم الله مقابل حيلتهم، وحيلتهم في صورة مباحة، أنهم ما أخذوه إلا في يوم الأحد، فمسخهم الله على صورة حيوان شبيه بالإنسان وهو القرد: ﴿قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾.

الحديث السادس والأربعون

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ الشَّيْبَانِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا، فَقَالَ: «**وَمَا هِيَ؟**»، قَالَ: الْبِتْعُ وَالْمِزْرُ، فَقُلْتُ لِأَبِي بُرْدَةَ: مَا الْبِتْعُ؟ قَالَ: نَبِيذُ الْعَسَلِ، وَالْمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ، فَقَالَ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ رَوَاهُ جَرِيرٌ وَعَبْدُ الْوَاحِدِ عَنْ الشَّيْبَانِيِّ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ**».

وهذا فيه لفظ جامع من ألفاظ النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- الجامعة: «**ما أسكر فهو حرام**»، سواء من الكالونيه أو من غيرها، إذا أسكر فهو حرام، كل مسكر حرام لا يدري ما يقول، شبه المجنون، فقد سعى في إذهاب ما أكرمه الله به من عقل، وبهذا يكون سعى في جنونه، وإذا كان مجنونًا ربما يقتل أقرب قريب إليه، وقد حصل هذا من بعض الناس السكارى، يسكر فيقوم على امرأته فيقتلها أو يقتل بعض أولاده، مع أنه إذا سكر تجده جبانًا، تلطمه يسكت، وإنما عنده تَيْهٌ ويتصور أنه في ذلك الحال يفعل بعض الأفاعيل التي لم يفعلها مئات الناس، ويذكرون أن سكرانا من السكارى رأوه قد ألصق دبره في عمارة ويقول: (دُفُّوا دُفُّوا).

ومن هنا يُعلم ضرر القات، الذي يسبب الفتور، ويسبب التيه، وربما يسبب

فسادًا في العقل لكثرة مضغه، ولقلة الغذاء عند بعض الناس، تجد وجهه شاحبًا وكأنه لا يأكل الطعام، وتجد أيضًا عنده سَفَهًا في الرأي حال تخزينه تشك في سلامة عقولهم لو رأيتهم عند القات، وهم مثل البُلْه، بعض الناس إذا خرج من دول الخليج إلى اليمن يقول: هؤلاء ما هم أوادم، هؤلاء وحوش -صحيح- هذه ما هي حياة أناس متعهم الله بالعقل، حياة مجانين، وفي حال تخزينه ترى منه عجب العجاب، والمخزنون يذكرون هم أنفسهم قصصًا مضحكة في هذا.

الحديث السابع والأربعون

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ سُلَيْمٍ الْكِنَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ الطَّائِيُّ قَالَ سَمِعْتُ الْمِقْدَامَ بْنَ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ؛ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثُ طَعَامٍ، وَثُلُثُ شَرَابٍ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ**».

وقد روى جماعة في أهل العلم منهم: أحمد في «مسنده»، والترمذي في «جامعه»، وابن ماجه في «سننه»، والنسائي في «سننه»، وغير هؤلاء من طرق عن يحيى بن جابر الطائي.

وهذا الحديث ضعيف، يحيى بن جابر لم يسمع من المقدام بن معد يكرب كما في «جامع التحصيل».

وفيه اختلاف كما مر بنا في تحقيق «إصلاح المجتمع»، وهو مذكور هناك، وقد ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في «أحاديث معلة ظاهرها الصحة»، وعلى هذا فإن ما يتعلق بما جاء في هذا الحديث من قوله: «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شر من بطن**»، هذا إذا ملأه من حرام، وقد قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- في الأناس الذين في آخر الزمان: «**ويظهر فيهم السِّمَنُ**»، معناه: أن يكون قصدهم في ذلك التسمن، وقد قال الله تعالى: ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى

لهم﴾، شأن الكفار أنهم لا هَمَّ لهم إلا إشباع شهواتهم، والمؤمن أنبل من هذا، الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معيٍ واحد، وهمّ المؤمن التَّقَوِّي بما أكل على طاعة الله، ولا مانع أن يشبع من الطعام والشراب الحلال في كل يوم أكثر من مرة، قال تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾، هي للذين آمنوا مباحة وهي خالصة لهم يوم القيامة، فقد أكل النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- وشبع، وقال: «**والله لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة**»، لما أطعمهم أبو الهيثم التيهان الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنَهُ، والحديث في الصحيح.

وجاء حديث: أن رجلاً كان يتجشأ عند النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- ، فقال: «**كف عنا جشاءك؛ فإن أكثر الناس شبعًا في الدنيا أكثرهم جوعًا يوم القيامة**».

وهذا الحديث حسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وله طرق ذكرها في ذلك الموضع، وهو محمول على ما ذكرناه آنفًا، من الأكل لقصد التسمّن، وأما لغير ذلك فقد قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنَهُ: والله لا أجد له مسلكًا، ولكن ليس هذا حالهم على الإطلاق، وليس الأكل حتى يشبعَ محرمًا، وهو من حيث الصحة أدعى، وأفضل، وأحسن، أنه ما يمتلئ بطنه، وكل حين وهو يأكل حتى يمتلئ بطنه بغير انتظام الطعام، قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

ثلاث مهلكات للأنامِ وداعية الصحيح إلى السقامِ

دوام مدامة ودوام وطءٍ وإدخال الطعام على الطعامِ

وهذا في ديوانه منسوب إليه، والمدام الخمر.

والجماع الكثير أيضًا يضعف الحافظة، ويضعف القوى، ويهرم صاحبه بسرعة، لاسيما مع سوء التغذية يسبب الهرم، وهجوم بعض الأمراض ونحو ذلك، وإدخال الطعام على الطعام، المعدة ما تزال ممتلئة وهو يأكل ويعبئ فيها، ولا تدري إلا وقد أصيب بسوء الهضم، إما من الأكل وإما من أمور أخرى تحصل لها، ويصاب بالبشم وكثرة الجشاء، وكذلك يشعر بآلام -بعد تقدير الله عز وجل- كلها من إدخال الطعام على الطعام، والحديث فيه ضعف، لكن هذه فوائد تتعلق بما فيه، أو بما دل عليه مع أدلة أخرى، ومن أقوال أهل العلم والأطباء.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «زاد المعاد» أن أسباب مرض الجسم وهرمه أربعة: الكلام الكثير، والنوم الكثير، والأكل الكثير، والجماع الكثير.

قال: فالكلام الكثير يقلل مخ الدماغ، ويضعفه، ويعجل الشيب، والنوم الكثير يصفِّر الوجه، ويعمي القلب، ويهيج العين، ويكسل عن العمل، ويولِّد الرطوبات في البدن، والأكل الكثير يفسد فم المعدة، ويضعف الجسم، ويولِّد الرياح الغليظة، والأدواء العسرة، والجماع الكثير يهدم البدن، ويضعف القوى، ويجفف رطوبات البدن، ويرخي العصب، ويورث السدد، ويعم ضرره جميع البدن... إلى آخر ما ذكره هناك.

الحديث الثامن والأربعون

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا أُؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**».

وفي مسلم: «**وإذا واعد أخلف**»، وهذا الحديث يدل على أن هذه الصفات من صفات المنافقين، ونحوه حديث أبي هريرة المتفق عليه: «**علامة المنافق ثلاث**».

قوله: «**إذا أؤتمن خان**»، الخيانة خصلة مذمومة، ومن أرذل الخصال المذمومات، وقد قال الله: ﴿إن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾، وقال: ﴿ولا تكن للخائنين خصيمًا﴾، يعني لا تجادل عنهم ولا تخاصم عنهم، وقال تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾، وقال تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئًا وقيل أدخلا النار مع الداخلين﴾، صفة الخيانة من صفات المنافقين، ونزه الله سبحانه وتعالى عنها نفسه عنها، فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قوله: **«وإذا حديث كذب»**، الكذب خصلة ذميمة يتنزه عنها من عنده شيمه وينزه عنها كل مؤمن، وقد لعن الله الكاذبين، قال تعالى: ﴿ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾، وسواء كان الكذب على الله وهو كبيرة، أو على رسوله وهو كبيرة، أو على الناس وهو كبيرة أيضًا، حتى أن السلف رضوان الله عليهم يكرهون الكذب على الدواب، بعضهم جاء ليسمع الحديث من أحد المحدثين، فرآه شردت عليه حماره وهو يتبعها وقد جعل في حجره شيئًا كأنه يكذب عليها أن عنده شيء لها، فقال له: أتعطيها شيء؟ قال: لا، فرجع وخاف أن يكون يكذب عليه وقد كذب على الحمار، والكذب منتشر في هذه الأزمان على الله، وعلى رسوله، وعلى المسلمين، وعلى الدعوة «**ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»، «**الصدق طمأنينة والكذب ريبة**»، الأول متفق عليه والثاني ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

قوله: «**وإذا وعد أخلف**»، المؤمن يعد وهو عازم على الوفاء؛ فإن قدر الله عليه بمانع ما يكون متعمدًا الخلف فليس عليه شيء؛ لقول الله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾، وقوله: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾، أما أن يَعِدْهُ وهو عازم على الخلف، ويعتبرها سياسة ، ويعتبرها ذكاءً، ويعتبرها دهاءً وما إلى ذلك، فهذه من علامات النفاق العملي.

قوله: «**وإذا عاهد غدر**»، قال تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾، فالعهد الوفاء به واجب ونقضه كبيرة من الكبائر.

قوله: «**وإذا خاصم فجر**»، المؤمن ملازم للعدل في خصومته مع القريب ومع البعيد، في خصومته وفي رضاه مع العدو ومع الحميم، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيًا أو فقيرًا فالله أولى بهما﴾، وقال: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾، وقال: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾، فلا تحمل الإنسان عداوته لشخص أنه يقول غير الحق وذلك لأن الله عز وجل أمر بملازمة الحق، قال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنئآن قومٍ على أن لا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى﴾، فمن التقوى ملازمة العدل.

قوله: «**كان منافقًا خالصًا**»، ليس معناه أنه يكفر إن توفرت فيه هذه الأمور، ما لم يستحل واحدة منها هذا نفاق عملي، فحتى ولو اجتمعت فيه هذه المعاصي الظاهرة فهو نفاق عملي، ويجب عليه أن يتوب إلى الله من هذه الكبائر، والله عز وجل يقول: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما﴾، ويقول: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة﴾، ويقول: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، وإن مات مصرًّا عليها ما لم يستحلها، أو واحدة منها فهو تحت المشيئة كما دلت الآية على ذلك، وجاء في بعض الطرق للحديث: «**وإن صام، وصلى، وزعم أنه مسلم**»، بعضهم أخذ هذه الرواية أنه الذي تتوفر فيه هذه الصفات ما هو مسلم، حتى وإن لم يستحلَّها ما هو مسلم، والمقصود: ما هو مسلم كامل الإسلام،

ما هو كامل الاستسلام والانقياد لله عز وجل؛ فإنه عاصي، فاسق، فاجر من فجرة المسلمين؛ فإن النفاق ينقسم إلى: اعتقادي وعملي.

الاعتقادي: ما دل عليه قول الله عز وجل: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجدلهم نصيرا﴾، وأمثال هذه الآية.

والعملي: ما دل عليه هذه الحديث، وحديث أبي هريرة عند أهل السنة أن النفاق ينقسم إلى قسمين: نفاق عملي ونفاق اعتقادي، ويقال له: نفاق أكبر ونفاق أصغر، والمنافق الاعتقادي عند جمهور العلماء بمعنى الزنديق لا يرث من مورثه المسلم، ومنهم من يرى أنه يرث كما هو موجود في «الاختيارات» لشيخ الإسلام بن تيمية، والمنافقون الاعتقاديون كانوا في زمن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- موجودين، وما حرمهم النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- من ميراث أهاليهم إذ أنهم يظهرون الإسلام، يصلون مع المسلمين، ويصومون مع المسلمين، ويحجون مع المسلمين فيرثون مع المسلمين، وهذا هو الصحيح، إلا إذا ارتد وظهرت ردته، فهنا يعامل معاملة الكافرين؛ لحديث: «**من بدل دينه فاقتلوه**»، ومن باب أولى منعه من الميراث في هذا الحال؛ لأنه مرتد، أما المنافق؛ فإنه يظهر الإسلام، ويعامل معاملة المسلمين في الظاهر.

الحديث التاسع والأربعون

قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الْكِنْدِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ حَيْوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ بَكْرِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ هُبَيْرَةَ عَنْ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**».

الحديث فيه فضيلة التوكل على الله سبحانه وتعالى، وأن التوكل من أسباب الرزق، وأن الله ما خلق شيئًا ولم يرزقه، فقد رزق الطيور، ورزق الوحوش، ورزق الثعابين، والضفادع، والقمّل، والحشرات، والجن، والإنس، واليهود، والنصارى، والملاحدة، وسائر الحيوانات يخلقهم ويرزقهم، قال تعالى: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾.

قوله: «**لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يروق الطير**»، هذا لا يتنافي مع الأخذ بالأسباب، فلو أن الإنسان يريد ولدًا بغير زوجة، أو يريد طعامًا وشرابًا يدخل في جوفه بغير تناول، أو يريد أن يتجنب الشمس بغير ظل، أو يريد تجنب الموت وهو يتعرض للقتل ولصدمات السيارات، ثم يقول: أنا متوكل على الله، هذا خطأ، وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: الاعتماد على السبب شركٌ، وترك العمل بالسبب قدحٌ في الشريعة، السبب مخلوق؛ فمن

اعتمد عليه اعتمد على غير الله عز وجل، والاعتماد يكون على الله عز وجل، وترك العمل قدحٌ في الشريعة، مخالف لهدي الأنبياء فما من نبي إلا وعمل بالسبب، لبس النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- المغفر، وهذا معلوم، لماذا لبس النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- المغفر؟ لوقاية الرأس، شدة البيضة وصلابتها وحرها؛ فإن المغفر يلبس تحت البيضة لهذا السبب، وهكذا ركب رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم- البغلة، وركب الحمار، وركب الناقة القصواء وغيرها، وهذا معلوم من حيث أنه عملٌ بالسبب، حفاظًا على الصحة من الحر ومن التعب، وهكذا تزوج، وما من بني من أنبياء الله إلا وجعل الله له أزواجًا وذرية، قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية﴾، والناس في هذا طرفي نقيض إلا من رحم الله، فمنهم من يعتمد على السبب ويشرك بالله عز وجل، ومنهم من يترك العمل بالأسباب في الظاهر وهو كذاب، أولئك الصوفية الذين يتركون العمل بالأسباب كذابون، فهم يعملون بالأسباب الشركية ويتركون الأسباب الشرعية، ويعتقد أن العمل بالسبب مثل الدعاء أن هذا خارم للتوكل، وحجتهم في ذلك أقوال موضوعة، مثل: (علمه بحالي يغني عن سؤالي)، وأعرضوا، وأعمى الله بصائرهم عن تلك الأدلة من القرآن، قال تعالى: ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردًا ونت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾، ومن دعاء نبي الله إبراهيم: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير

ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فأجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾، وغير ذلك من الأدعية، ومن دعاء نبينا محمد -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، حتى قال له أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنهُ: يا رسول الله، كفاك مناشدة ربك، فقد ألححت على ربك، ومن دعاء نبي الله أيوب: ﴿وأيوب إذ نادى ربه إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾، وقال تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجينه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾، فعل الصوفية وفعل الشيعة في حيز وفعل الأنبياء في حيز، في كثير من المسائل، ومنها هذه المسألة التي يعتقد الصوفية أن الدعاء لا ينفع ولا يضر، وكأنهم يردّون على الله عز وجل قوله: ﴿وقال ربكم أدعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾، وقوله: ﴿ادعو ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾، فـ:«**الدعاء هو العبادة**» كما ثبت من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم-، وهو حديث صحيح، والتوكل على الله شأن الأنبياء والمؤمنين، قال تعالى: ﴿وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾، فأنبياء الله يتوكلون على الله، وقال تعالى ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾، فالتوكل شرط في الإيمان، من كان مؤمنًا فليتوكل على الله وليحقق التوكل على الله، ومن لم يحقق التوكل على الله فليس بمؤمن، وقال تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن

الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وأتبعوا رضوان الله ذو فضل عظيم﴾، ﴿يا أيها النبي أتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليمًا حكيمًا وأتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿ودع آذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾، وتقدم حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**احفظ الله يحفظك أحفظ الله تجده تجاهك**».

هذا من التوكل على الله عز وجل، وعلى وجوب التوكل، وفضيلة التوكل، فهو إيمان، التوكل على الله يبعث الإيمان بالقدر، قال تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلاً﴾، التوكل على الله يبعث القناعة في الإنسان، قال النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**إنها لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها أو أجلها، فاتقوا الله وأجمعوا في الطلب**»، التوكل من حققه يدخل الجنة بغير حساب كما في حديث ابن عباس المتفق عليه، وفيه: «**هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»، وكان النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَم- إذا خرج قال: «**بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم، إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل عليّ**»، وثبت أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قال: «**إذا خرج الإنسان، وقال: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قيل له: هديت وكفيت ووقيت، وتنحى عنه**

الشيطان، ويقول لشيطان آخر: ما بالك برجل قد كُفي، ووقي».

الحديث الخمسون

وقال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ:

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ حُبَابٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**».

وحديث عبدالله بن بسر هذا آخر حديث في الكتاب، وقد انتقى ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ عددًا من الأحاديث الجامعة أكمل بها الخمسين، وسمى كتابه: «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم».

وجعل هذا الحديث كالخاتمة بذكر الله عز وجل، وكأن ذلك السائل أراد مجَامِعَ الخير، فَدَلَّه على ما يدخله الجنة، وهو أنه لا يزال لسانه رطبًا من ذكر الله، وهذا فيه الإكثار من ذكر الله فذلك من أسباب النصر، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فأثبتوا وذكروا الله لعلكم تفلحون﴾، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾، وقال: ﴿والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات أعد الله لهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا﴾، وثبت أن النبي -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قال: «**سبق المفردون**»، قالوا: وما المفرودن؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا**»، وقال: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في**

درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**ذكر الله**»، فذكر الله في القيام والقعود وفي كل حال، وقال تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾، فهنيئًا لمن وفقه الله للاستكثار من ذكر الله عز وجل، قال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا**»، وقال -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**بخٍ، بخٍ ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلى إلا الله، والولد الصالح يتوفى للمرء فيحتسبه**»، هذا مذكور في «الصحيح المسند» للشيخ رَحِمَهُ اللهُ، من حديث أبي سلمى راعي رسول الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلَهِ وَسَلَم-، وكل ما ذكرناه هنا صحيح، ولا نحتج بحمد الله إلا بما نعلم ثبوته.

فحافظ أيها المسلم على الأذكار دبر الصلوات، وعند النوم، وعند الاستيقاظ، وعند الشراب، وعند الطعام، وعند الدخول، وعند الخروج، وعند الركوب، والنزول، وعند إتيان الرجل أهله، فما من موضع في الحياة، وما من ساعة، أو دقيقة، أو حركة إلا وفيها ذكر، ولكن التقصير يحصل من الإنسان، قال تعالى: ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾، فلو أن الإنسان أقبل على ذكر الله ما ضره الشيطان بإذن الله ولا ضَرَّهُ مَسٌّ، ولا شرٌّ

بإذن الله، قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُوْلِ الله -صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: يَا رَسُولَ الله، لُدِغْتُ اللَّيْلَةَ فَلَمْ أَنَمْ حَتَّى أَصْبَحْتُ، قَالَ: «**مَاذَا؟**»، قَالَ: عَقْرَبٌ، قَالَ: **«أَمَا إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ إِنْ شَاءَ الله»**.

انتهى تفريغ الأشرطة

بشرح الأربعين النووية، وتتمة

الخمسين حديثًا لابن رجب مع شرحها،

لأبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

غفر الله له، ولوالديه

سبحانك وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك.